من مبادئ الإسلام

أ/ على لبن

الكتاب الثالث

من

مبادئ الإسلام

أ. علـى لـبن

موجه عام الفلسفة والتربية

بالأزهر سابقًا

(الكتاب الثالث)

Mohammad Ali

2005/2013

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٩٦٦٨ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: I.S.B.N.

977 - 265 - 452 - 0

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإن التربية الإسلامية هى التربية التى ترعرعت فى ظلالها خير أمة أخرجت للناس، وقد غُيِّبت هذه التربية فى القرون الأخيرة عن الساحة فى البلاد العربية والإسلامية لأسباب عديدة منها : مكر أعداء الإسلام وجهل أبناء هذا الدين الحنيف وانبهارهم بالفكر التربوى الغربى، ومن فضل الله وتوفيقه أن بدأ بعض العلماء فى البلاد العربية والإسلامية يدركون حجم المؤامرة فشرعوا فى عقد الندوات والمؤتمرات وتأليف الكتب النافعة بهدف تأصيل الفكر التربوى فى بلادنا وإبعاده عن ذيل التبعية للفكر الغازى. وكل كتاب هادف ينبثق الفكر الذى يحتويه عن المبادئ الإسلامية هو لبنة جديدة تضاف إلى البنيان التربوى الإسلامى المعاصر.

يهدف هذا الكتاب إلى التعريف بمفهوم التربية الإسلامية وبخصائصها وبأهم الطرق التربوية المستمدة من الكتاب والسنة. كما يهدف إلى التعريف بأهم الإجراءات التدريسية التى ينبغى اتباعها عند تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية العطرة والعقيدة والفقه، ولا يقف الأمر عند هذه الأهداف المعرفية، إذ أنّ الكتاب يهدف أيضًا إلى تنمية الاتجاهات السليمة نحو التربية الإسلامية ليزداد الإنسان المؤمن إيمانًا بأفضلية هذه التربية على سائر النظريات التربوية الوضعية، وهناك أيضا أهداف أدائية يهدف الكتاب إلى إكسابها للقارئ الكريم منها : تنمية القدرة على اشتقاق أهداف محددة لدرس معين، وتنمية مهارات طرح الأسئلة والإصغاء إلى الإجابات عنها، وتنمية القدرة على وضع خطة تدريسية لدرس معين فى أى من فروع العلوم الشرعية، ومهارات أخرى غيرها. وتحقيقًا لهذه الأهداف فقد حرصت على استقاء المفاهيم والمبادئ التربوية من مصادرها الأولية ويأتى فى مقدمتها الكتاب والسنة، وتم اشتقاق بعض الأهداف الخاصة لكل فرع من فروع العلوم الشرعية من الأهداف العامة كى تكون مثالا يسترشد به عند صياغة أهداف أخرى. كما ذيل كل فصل بأسئلة للتقويم وبأنشطة

تربوية تحث القارئ على اكتساب خبرات أخرى عن طريق التعلم الذاتى . وإيمانًا منّا برد الفضل إلى أهله فقد أشير فى الحواشى التى خصص لها الجزء السفلى من صفحات الكتاب إلى المصادر التى استقيت منها المعلومات وذلك بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب ورقم الصفحة . وأثبتت فى نهاية كل فصل قائمة بالمصادر رتبت ترتيبًا هجائيًا حسب أسماء المؤلفين .

والكتاب يشتمل على ثمانية فصول وهى :

- **الفصل الأول : القرآن الكريم** : (تفسير الآيات من سورة الشرح إلى سورة الناس) .
- **الفصل الثانى : الحديث الشريف** : (شرح الأحاديث « من الحادى عشر إلى العشرين » من الأربعين النووية) .
- **الفصل الثالث : العقيدة**: من أركان الإيمان (الإيمان بالرسل – الإيمان باليوم الآخر – الإيمان بالقدر) .
- **الفصل الرابع : السيرة**: مواقف من سيرة الرسول ﷺ .
- **الفصل الخامس : الصحابة** : صور من حياة الصحابة رضوان الله عليهم .
- **الفصل السادس : الهدف العام**: أن يعرف قيمة الحياة وسط مجموعة تعينه على طاعة الله .
- **الفصل السابع : الهدف العام**: أن يهتم بأمر المسلمين ويتابع أحوالهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .
- **الفصل الثامن : الهدف العام**: أن يبدى استعدادًا لترك الخلاف حرصًا على علاقته بالآخرين .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأرجو أن يكون كتابنا هذا مفيدًا لكل مربٍ مسلم ولطلبة العلم فى الكليات والمعاهد التربوية . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

مع القرآن الكريم

سورة الشرح

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس ما تضمنته السورة من تسرية وتسلية لرسول الله ﷺ.

٢ – أن يوضح الدارس أنه لا يخلو عسر من يسر.

٣ – أن يذكر الدارس توجيه الله عز وجل لرسوله ﷺ ولأمته من بعده فى آخر السورة.

نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى. وكأنها تكملة لها. فيها ظل العطف الندى. وفيها روح المناجاة الحبيب. وفيها استحضار مظاهر العناية. واستعراض مواقع الرعاية. وفيها البشرى باليسر والفرج. وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق..

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾؟ وهى توحى بأن هناك ضائقة كانت فى روح الرسول لأمر من أمور هذه الدعوة التى كلفها.. توحى بأن صدره كان مثقلاً لهموم هذه الدعوة الثقيلة.. وأنه كان فى حاجة إلى عون ومدد وزاد ورصيد.. ثم كانت هذه المناجاة الحلوة، وهذا الحديث الودود:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾؟. ألم نشرح صدرك لهذه الدعوة؟ ونيسر لك أمرها؟. ونجعلها حبيبة لقلبك، ونشرع لك طريقها؟ وننر لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة؟

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾.. ووضعنا عنك عبئك الذى أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله.. ووضعناه عنك بشرح صدرك له فخف وهان. وبتوفيقك وتيسيرك للدعوة ومداخل القلوب. وبالوحى الذى يكشف لك عن الحقيقة ويعينك على التسلل بها إلى النفوس فى يسر وهوادة ولين.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾.. رفعناه فى الملأ الأعلى، ورفعناه فى الأرض، ورفعناه فى هذا

الوجود جميعًا.. رفعناه فجعلنا اسمك مقرونًا باسم الله كلما تحركت به الشفاه:

«لا إله إلا الله. محمد رسول الله».. وليس بعد هذا رفع، وليس وراء هذا منزلة، وهو المقام الذى تفرد به دون سائر العالمين..

ومع هذا فإن الله يتلطف مع حبيبه المختار، ويسرى عنه، ويؤنسه، ويطمئنه ويطلعه على اليسر الذى لا يفارقه:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.. إن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه. وقد لازمه معك فعلاً. فحينما ثقل العبء شرحنا لك صدرك، فخف حملك، الذى أنقض ظهرك. وكان اليسر مصاحبًا للعسر، يرفع إصره، ويضع ثقله. وإنه لأمر مؤكد يكرره بألفاظه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ثم يجىء التوجيه الكريم لمواقع التيسير، وأسباب الانشراح، ومستودع الرى والزاد فى الطريق الشاق الطويل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾..

فإذا فرغت من شغلك مع الناس.. ومع شواغل الحياة.. إذا فرغت من هذا كله فتوجه بقلبك كله إذن إلى ما يستحق أن تنصب فيه وتكد وتجهد.. العبادة والتجرد.. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ إلى ربك وحده خاليًا من كل شىء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم.. إنه لا بد من الزاد للطريق. وهنا الزاد.. وهنا ستجد يسراً مع كل عسر، وفرج مع كل ضيق.. هذا هو الطريق!

التقويم

١ – وضح ما تضمنته السورة من تسرية وتسلية لرسول الله ﷺ.

٢ – وضح أنه لا يخلو عسر من يسر. واذكر موقفًا عمليًا مررت به أو عايشته يؤكد هذا المعنى.

٣ – اذكر توجيه الله عز وجل لرسوله ﷺ ولأمته من بعده فى آخر السورة.

٤ – [لابد للطريق إلى الله من زاد يتزود به السائرون إليه] دلل على ذلك مما فهمت من الآيات. وهل لك من زاد تحرص عليه وتتزود به.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس الحقيقة الرئيسية التى تضمنتها السورة.

٢ – أن يبين الدارس قيمة الإيمان والعمل الصالح فى حياة الإنسان.

الحقيقة الرئيسية التى تعرضها هذه السورة هى حقيقة الفطرة القويمة التى فطر الله الإنسان عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها. وهبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سوء الفطرة واستقامة الإيمان.

فأما الحقيقة الداخلية فى السورة فهى هذه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾..
ومنها تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداء فى أحسن تقويم. والله – سبحانه – أحسن كل شىء خلقه. فتخصيص الإنسان هنا.. بحسن التركيب، وحسن التقويم.. فيه فضل عناية بهذا المخلوق.

والتركيز فى هذا المقام على خصائصه الروحية. فهى التى تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان.

فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين.. بينما هذا الإنسان مهيأ – حين ينتكس – لأن يهوى إلى الدرك الذى لا يبلغ إليه مخلوق قط: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.. حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم. ويقسم الله – سبحانه – على هذه الحقيقة بالتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين.

وطور سينين هو الطور الذى نودى موسى – عليه السلام – من جانبه. والبلد الأمين هو مكة بيت الله الحرام.

وقد كثرت الأقوال المأثورة فى التين والزيتون.. ومن ثم فإننا لا نملك أن نجزم بشيء من هذا الأمر. وكل ما نملك أن نقوله.. إن الأقرب أن يكون ذكر التين والزيتون إلى أماكن أو ذكريات ذات علاقة بالدين والإيمان. أو ذات علاقة بنشأة الإنسان فى أحسن تقويم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.. فطرة واستعدادا.. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.. حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذى هداه الله إليه، وبينه له، وتركه ليختار أحد النجدين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.. فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال فى دار الكمال.. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دائم غير مقطوع.

ومن ثم تتجلى قيمة الإيمان فى حيان الإنسان.. إنه المرتقى الذى تصل فيه الفطرة القويمة إلى غاية كمالها. إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها.. وحين ينقطع هذا الحبل.. فالنتيجة الحتمية هى الارتكاس فى المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين. وفى ظل هذه الحقيقة ينادى «الإنسان»: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟..

فما يكذبك بالدين بعد هذه الحقيقة؟ وبعد إدراك قيمة الإيمان فى حياة البشرية؟ وبعد تبين مصير الذين لا يؤمنون؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟.. أليس الله بأعدل العادلين حين يحكم فى أمر الخلق على هذا النحو؟ أو أليست حكمة الله بالغة فى هذا الحكم على المؤمنين وغير المؤمنين؟

التقويم

١ – وضح الحقيقة الرئيسية التى تضمنتها السورة.

٢ – بيّن قيمة الإيمان والعمل الصالح فى حياة الإنسان.

سورة العلق

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ
إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١)
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ
لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس مكانة السورة من القرآن الكريم.

٢ – أن يبين الدارس قاعدة التصور الإيمانى الأولى التى أرستها السورة.

٣ – أن يعرف الدارس مكانة العلم فى الإسلام.

٤ – أن يوضح الدارس جحود الإنسان لنعم ربه عليه.

٥ – أن يذكر الدارس سبب نزول الآيات ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ...﴾ إلى آخر السورة ويوضح دلالاتها.

إنها السورة الأولى من هذا القرآن، فهى تبدأ باسم الله. توجه الرسول أول ما توجه، فى أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى.. توجهه إلى أن يقرأ باسم الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وتبدأ من صفات الرب بالصفة التى بها الخلق والبدء: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾.

ثم تخصص خلق الإنسان ومبدأه. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.. من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم. من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكوين. فتدل على كرم الخالق فوق ما تدل على قدرته. فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذى يعلم فيتعلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وإنها لنقلة بعيدة جدا بين المنشأ والمصير. ولكن الله قادر. ولكن الله كريم.

وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة العلم.. تعليم الرب للإنسان ﴿ بِالْقَلَمِ ﴾.. لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا فى حياة الإنسان.. ثم يبرز مصدر التعليم.. إن مصدره هو الله. منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم. وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه.

وبهذا المقطع الواحد الذى نزل فى اللحظة الأولى من اتصال الرسول بالملأ الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيمانى العريضة.

كل أمر. كل حركة. كل خطوة. باسم الله. وعلى اسم الله. باسم الله تبدأ. وباسم الله تسير. وإلى الله تتجه. وإليه تصير.

والله هو الذى خلق. وهو الذى علم. فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة.. والإنسان يتعلم ما يتعلم، ويعلم ما يعلم.. فمصدر هذا كله هو الله الذى خلق والذى علم.. ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾. وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التى تلقاها قلب رسول الله فى اللحظة الأولى هى التى ظلت تصرف شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال حياته. بوصفها قاعدة الإيمان الأولى. ولقد كان من مقتضيات تلك الحقيقة.. أن يعرف الإنسان، ويشكر. ولكن الذى حدث كان غير هذا:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾.. إن الذى أعطاه فأغناه هو الله. كما أنه هو الذى خلقه وأكرمه وعلمه. ولكن الإنسان فى عمومه – لا يستثنى إلا من يعصمه إيمانه – لا يشكر حين يعطى فيستغنى.. ثم هو يطغى ويفجر، ويبغى ويتكبر، من حيث كان ينبغى أن يعرف ثم يشكر.

وحين تبرز صورة الإنسان الطاغى الذى نسى نشأته وأبطره الغنى، يجىء التعقيب بالتهديد الملفوف: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ فأين يذهب هذا الذى طغى واستغنى؟

وفى الوقت ذاته تبرز قاعدة أخرى من قواعد التصور الإيمانى. قاعدة الرجعة إلى الله. الرجعة إليه فى كل شىء وفى كل أمر، وفى كل نية، وفى كل حركة، فليس هناك مرجع سواه.. ألا إلى الله تصير الأمور.. ومنه النشأة وإليه المصير. ثم يعرض صورة من صور الطغيان: صورة مستنكرة يعجب منها، ويفظع وقوعها فى أسلوب قرآنى فريد.

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ
(١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾.

والتشنيع والتعجيب واضح فى طريقة التعبير: ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾؟ أرأيت هذا الأمر المستنكر؟ أرأيته يقع؟ ﴿ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾.

أرأيت حين تضم شناعة إلى شناعة؟ وتضاف بشاعة إلى بشاعة؟ أرأيت إن كان هذا الذى يصلى ويتعرض له من ينهاه عن صلاته.. إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى؟ ثم ينهاه من ينهاه. مع أنه على الهدى، آمر بالتقوى؟. أرأيت إن أضاف إلى الفعلة المستنكرة فعلة أخرى أشد نكرًا؟ ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾؟.

هنا يجىء التهديد الملفوف: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾؟ يرى تكذيبه وتوليه. ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلى، وهو على الهدى، آمر بالتقوى. يرى. وللرؤية ما بعدها! ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾. وأمام مشهد الطغيان الذى يقف فى وجه الدعوة وفى وجه الإيمان، وفى وجه الطاعة، يجىء التهديد الحاسم الرادع:

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾. إنه تهديد فى إبانة. فى اللفظ الشديد العنيف: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾.

هكذا (لنسفعن) بهذا اللفظ الشديد المصور بجرسه لمعناه. والسفع: الأخذ بعنف. والناصية: الجبهة. أعلى مكان يرفعه الطاغية المتكبر.. إنها ناصية تستحق السفع والصرع: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾! وإنها للحظة سفع وصرع. فقد يخطر له أن يدعو من يعتز بهم من أهله وصحبه: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أما نحن فإننا ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ الشداد الغلاظ.. والمعركة إذن معروفة المصير!

وفى ضوء هذا المصير المتخيل الرعيب.. تختم السورة بتوجيه المؤمن الطائع إلى الإصرار والثبات على إيمانه وطاعته.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ كلا! لا تطع هذا الطاغى الذى ينهى عن الصلاة والدعوة. واسجد لربك واقترب منه بالطاعة والعبادة. ودع هذا الطاغى الناهى. دعه للزبانية. ولقد وردت بعض الروايات الصحيحة بأن السورة – عدا المقطع الأول منها –

قد نزلت فى أبى جهل.. ولكن دلالة السورة عامة فى كل مؤمن طائع عابد داع إلى الله. وكل طاغ باغ ينهى عن الصلاة، ويتوعد على الطاعة، ويختال بالقوة.. والتوجيه الربانى الأخير: ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾..

التقويم

١ – وضح مكانة السورة من القرآن الكريم.

٢ – بيّن قاعدة التصور الإيمانى الأولى التى أرستها السورة.

٣ – بيّن مكانة العلم فى الإسلام كما دلت عليه الآيات.

٤ – وضح جحود الإنسان وطغيانه لنعم ربه عليه – دلل بمواقف عرفتها تؤكد هذا المعنى.

٥ – اذكر ما ورد فى سبب نزول الآيات ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى..﴾.. إلى آخر السورة ووضح دلالاتها.

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يحدد الدارس ما المقصود بليلة القدر.

٢ – أن يبين الدارس منزلة ليلة القدر.

٣ – أن يوضح الدارس لماذا استحقت ليلة القدر هذه المنزلة.

٤ – أن يحدد الدارس المطلوب منه تجاه هذه الليلة.

٥ – أن يربط الدارس بين العبادة وحقائق العقيدة كما رسمتها السورة.

الحديث فى هذه السورة عن تلك الليلة الموعوة المشهودة التى سجلها الوجود كله فى فرح وغبطة وابتهال.. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد.. ليلة ذلك الحدث العظيم الذى لم تشهد الأرض مثله فى عظمته، وفى دلالته، وفى آثاره فى حياة البشرية جميعًا. العظمة التى لا يحيط بها الإدراك البشرى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.. ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾..

والليلة التى تتحدث عنها السورة هى الليلة التى جاء ذكرها فى سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.. والمعروف أنها ليلة من ليالى رمضان.. أى التى بدأ فيها نزول القرآن على قلب الرسول ليبلغه إلى الناس.

واسمها: ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.. قد يكون معناه التقدير والتدبير. وقد يكون معناه القيمة والمقام. وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكونى العظيم... وهى خير من ألف شهر. والعدد لا يفيد التحديد. فى مثل هذه المواضع من القرآن. إنما هو يفيد التكثير. والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشرى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

وحين ننظر اليوم من وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة المجيدة السعيدة.. ونتدبر

حقيقة الأمر الذى تم فيها، ونتملى آثاره المتطاولة فى مراحل الزمان، وفى واقع الأرض.. فإننا نرى أمرًا عظيمًا حقًا. وندرك طرفًا من مغزى هذه الإشارة القرآنية إلى تلك الليلة:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.. ولقد فرق فيها من كل أمر حكيم. وقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين. وقد قررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد. وأقدار أمم ودول وشعوب. بل أكثر وأعظم.. أقدار حقائق وأوضاع وقلوب!

ونحن – المؤمنين – مأمورون أن لا ننسى ولا نغفل هذه الذكرى؛ وقد جعل لنا نبينا سبيلاً هينًا لينًا لاستحياء هذه الذكرى فى أرواحنا لتظل موصولة بها أبدًا، موصولة كذلك بالحدث الكونى الذى كان فيها.. وذلك فيما حثنا عليه من قيام هذه الليلة من كل عام، ومن تحريها والتطلع إليها فى الليالى العشر الأخيرة من رمضان.. فى الصحيحين: **«تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان»**.. وفى الصحيحين كذلك: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

والمنهج الإسلامى فى التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة فى الضمير، ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها فى صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير. وهذا الربط بين ذكرى ليلة القدر وبين القيام فيها إيمانًا واحتسابًا، هو طرف من هذا المنهج الإسلامى الناجح القويم.

التقويم

١ – حدد ما المقصود بليلة القدر.

٢ – بيّن منزلة ليلة القدر.

٣ – وضح لماذا استحقت ليلة القدر هذه المنزلة.

٤ – حدد المطلوب منه تجاه هذه الليلة.

٥ – اربط بين العبادة وحقائق العقيدة كما رسمتها السورة.

سورة البينة

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يحدد الدارس الحقائق الأربع التى تضمنتها السورة.

٢ – أن يبين الدارس الهدف من إرسال الرسول.

٣ – أن يوضح الدارس أسباب اختلاف أهل الكتاب.

٤ – أن يوضح الدارس حقيقة الدين.

٥ – أن يصف الدارس الناس طبقًا لتقبل الرسالة ومصير كل منهم.

هذه السورة معدودة فى المصحف وفى أكثر الروايات أنها مدنية. وقد وردت بعض الروايات بمكيتها.. والسورة تعرض عدة حقائق تاريخية وإيمانية فى أسلوب تقريرى هو الذى يرجح أنها مدنية إلى جانب الروايات القائلة بهذا.

والحقيقة الأولى: هى أن بعثة الرسول كانت ضرورية لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين عما كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف، وما كانوا ليتحولوا عنه بغير هذه البعثة: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾**..

والحقيقة الثانية: أن أهل الكتاب لم يختلفوا فى دينهم عن جهالة ولا عن غموض

فيه، إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم وجاءتهم البينة: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ .

والحقيقة الثالثة: أن الدين فى أصله واحد، وقواعده بسيطة واضحة، لا تدعو إلى التفرق والاختلاف فى ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ .

والحقيقة الرابعة: أن الذين كفروا بعد ما جاءتهم البينة هم شر البرية، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية. ومن ثم يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافًا بينًا.

وهذه الحقائق الأربع ذات قيمة فى إدراك دور العقيدة الإسلامية ودور الرسالة الأخيرة. وفى التصور الإيمانى كذلك.

لقد كانت الأرض فى حاجة ماسة إلى رسالة جديدة.. كان الفساد قد عم أرجاءها كلها بحيث لا يرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعًا سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها، أو المشركون فى الجزيرة العربية وفى خارجها سواء.

وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذى صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة، وإلا على يد رسول يكون هو ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ .. مطهرة من الشرك والكفر ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.. وهذه الصحف المطهرة - وهى هذا القرآن - فيها كتب قيمة أى موضوعات وحقائق قيمة.

ومن ثم جاءت هذه الرسالة فى إبانها، وجاء هذا الرسول فى وقته، وجاءت هذه الصحف وما فيها من كتب وحقائق وموضوعات لتحدث فى الأرض كلها حدثًا لا تصلح الأرض إلا به.

ولما قرر هذه الحقيقة فى مطلع السورة عاد يقرر أن أهل الكتاب خاصة لم يتفرقوا ويختلفوا فى دينهم عن جهل أو عن غموض فى الدين أو تعقيد. إنما هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم على أيدى رسلهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ .

وكان أول التفرق والاختلاف ما وقع بين طوائف اليهود قبل بعثة عيسى - عليه السلام - فقد انقسموا شيعًا وأحزابًا. مع أن رسولهم هو موسى - عليه السلام - وكتابهم هو التوراة.. ثم كان التفرق بين اليهود والنصارى، مع أن المسيح - عليه السلام- هو أحد أنبياء بنى إسرائيل وآخرهم. وقد جاء مصدقًا لما بين يديه من التوراة، ومع هذا فقد بلغ الخلاف والشقاق بين اليهود والمسيحيين حد العداء العنيف والحقد الذميم. وحفظ التاريخ من المجازر بين الفريقين ما تقشعر له الأبدان.

ثم كان التفرق والاختلاف بين النصارى أنفسهم، مع أن كتابهم واحد ونبيهم واحد. تفرقوا واختلفوا أولاً فى العقيدة.. ثم تفرقوا واختلفوا طوائف متعادية متنافرة متقاتلة.. وكان هذا الخلاف كله بين أهل الكتاب جميعًا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.. فلم يكن ينقصهم العلم والبيان؛ إنما كان يجرفهم الهوى والانحراف.

على أن الدين فى أصله واضح والعقيدة فى ذاتها بسيطة:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وهذه هى قاعدة دين الله على الإطلاق.

عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.. عقيدة خالصة فى الضمير، وعبادة لله، تترجم عن هذه العقيدة، وإنفاق المال فى سبيل الله، وهو الزكاة.. فمن حقق هذه القواعد، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب، وكما هو دين الله على الإطلاق.

فأما وقد جاءتهم البينة من قبل فى دياناتهم على أيدى رسلهم؛ ثم جاءتهم البينة، حية فى صورة رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة؛.. فقد تبين الطريق. ووضح مصير الذين يكفرون والذين يؤمنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ حكم قاطع لا جدال فيه ولا محال. مهما يكن من صلاح بعض أعمالهم وآدابهم ونظمهم ما دامت تقوم على غير إيمان، بهذه الرسالة الأخيرة، وبهذا الرسول الأخير. لا نستريب فى هذا الحكم لأى مظهر من مظاهر الصلاح، المقطوعة الاتصال بمنهج الله الثابت القويم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ حكم كذلك قاطع لا جدال

فيه ولا محال. ولكن شرطه كذلك واضح لا غموض فيه ولا احتيال. إنه الإيمان.. إنه الإيمان الذى ينشىء آثاره فى واقع الحياة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.. والصالحات هى كل ما أمر الله بفعله من عبادة وخلق وعمل وتعامل.. فمن كانوا كذلك فهم خير البرية.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

جنات للإقامة الدائمة فى نعيمها الذى يمثله هنا الأمن من الفناء والفوات.. كما يمثله جريان الأنهار من تحتها، وهو يلقى ظلال النداوة والحياة والجمال.. ثم يرتقى السياق درجة أو درجات فى تصوير هذا النعيم المقيم: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

هذا الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم. والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم. الرضا الذى يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق.. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.. وذلك هو التوكيد الأخير. التوكيد على أن هذا كله متوقف على صلة القلب بالله، ونوع هذه الصلة، والشعور بخشيته خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهى عن كل انحراف.

التقويم

١ – حدد الحقائق الأربع التى تضمنتها السورة.

٢ – بيّن الهدف من إرسال الرسول.

٣ – وضح أسباب اختلاف أهل الكتاب.

٤ – وضح حقيقة الدين.

٥ – صنّف الناس طبقًا لتقبل الرسالة ومصير كل منهم.

سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس مشاهد يوم القيامة فى هذه السورة.

٢ – أن يعبر الدارس عن مشاعره تجاه هذه الأهوال.

٣ – أن يبين الدارس واقع استعداده لهذا اليوم (يوم الزلزلة).

هذه السورة مدنية فى المصحف وفى بعض الروايات؛ ومكية فى بعض الروايات الأخرى. ونحن نرجح الروايات التى تقول بأنها مكية، وأسلوبها التعبيرى وموضوعها يؤيدان هذا.

إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة. هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظى. وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها؛ فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء فى بضع فقرات قصار! . وهذا هو طابع الجزء كله، يتمثل فى هذه السورة تمثلاً قويا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣)﴾.

إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافًا، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما فى جوفها نفضًا، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً. وكأنها تتخفف من هذه الأثقال، التى حملتها طويلاً! وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شىء ثابت.. مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتًا باقيًا؛ وهو الإيحاء الأول لمثل هذه ا لمشاهد التى يصورها القرآن. ويزيد هذا الأمر وضوحًا بتصوير «الإنسان» حيال المشهد المعروض، ورسم انفعالاته وهو يشهده: وهو سؤال المشدوه المبهوت.. ما لها؟ ما الذى يزلزلها هكذا ويرجها رجًا؟ ما لها؟.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾.. يوم يقع هذا الزلزال ويشده أمامه الإنسان ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ .. يومئذ تحدث هذه الأرض أخبارها، وتصف حالها وما جرى لها .. لقد كان ما كان لها ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ .. وأمرها أن تمور موراً، وأن تزلزل زلزالها، وأن تخرج أثقالها! فأطاعت أمر ربها.

وهنا و«الإنسان» مشدوه مأخوذ.. وهو يتساءل: مالها مالها؟ هنا يواجه بمشهد الحشر والحساب والوزن والجزاء:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾. وفى لمحة نرى مشهد القيام من القبور: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ .. نرى مشهدهم شيئًا منبعثًا من أرجاء الأرض.. وهو مشهد لا عهد للإنسان به كذلك من قبل. مشهد الخلائق فى أجيالها جميعًا تنبعث من هنا ومن هناك.. ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ .. وهذه أشد وأدهى.. إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم، ليواجهوها، ويواجهوا جزاءها. ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانًا أقسى من كل جزاء.. فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد، فى حضرة الجليل العظيم الجبار المتكبر؟! ووراء رؤيتها الحساب الدقيق الذى لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها ولا يجازى عليها.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ..

ذرة.. كان المفسرون القدامى يقولون: إنها البعوضة. وكانوا يقولون: إنها الهباءة التى ترى فى ضوء الشمس.. فنحن الآن نعلم أن الذرة شيء محدد يحمل هذا الاسم، وأنه أصغر بكثير من تلك الهباءة التى ترى فى ضوء الشمس.. فهذه أو ما يشبهها من ثقل، من خير أو شر، تحضر ويراها صاحبها ويجد جزاءها.. عندئذ لا يحقر «الإنسان» شيئًا من عمله، خيرًا كان أو شرًا. ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن. إنما يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق الذى ترجح به الذرة أو تشيل.

التقويم

١ - وضح مشاهد يوم القيامة فى هذه السورة.

٢ - عبر عن مشاعرك تجاه هذه الأهوال.

٣ - بين واقع استعدادك لهذا اليوم (يوم الزلزلة).

سورة العاديات

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ - أن يبين الدارس طبيعة النفس البشرية كما وضحت الآيات.

٢ - أن يوضح الدارس وسائل تهذيب النفس البشرية التى ذكرتها السورة.

يجرى سياق هذه السورة فى لمسات سريعة عنيفة مثيرة.. وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة فى وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير فى صفوفه الذعر والفرار! يليه مشهد فى النفس من الكنود والجحود والأثرة والشح الشديد.. ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور وتحصيل ما فى الصدور.. وفى الختام ينتهى النقع المثار، وينتهى الكنود والشح، وتنتهى البعثرة والجمع.. إلى نهايتها جميعًا. إلى الله. فتستقر هناك: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾.

يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها بأصواتها المعروفة حين تجرى، قارعة للصخر بحوافرها حتى تورى الشرر منها، مغيرة فى الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار. غبار المعركة على غير انتظار. وهى تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.

أما الذى يقسم الله - سبحانه - عليه، فهو حقيقة فى نفس الإنسان، حين يخوى قلبه من دوافع الإيمان. حقيقة ينبهه القرآن إليها، ليجند إرادته لكفاحها مذ كان الله يعلم عمق وشائجها فى نفسه، وثقل وقعها فى كيانه: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ..

إن الإنسان ليجحد نعمة ربه، وينكر جزيل فضله. ويتمثل كنوده وجحوده فى

مظاهر شتى تبدو منه أفعالاً وأقوالاً، فتقوم عليه مقام الشاهد الذى يقرر هذه الحقيقة. وكأنه يشهد على نفسه بها. أو لعله يشهد على نفسه يوم القيامة بالكنود والجحود: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.. يوم ينطق بالحق على نفسه حيث لا جدال ولا محال!

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ فهو شديد الحب لنفسه، ومن ثم يحب الخير. ولكن يتمثله مالا وسلطة ومتاعًا بأعراض الحياة الدنيا.. هذه فطرته. وهذا طبعه. ما لم يخالط الإيمان قلبه. فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته. ويحيل كنوده وجحوده اعترافًا بفضل الله شكرانًا. كما يبدل أثرته وشحه إيثارًا ورحمة. ويريه القيم الحقيقية التى تستحق الحرص والتنافس والكد والكدح. وهى قيم أعلى من المال والسلطة والمتاع الحيوانى بأعراض الحياة الدنيا.

ومن ثم تجىء اللفتة الأخيرة فى السورة لعلاج الكنود والجحود والأثرة والشح.. مع عرض مشهد البعث والحشر فى صورة تنسى حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.. وهو مشهد عنيف مثير. بعثرة لما فى القبور.. وتحصيل لأسرار الصدور التى ضنت بها وخبأتها بعيدًا عن العيون.. أفلا يعلم إذا كان هذا؟ ولا يذكر ماذا يعلم؟ لأن علمه بهذا وحده يكفى لهز المشاعر. ثم ليدع النفس تبحث عن الجواب، وتتصور كل ما يمكن أن يصاحب هذه الحركات العنيفة من آثار وعواقب. ويختم هذه الحركات الثائرة باستقرار ينتهى إليه كل شىء، وكل أمر، وكل مصير:

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.. فالمرجع إلى ربهم. وإنه لخبير بهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وبأحوالهم وأسرارهم.. والله خبير بهم فى كل وقت وفى كل حال. ولكن لهذه الخبرة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ آثار هى التى تثير انتباههم لها فى هذا المقام.. إنها خبرة وراءها عاقبة. خبرة وراءها حساب وجزاء.

التقويم

١ – بين طبيعة النفس البشرية كما وضحت الآيات.

٢ – وضح وسائل تهذيب النفس البشرية التى ذكرتها السورة.

سورة القارعة

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يصور الدارس مشاهد يوم القيامة التى وصفتها السورة.

٢ – أن يوضح الدارس مصائر الناس يوم القيامة كما رسمتها السورة.

القارعة: القيامة.. والقارعة توحى بالقرع واللطم، فهى تقرع القلوب بهولها.. والسورة كلها عن هذه القارعة، حقيقتها. وما يقع فيها. وما تنتهى إليه.. فهى تعرض مشهدًا من مشاهد القيامة.. والمشهد المعروض هنا مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال. فيبدو الناس فى ظله صغارًا ضئالاً على كثرتهم: فهم ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ مستطارون مستخفون فى حيرة الفراش الذى يتهافت على الهلاك.. وتبدو الجبال التى كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح.

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.

لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ بلا خبر ولا صفة. لتلقى بظلالها وجرسها الإيحاء المدوى المرهوب!

ثم أعقبها سؤال التهويل: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾؟.. فهى الأمر المستهول الغامض الذى يثير الدهش والتساؤل!

ثم أجاب بسؤال التجهيل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؟.. فهى أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلم بها التصور!

ثم الإجابة بما يكون فيها، لا بماهيتها: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾..

ثم تجى الخاتمة للناس جميعًا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فى

اعتبار الله وتقويمه ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.. ويدعها مجملة بلا تفصيل، توقع فى الحس ظلال الرضا وهو أروح النعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فى اعتبار الله وتقويمه ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.. والأم هى مرجع الطفل وملاذه. فمرجع القوم وملاذهم يومئذ هو الهاوية.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾.. سؤال التجهيل والتهويل المعهود فى القرآن، لإخراج الأمر عن حدود التصور وحيز الإدراك!

ثم يجىء الجواب كنبرة الختام: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.. هذه هى أم الذى خفت موازينه! أمه التى يفىء إليها ويأوى! والأم عندها الأمن والراحة. فماذا هو واجد عند أمه هذه.. الهاوية.. النار.. الحامية.. إنها مفاجأة تعبيرية تمثل الحقيقة القاسية.

التقويم

١ – صور مشاهد يوم القيامة التى وصفتها السورة.

٢ – وضح مصائر الناس يوم القيامة كما رسمتها السورة.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يبين الدارس صوت النذير الذى نبهت إليه السورة.

٢ – أن يبين الدارس الأحداث التى قد يلقاها فى قبره.

إنها سورة تعبر بذاتها عن ذاتها. وتلقى فى الحس ما تلقى بمعناها وإيقاعها. وتدع القلب مثقلا مشغولا بهم الآخرة عن سفساف الحياة الدنيا وصغائر اهتماماتها التى يهش لها الفارغون!

إنا تصور الحياة الدنيا كالومضة الخاطفة فى الشريط الطويل.. ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.. وتنتهى ومضة الحياة الدنيا وتنطوى صفحتها الصغيرة.. ثم يمتد الزمن بعد ذلك وتمتد الأثقال؛ ويقوم الأداء التعبيرى ذاته بهذا الإيحاء. فتتسق الحقيقة مع النسق التعبيرى الفريد.. وما يقرأ الإنسان هذه السورة الجليلة الرهيبة العميقة، بإيقاعاتها الصاعدة الذاهبة فى الفضاء إلى بعيد فى مطلعها، الرصينة الذاهبة إلى القرار العميق فى نهايتها.. حتى يشعر بثقل ما يحمل منها ويمضى به مثقلا فى الطريق.. ثم ينشئ يحاسب نفسه على الصغير والزهيد.

هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق وكأنما هى صوت نذير.. يصيح بنوم غافلين.. أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور. فهو يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.. أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون.. أيها التاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر.. استيقظوا وانظروا.. فقد ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر فى إيقاع عميق رزين:

﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . . ويكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه الرهيب الرصين : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . ثم يزيد التوكيد عمقًا ورهبة، وتلويحا بما وراءه من أمر ثقيل، لا يتبينون حقيقته الهائلة : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ . . ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطوية الرهيبة : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ . . ثم يؤكد هذه الحقيقة ويعمق وقعها الرهيب فى القلوب ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ . . ثم يلقى بالإيقاع الأخير، الذى يدع المخمور يفيق، والغافل ينبه، والناعم يرتعش ويرتجف مما فى يديه من نعيم .

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ! تسألن عنه من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفى طاعة؟ أم من معصية وفى معصية؟ أمن حلال وفى حلال؟ أم من حرام وفى حرام؟ ﴿ لَتُسْأَلُنَّ ﴾ عما تتكاثرون به وتتفاخرون . . فهو عبء تستخفونه فى غمرتكم ولكن وراءه ما وراءه من هم ثقيل!

التقويم

١- بين صوت النذير الذى نبهت إليه السورة .

٢- بين الأحداث التى قد يلقاها فى قبره .

سورة العصر

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يبين الدارس عظمة سورة العصر .

٢- أن يبين الدارس الأمة المسلمة؛ حقيقتها ووظيفتها كما وضحت السورة .

فى هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام . وتبرز معالم التصور الإيمانى بحقيقته الكبيرة الشاملة فى أوضح أودق صورة . إنها تضع الدستور الإسلامى كله فى كلمات قصار . وتصف الأمة المسلمة : حقيقتها ووظيفتها . فى آية واحدة هى الآية الثالثة من السورة . . وهذا هو الإعجاز الذى لا يقدر عليه إلا الله .

والحقيقة الضخمة التى تقررها هذه السورة بمجموعها هى : إنه على امتداد الزمان فى جميع الأعصار، وامتداد الإنسان فى جميع الأدهار، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناج . هو ذلك المنهج الذى ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذى تصف السورة معالمه . وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار . .

إنه الإيمان . والعمل الصالح . والتواصى بالحق . والتواصى بالصبر . . . . فما الإيمان؟

إن الإيمان هو أصل الحياة الكبير، الذى ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره . . وهو المحور الذى تشد إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة .

والعمل الصالح وهو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التى تبدأ فى ذات اللحظة التى تستقر فيها حقيقة الإيمان فى القلب . . هذا هو الإيمان الإسلامى . . لا يمكن أن يظل خامدا لا يتحرك، كامنا لا يتبدى فى صورة حية خارج ذات المؤمن . . فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت . . ومن هنا قيمة الإيمان .

أما التواصى بالحق والتواصى بالصبر فتبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة - أو

الجماعة المسلمة .. فمن خلال لفظ التواصى ومعناه وطبيعته وحقيقته تبرز صورة الأمة – أو الجماعة – المتضامة المتضامنة. الأمة الخيرة . الواعية. القيمة فى الأرض على الحق والعدل والخير .. وهى أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة .. وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام.

والتواصى بالحق ضرورة. فالنهوض بالحق عسير. والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة، وطغيان الطغاة .. والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية، والأخوة فى العبء والأمانة. فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معًا فتتضاعف .. وهذا الدين – وهو الحق – لا يقوم إلا فى حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة.

والتواصى بالصبر كذلك ضرورة . فالقيام على الإيمان والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة. ولابد من الصبر. لابد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة. والصبر على تبجح الباطل. والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم، وبعد النهاية .. والتواصى بالصبر يضاعف المقدرة، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف .. وتساند الجميع، وتزودهم بالحب .. إلى آخر ما يثيره من معانى الجماعة التى لا تعيش حقيقة الإسلام إلا فى جوها، ولا بترز إلا من خلالها .. وإلا فهو الخسران والضياع.

وننظر اليوم من خلال هذا الدستور الذى يرسمه القرآن لحياة الفئة الرابحة الناجية من الخسران، فيهولنا أن نرى الخسر يحيق بالبشرية فى كل مكان على ظهر الأرض بلا استثناء . يهولنا هذا الضياع الذى تعانيه البشرية فى الدنيا – قبل الآخرة–.

هذا والمسلمون .. هم أبعد أهل الأرض عن هذا الخير، وأشدهم إعراضًا عن المنهج الإلهى الذى اختاره الله لهم، وعن الدستور الذى شرعه لأمتهم، وعن الطريق الوحيد الذى رسمه للنجاة من الخسران والضياع. ذلك شأن الربح والخسر فى هذه الأرض. وهو على عظمته إذا قيس بشأن الآخرة صغير. وهناك .. هناك الربح الحق والخسر الحق .. هناك الربح والخسر: ربح الجنة والرضوان، أو خسر الجنة والرضوان.

وهذه السورة حاسمة فى تحديد الطريق .. إنه الخسر .. ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ .. طريق واحد لا يتعدد. طريق الإيمان

والعمل الصالح وقيام الجماعة المسلمة، التى تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر. وتقوم متضامنة على حراسة الحق مزودة بزاد الصبر.

إنه طريق واحد . ومن ثم كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «العصر» ثم يسلم أحدهما على الآخر .. لقد كانا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهى، يتعاهدان على الإيمان والصلاح، ويتعاهدان على التواصى بالحق والتواصى بالصبر.

التقويم

١– بيّن عظمة سورة العصر.

٢– الأمة المسلمة ما حقيقتها وما وظيفتها كما وضحت السورة.

٣– ما الحكمة من التلازم بين (الإيمان والعمل الصالح)، (التواصى بالحق والتواصى بالصبر) من خلال فهمك للسورة؟

سورة الهمزة

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يصف الدارس هذا النمط من الناس الذى بينته السورة.

٢- أن يوضح الدارس مصير هذا النمط من الناس.

تعكس هذه السورة صورة من الصور الواقعية فى حياة الدعوة فى عهدها الأول. وهى فى الوقت ذاته نموذج يتكرر فى كل بيئة.. صورة اللئيم الصغير النفس، الذى يؤتى المال فتسيطر نفسه به، حتى ما يطيق نفسه! ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا فى الحياة. القيمة التى تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار: أقدار الناس. وأقدار المعانى. وأقدار الحقائق. وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلاحساب!

كما يروح يحسب أن هذا المال إله قادر على كل شئ؛ لا يعجز عن فعل شئ! حتى دفع الموت وتخليد الحياة. ودفع قضاء الله وحسابه وجزائه إن كان هناك فى نظره حساب وجزاء!

ومن ثم ينطلق بهوس بهذا المال يعده ويستلذ تعداده؛ وتنطلق فى كيانه نفخة فاجرة، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم ولمزهم وهمزهم.. يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته. سواء بحكاية حركاتهم وأصواتهم، أو بتحقير صفاتهم وسماتهم.. بالقول والإشارة. بالغمز واللمز. بالفتنة الساخرة والحركة الهازئة!

وهى صورة لئيمة حقيرة من صور النفس البشرية حين تخلو من المروءة وتعرى من الإيمان. والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة من صور النفوس بحكم ترفعه الأخلاقى. وقد نهى عن السخرية واللمز والعيب فى مواضع شتى. إلا أن ذكرها هنا بهذا التشنيع والتقبيح مع الوعيد والتهديد، يوحى بأنه كان يواجه حالة واقعية من بعض المشركين تجاه رسول الله ﷺ وتجاه المؤمنين.. فجاء الرد عليها فى صورة الردع الشديد، والتهديد الرعيب. وقد وردت روايات بتعيين بعض الشخصيات. ولكنها ليست وثيقة. فنكتفى

نحن بما قررناه عنها... والتهديد يجئ فى صورة مشهد من مشاهد القيامة يمثل صورة للعذاب مادية ونفسية، وصورة للنار حسية ومعنوية. وقد لوحظ فيها التقابل بين الجرم وطريقة الجزاء وجو العقاب. فصورة الهمزة اللمزة، الذى يدأب على الهزء بالناس وعلى لمزهم فى أنفسهم وأعراضهم، وهو يجمع المال فيظنه كفيلا بالخلود! صورة هذا المتعالى الساخر المستقوى بالمال، تقابلها صورة «المنبوذ» المهمل المتردى فى (الحطمة) التى تحطم كل ما يلقى إليها، فتحطم كيانه وكبرياءه. وهى ﴿ **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ** ﴾ وإضافتها لله وتخصيصها هكذا يوحى بأنها نار فذة، غير معهودة، ويخلع عليها رهبة مفزعة رعيبة. وهى ﴿ **تَطَّلِعُ** ﴾ على فؤاده الذى ينبعث منه الهمز واللمز، وتكمن فيه السخرية والكبرياء والغرور.. وتكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل.. هذه النار مغلقة عليه، لا ينقذه منها أحد، ولا يسأل عنه فيها أحد! وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق البهائم بلا احترام! وفى جرس الألفاظ شديد: (عدده. كلا. لينبذن. تطلع. ممددة). وفى معانى العبارات توكيد بشتى أساليب التوكيد: ﴿ **لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ...** ﴾ فهذا الإجمال والإبهام. ثم سؤال الاستهوال. ثم الإجابة والبيان.. كلها من أساليب التوكيد والتضخيم.. وفى التعبير تهديد ﴿ **وَيْلٌ** ﴾ ﴿ **لَيُنبَذَنَّ** ﴾ ﴿ **الْحُطَمَةِ** ﴾ ﴿ **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ** ﴾..

لقد كان القرآن يتابع أحداث الدعوة ويقودها فى الوقت ذاته. وكان هو السلاح البتار والصاعق الذى يدمر كيد الكائدين، ويزلزل قلوب الأعداء ويثبت أرواح المؤمنين.

وإنا لنرى فى عناية الله سبحانه بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين:

الأول: تقبيح الهبوط الأخلاقى وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس.

والثانى: المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه.. وفى هذا كفاية لرفع أرواحهم واستعلائها على الكيد اللئيم...

التقويم

١- صف هذا النمط من الناس الذى بينته السورة.

٢- وضع مصير هذا النمط من الناس.

سورة الفيل

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس سبب نزول هذه السورة.

٢- أن يوضح الدارس دلالات هذه القصة.

تشير هذه السورة إلى حادث مستفيض الشهرة فى حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التى اختارها الله لتكون ملتقى نوره الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التى تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية فى أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها.

وجملة ما تشير إليها الروايات المتعددة عن هذا الحادث، أن الحاكم الحبشى لليمن وتسميه الروايات: «أبرهة»، كان قد بنى كنيسة فى اليمن.. على نية أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام فى مكة.. ولكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس.. عندئذ صح عزم «أبرهة» على هدم الكعبة ليصرف الناس عنها؛ وقاد جيشًا جرارا تصاحبه الفيلة، وفى مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم.. فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها، وجهدوا فى حمله على اقتحامها فلم يفلحوا. ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر، فتركتهم الشجر الجافة الممزقة. كما يحكى عنهم القرآن الكريم.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾.. وهو سؤال للتعجيب من الحادث، والتنبية إلى دلالته العظيمة. فالحادث كان معروفًا للعرب ومشهورا عندهم، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ.. والمشهور أن مولد رسول الله ﷺ كان فى عام الفيل ذاته. ولعل ذلك من بدائع الموافقات الإلهية المقدرة. ثم أكمل القصة بعد هذا المطلع فى صورة الاستفهام التقريرى كذلك:

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾.. أى ألم يضل مكرهم فلا يبلغ هدفه وغايته، شأن من يضل الطريق فلا يصل إلى ما يبتغيه.. ولعله كان بهذا يذكر قريشًا بنعمته عليهم فى حماية هذا البيت وصيانته.. لعلهم بهذه الذكرى يستحون من جحود الله الذى تقدمت يده عليهم فى ضعفهم وعجزهم.. فقد حطم الله الأقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمته؛ فلعله يحطم الأقوياء الذين يقفون لرسوله ودعوته. فأما كيف جعل كيدهم فى تضليل فقد بينه فى صورة وصفية رائعة: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.. والأبابيل: الجماعات. وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان: حجر وطين. أو حجارة ملوثة بالطين. والعصف: الجاف من ورق الشجر. ووصفه بأنه مأكول: أى فتيت طحين! حين تأكله الحشرات وتمزقه، أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه! وهى صورة حسية للتمزيق البدنى بفعل هذه الأحجار التى رمتهم بها جماعات الطير.

فأما دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة من التذكير به فكثيرة:

وأول ما توحى به بأن الله - سبحانه - لم يرد أن يكل حماية بيته إلى المشركين.. وتدخلت القدرة سافرة لتدفع عن بيت الله الحرام، حتى لا تكون للمشركين يد على بيته ولا سابقة فى حمايته، بحميتهم الجاهلية.

كذلك توحى دلالة هذا الحادث بأن الله لم يقدر لأهل الكتاب - أبرهة وجنوده - أن يحطموا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة. حتى والشرك يدنسه، والمشركون هم سدنته. ليبقى هذا البيت عتيقًا من سلطان المتسلطين، مصونًا من كيد الكائدين. وليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان، ولا يطغى فيها طاغية، ولا يهيمن على هذا الدين الذى جاء ليهيمن على الأديان وعلى العباد، ويقود البشرية ولا يقاد.. ونحن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة اليوم ونطمئن.. فالله الذى يحمى بيته من أهل الكتاب وسدنته مشركون، سيحفظه إن شاء الله، ويحفظ مدينة رسوله من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

والإيحاء الثالث هو أن العرب لم يكن لهم دور فى الأرض. بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام.. وتحت راية الإسلام ولأول مرة فى تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمى يؤدونه.. ولكن الذى هيأ للعرب هذا لأول مرة فى تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب! نسوا نعرة

الجنس، وعصبية العنصر، وذكروا أنهم مسلمون.. ورفعوا راية الإسلام، وراية الإسلام وحدها.. وخرجوا من أرضهم جهاداً فى سبيل الله وحده.. عندئذ فقط كان للعرب وجود، وكانت لهم قوة، وكانت لهم قيادة.. ولكنها كانت كلها لله وفى سبيل الله. وقد ظلت لهم قوتهم. وظلت لهم قيادتهم ما استقاموا على الطريقة. حتى إذا انحرفوا عنها وذكروا عنصريتهم وعصبيتهم، وتركوا راية الله ليرفعوا راية العصبية نبذتهم الأرض وداستهم الأمم، لأن الله قد تركهم حيثما تركوه، ونسيهم مثلما نسوه.. وهذا ما يجب أن يذكره العرب جيداً إذا هم أرادوا الحياة، وأرادوا القوة، وأرادوا القيادة.. والله الهادى من الضلال..

التقويم

١- اذكر سبب نزول هذه السورة

٢- وضح دلالات هذه القصة.

سورة قريش

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس المنن التى يذكر الله بها قريش من بعثة الرسول ﷺ.

٢- أن يعدد الدارس بعض منن الله عليه وفضله.

٣- أن يبين الدارس الواجب عليه تجاه هذه المنن وهذا الفضل.

استجاب الله دعوة خليله إبراهيم.. فجعل هذا البيت آمناً.. وجعل من يأوى إليه آمناً والمخافة من حوله فى كل مكان.. حتى حين انحرف الناس وأشركوا بربهم وعبدوا معه الأصنام.. لأمر يريده سبحانه بهذا البيت الحرام. ولما توجه أصحاب الفيل لهدمه كان من أمرهم ما كان.. وحفظ الله للبيت أمنه، وصان حرمته.. وقد كان لحادث الفيل أثر مضاعف فى زيادة حرمة البيت عند العرب فى جميع أنحاء الجزيرة، وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش، مما ساعدهم على أن يسيروا فى الأرض آمنين.. وشجعهم على إنشاء خطين عظيمين من خطوط التجارة - عن طريق القوافل - إلى اليمن فى الجنوب، وإلى الشام فى الشمال. وإلى تنظيم رحلتين تجاريتين ضخمتين: إحداهما إلى اليمن فى الشتاء، والثانية إلى الشام فى الصيف.

.. وألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين الرابحتين فصارتا لهم عادة وإلفا. هذه هى المنة التى يذكرهم الله بها - بعد البعثة - .. منة إيلافهم رحلتى التشاء والصيف، ومنة الرزق الذى أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين.. ومنة أمنهم الخوف. سواء فى عقر دارهم بجوار بيت الله، أم فى أسفارهم وترحالهم فى رعاية حرمة البيت التى فرضها الله وحرسها من اعتداء.. يذكرهم بهذه المنن ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله معه؛ وهو رب هذا البيت الذى يعيشون فى جواره آمنين طاعمين؛ ويسيرون باسمه مرعيين ويعودون سالمين..

يقول لهم: من أجل إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى كفل لهم الأمن فجعل نفوسهم تألف فى الرحلة، وتنال ورائها ما تنال ﴿الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾.. وكان الأصل بحسب حالة أرضهم أن يجوعوا، فأطعمهم الله وأشبعهم من هذا الجوع ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.. وكان الأصل بحسب ما هم فيه من ضعف وبحسب حالة البيئة من حولهم أن يكونوا فى خوف فآمنهم من هذا الخوف.. وهو تذكير يستجيش الحياء فى النفوس. ويثير الخجل فى القلوب.

التقويم

١- اذكر المنن التى يذكّر الله بها قريش من بعثة الرسول ﷺ.

٢- عدِّد بعض منن الله عليك وفضله.

٣- بيّن الواجب عليك تجاه هذه المنن وهذا الفضل.

سورة الماعون

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس الحقيقة التى تقررها السورة.

٢- أن يوضح الدارس الدلالات التى يخرج بها من هذا الآيات.

هذه السورة مكية فى بعض الروايات، ومكية مدنية فى بعض.. وهذه الأخيرة هى الأرجح. وإن كانت السورة كلها وحدة متماسكة، ذات اتجاه واحد، لتقرير حقيقة كلية من حقائق هذه العقيدة، مما يكاد يميل بنا إلى اعتبارها مدنية كلها، إذ أن الموضوع الذى تعالجه هو من موضوعات القرآن المدنى - وهو فى جملته يمت إلى النفاق والرياء مما لم يكن معروفًا فى الجماعة المسلمة فى مكة. إن هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلاً كاملا. فوق ما تطلع به على النفس من حقيقة باهرة لطبيعة هذه العقيدة، وللخير الهائل العظيم المكنون فيها لهذه البشرية، وللرحمة السابغة التى أرادها الله للبشر وهو يبعث إليهم بهذه الرسالة الأخيرة..

إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس؛ ولا تغنى فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، مؤدية بسبب هذا الإخلاص إلى آثار فى القلب تدفع إلى العمل الصالح، وتتمثل فى سلوك تصلح به حياة الناس فى هذه الأرض وترقى.

إن حقيقة الإيمان حين تستقر فى القلب تتحرك من فورها.. لكى تحقق ذاتها فى عمل صالح. فإذا لم تتخذ هذه الحركة فهذا دليل على عدم وجودها أصلا. وهذا ما تقرره هذه السورة نصا ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.. إنها تبدأ بهذا الاستفهام الذى يوجه كل من تتأتى منه الرؤية ليرى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ وينتظر من يسمع هذا الاستفهام ليرى إلى

أين تتجه الإشارة وإلى من تتجه؟ ومن هو هذا الذى يكذب بالدين، والذى يقرر القرآن أنه يكذب بالدين.. وإذا الجواب: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ !

إن الذى يكذب بالدين هو الذى يدفع اليتيم دفعًا بعنف – أى الذى يهين اليتيم ويؤذيه. والذى لا يحض على طعام المسكين ولا يوصى برعايته. فلو صدق بالدين حقًا، ولو استقرت حقيقة التصديق فى قلبه ما كان ليدع اليتيم، وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين.

ثم يرتب على هذه الحقيقة الأولى صورة تطبيقية من صورها:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ إنه دعاء أو وعيد بالهلاك للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.. فمن هم هؤلاء الذين هم عن صلاتهم ساهون! إنهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ .. إنهم أولئك الذين يصلون، ولكنهم لا يقيمون الصلاة. الذين يؤدون حركات الصلاة، وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات. إنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصًا لله. ومن ثم هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها. ساهون عنها لم يقيموها. والمطلوب هو إقامة الصلاة لا مجرد أدائها. وإقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها والقيام لله وحده بها.

ومن هنا لا تنشئ الصلاة فى نفوس هؤلاء المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون. فهم يمنعون الماعون.. يمنعون الماعون عن عباد الله. ولو كانوا يقيمون الصلاة حقا لله ما منعوا العون عن عباده، فهذا هو محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله.

التقويم

١– وضح الحقيقة التى تقررها السورة.

٢– وضع الدلالات التى تخرج بها من هذه الآيات.

٣– إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس – وضح ذلك من خلال هذه السورة.

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يذكر الدارس سبب نزول هذه السورة.

٢– أن يبين الدارس دلالات هذه السورة.

هذه السورة خالصة لرسول الله كسورة الضحى، وسورة الشرح. يسرى عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الشكر. ومن ثم فهى تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية فى أول العهد بمكة. صورة من الكيد والأذى للنبى ﷺ ودعوة الله التى يبشر بها؛ وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده وللقلة المؤمنة معه؛ ومن تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه وموهوب وعيده لشانئه.

كذلك تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان. وحقيقة الضلال والشر والكفران.. الأولى كثرة وفيض وامتداد. والثانية قلة وانحسار وانبتار. وإن ظن الغافلون غير هذا وذاك..

ورد أن سفهاء قريش ممن كانوا يتابعون الرسول ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء.. من أمثال العاص بن وائل، وعقبة بن أبى معيط، وأبى لهب، وأبى جهل، وغيرهم، كانوا يقولون عن النبى إنه أبتر. ويشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده. وقال أحدهم: دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهى أمره.

ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه بالروح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقى الممتد الذى اختاره له ربه؛ وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.. والكوثر صيغة من الكثرة.. وهو مطلق غير محدود. يشير إلى عكس المعنى الذى أطلقه هؤلاء السفهاء.. إنا أعطيناك ما هو كثير فائض غزير. غير ممنوع ولا مبتور.. إنه الكوثر، الذى لا نهاية لفيضه، ولا حد لمدلوله. ومن ثم تركه النص بلا تحديد، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد.

وقد وردت روايات من طرق كثيرة أن الكوثر نهر فى الجنة أوتيه رسول الله، ولكن ابن عباس أجاب بأن هذا النهر هو من بين الخير الكثير الذى أوتيه الرسول. فهو كوثر من الكوثر! وهذا هو الأنسب. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ .. غير ملق بالا إلى شرك المشركين، وغير مشارك لهم فى عبادتهم أو فى ذكر غير اسم الله على ذبائحهم. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ..

فى الآية الأولى قرر أنه ليس أبتر بل هو صاحب الكوثر. وفى هذه الآية يرد الكيد إلى كائديه، ويؤكد – سبحانه – أن الأبتر ليس هو محمداً، إنما هم شانئوه وكارهوه.

ولقد صدق فيهم وعيد الله. فقد انقطع ذكرهم وانطوى. بينما امتد ذكر محمد وعلا. ونحن نشهد اليوم صداق هذا القول الكريم، فى صورة باهرة واسعة المدى كما لم يشهده سامعوه الأولون.

التقويم

١- اذكر سبب نزول هذه السورة.

٢- بيّن دلالات هذه السورة.

٣- بيّن عدة الداعية فى مواجهة أعدائه كما رسمتها السورة.

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس كيف بينت هذه السورة وجوب المفاصلة بين الكفر والإيمان.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

نفى بعد نفى. وجزم بعد جزم. وتوكيد بعد توكيد. بكل أساليب النفى والجزم والتوكيد.

﴿قُلْ﴾.. فهو الأمر الإلهى الحاسم الموحى بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده. ليس لمحمد فيه شئ. إنما هو الله الآمر الذى لا مرد لأمره، الحاكم الذى لا راد لحكمه.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.. ناداهم بحقيقتهم، ووصفهم بصفتهم.. إنهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون. فلا التقاء إذن بينك وبينهم فى طريق.. وهكذا يوحى مطلع السورة وافتتاح الخطاب، بحقيقة الانفصال الذى لا يرجى معه اتصال!

﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.. فعبادى غير عبادتكم، ومعبودى غير معبودكم..﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فعبادتكم غير عبادتى، ومعبودكم غير معبودى.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾.. توكيد للفقرة الأولى فى صيغة الجملة الاسمية وهى أدل على ثبات الصفة واستمرارها. ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.. تكرار لتوكيد الفقرة الثانية. كى لا تبقى مظنة ولا شبهة، ولا مجال لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التكرار والتوكيد.

ثم إجمال لحقيقة الافتراق الذى لا التقاء فيه، والاختلاف الذى لا تشابه فيه، والانفصال الذى لا اتصال فيه، والتمييز الذى لا اختلاط فيه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ .. مفاصلة كاملة شاملة، وتميز واضح دقيق. ولقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح

معالم الاختلاف الجوهرى الكامل، الذى يستحيل معه اللقاء على شئ فى منتصف الطريق. الاختلاف فى جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق.

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر.. ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان – مع الوجود كله – إلى الله وحده لا شريك له. ويحدد الجهة التى يتلقى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود. هذه الجهة التى يتلقى المؤمن عنها هى الله، الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس. غير متلبسة بالشرك فى أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية.. وضرورية للمدعوين.. وأول خطوة فى الطريق هى تميز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصوراً ومنهجاً وعملا. الانعزال الذى لا يسمح بالالتقاء فى منتصف الطريق. والانفصال الذى يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام.

وتميز هذه الصورة فى شعور الداعية هو حجر الأساس. شعوره بأنه شئ آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة فى طريقهم. ووظيفته أن يسيرهم فى طريقه هو، بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير.. وإلا فهى البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح.. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

التقويم

١– وضح كيف بينت هذه السورة وجوب المفاصلة بين الكفر والإيمان.

٢– منهج التوحيد ومنهج الشرك طريقان لا يلتقيان أبداً.. وضح ذلك.

سورة النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يذكر الدارس ما ورد فى سبب نزول هذه السورة.

٢– أن يذكر الدارس البشرى التى تحملها هذه السورة لرسول الله ﷺ.

٣– أن يبين الدارس التوجيه الذى تضمنته السورة لرسول الله ﷺ.

٤– أن يبين الدارس ما تشير إليه السورة من دلالات.

هذه السورة الصغيرة.. كما تحمل البشرى لرسول الله بنصر الله والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجاً؛ وكما توجهه حين يتحقق نصر الله وفتحه واجتماع الناس على دينه إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار.. كما تحمل إلى الرسول البشرى والتوجيه.. تكشف فى الوقت ذاته عن طبيعة هذه العقيدة وحقيقة هذا المنهج، ومدى ما يريد أن يبلغ بالبشرية من الرفعة والكرامة.. والانطلاق والتحرر.. هذه القمة السامقة الوضيئة، التى لم تبلغها البشرية قط إلا فى ظل الإسلام.

وقد وردت روايات عدة عن نزول هذه السورة نختار منها رواية الإمام أحمد (قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر فى آخر أمره من قوله: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه وقال: إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمتي، وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً؛ فقد رأيتها.. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾).. [رواه مسلم من طريق داود بن أبى هند بهذا النص].

وقال ابن كثير فى التفسير: والمراد بالفتح ها هنا فتح مكة. قول واحد. فإن أحياء العرب كانت تتلوم [أى تنتظر] بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبى، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ...﴾ .. فهو نصر الله يجئ به الله: فى الوقت الذى يقدره. فى الصورة التى يريدها. للغاية التى يرسمها. وليس للنبى ولا لأصحابه من أمره شئ، وليس لهم فى هذا النصر يد. وليس لأشخاصهم فيه كسب. وليس لذواتهم منه نصيب. وليس لنفوسهم منه حظ! إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم. وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، وأن يقيمهم عليه حراسا، ويجعلهم عليه أمناء.. هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس فى دين الله أفواجًا.

وبناء على هذا الإيحاء.. يتحدد شأن الرسول ومن معه بإزاء تكريم الله لهم، وإكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم. إن شأنه – ومن معه – هو الاتجاه إلى الله بالتسبيح وبالحمد والاستغفار فى لحظة الانتصار. التسبيح والحمد على ما أولاهم من منة بأن جعلهم أمناء على دعوته حراسًا لدينه. وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله، ودخول الناس أفواجًا فى هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران.

والاستغفار لملابسات نفسية كثيرة: الاستغفار من الزهو الذى قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء.. والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه فى فترة الكفاح الطويل والعناء القاسى، والشدة الطاغية والكرب الغامر.. من ضيق بالشدة، واستبطاء الله بالنصر.. والاستغفار من التقصير فى حمد الله وشكره. فجهد الإنسان، مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان.

إنه الأفق الوضئ الكريم، الذى يهتف القرآن الكريم بالنفس البشرية للتطلع إليه، وترقى فى مدارجه.. وهذا هو الأدب الذى اتسمت به النبوة دائمًا، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائمًا.. وهذا كان أدب محمد فى حياته كلها، وفى موقف النصر والفتح الذى جعله ربه علامة له.. انحنى لله شاكرًا على ظهر دابته ودخل مكة فى هذه الصورة.

مكة التى آذته وأخرجته وحاربته ووقفت فى طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة.. فلما أن جاءه نصر الله والفتح، نسى فرحة النصر وانحنى انحناءة الشكر، وسبح وحمد

واستغفر كما لقنه ربه، وجعل يكثر من التسبيح والحمد والاستغفار كما وردت بذلك الآثار. وكانت هذه سنته فى أصحابه من بعده، رضى الله عنهم أجمعين.

التقويم

١– اذكر ما ورد فى سبب نزول هذه السورة.

٢– أذكر البشرى التى تحملها هذه السورة لرسول الله ﷺ.

٣– بيّن التوجيه الذى تضمنته السورة لرسول الله ﷺ.

٤– بيّن ما تشير إليه السورة من دلالات.

سورة المسد

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يذكر الدارس سبب نزول هذه السورة .

٢- أن يبين الدارس ما تشير إليه هذه السورة من دلالات .

أبو لهب [واسمه عبد العزى بن عبد المطلب] هو عم النبى وإنما سمى أبو لهب لإشراق وجهه، وكان هو وامرأته « أم جميل » من أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ وللدعوة التى جاء بها . . ولقد اتخذ أبو لهب موقفه هذا من رسول الله منذ اليوم الأول للدعوة . أخرج البخارى - بإسناده - عن ابن عباس، أن النبى خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى : يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش، فقال : أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال : أبو لهب، ألهذا جمعتنا ؟ تبًا لك . فأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . . ﴾ إلخ . وفى رواية فقام ينتفض يديه وهو يقول : تبا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا ؟ ! فأنزل الله السورة . . وكان بيت أبى لهب قريبًا من بيت رسول الله فكان الأذى أشد . وقد روى أن أم جميل كانت تحمل الشوك فتضعه فى طريق النبى ؛ وقيل : إن حمل الحطب كناية عن سعيها بالأذى والفتنة والوقيعة .

نزلت هذه السورة ترد على هذه الحرب المعلنة من أبى لهب وامرأته . وتولى الله - سبحانه - عن رسوله أمر المعركة . . ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ . . والتباب : الهلاك والبوار والقطع . ﴿ وَتَبَّتْ ﴾ الأولى دعاء . ﴿ وَتَبَّ ﴾ الثانية تقرير لوقوع هذا الدعاء .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ . . فلم يغن عنه ماله وسعيه ولم يدفع عنه الهلاك والدمار . ذلك - كان - فى الدنيا . أما فى الآخرة فإنه : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ . . ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ وستصلاها معه امرأته حالة كونها حمالة للحطب . . وحالة كونها : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ . . أى من ليف . . تشد هى به فى النار . أو هى الحبل

الذى تشد به الحطب . وفى الأداء التعبيرى للسورة تناسق دقيق ملحوظ مع موضوعها وجوها . . هذا التناسق القوى فى التعبير جعل أم جميل تحسب أن الرسول قد هجاها بشعر . . ولكن الصورة الزرية المثيرة للسخرية التى شاعت فى آياتها، قد سجلت فى الكتاب الخالد، وسجلتها صفحات الوجود أيضًا تنطق بغضب الله وحربه لأبى لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله، والتباب والهلاك والسخرية والزراية جزاء الكائدين لدعوة الله فى الدنيا، والنار فى الآخرة جزاء وفاقًا، والذل الذى يشير إليه الحبل فى الدنيا والآخرة جميعًا .

التقويم

١- اذكر سبب نزول هذه السورة .

٢- بيّن ما تشير إليه هذه السورة من دلالات .

٣- « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » اربط بين هذه الآية وسورة المسد والواقع الذى تعيشه .

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس فضل سورة الإخلاص.

٢- أن يوضح الدارس حقيقة التوحيد ومقتضياته.

هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء فى الروايات الصحيحة.. وليس فى هذا من غرابة. فإن الأحدية التى أمر رسول الله أن يعلنها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. هذه الأحدية عقيدة للضمير، وتفسير للوجود، ومنهج للحياة.. وقد تضمنت السورة - من ثم - أعرض الخطوط الرئيسية فى حقيقة الإسلام الكبيرة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. وهو لفظ أدق من لفظ «واحد».. لأنه يضيف إلى معنى «واحد» أن لا شئ غيره معه. وأن ليس كمثله شئ.

إنها أحدية الوجود.. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته. وليس هناك وجود حقيقى إلا وجوده. وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقى، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية. وهى - من ثم - أحدية الفاعلية. فليس سواه فاعلا لشئ، أو فاعلا فى شئ، فى هذا الوجود أصلاً.

ومعنى أن الله أحد: أنه الصمد . وأنه لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد.. ولكن القرآن يذكر هذه التفريعات لزيادة التقرير والإيضاح:

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.. ومعنى الصمد اللغوى: السيد المقصود الذى لا يقضى أمر إلا بإذنه . والله - سبحانه - هو السيد الذى لا سيد غيره، فهو أحد فى ألوهيته والكل له عبيد. وهو المقصود وحده بالحاجات، المجيب وحده لأصحاب الحاجات.. وهذه الصفة متحققة ابتداء من كونه الفرد الأحد.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.. فحقيقة الله ثابتة أبدية أزلية، لا تعتورها حال بعد حال. صفتها الكمال المطلق فى جميع الأحوال. والولادة انبثاق وامتداد، ووجود زائد بعد

نقص أو عدم، وهو على الله محال. ثم هى تقتضى زوجية. تقوم على التماثل. وهذه كذلك محال. ومن ثم فإن صفة ﴿أَحَدٌ﴾ تتضمن نفى الوالد والولد..

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.. أى لم يوجد له مماثل أو مكافئ. لا فى حقيقة الوجود، ولا فى حقيقة الفاعلية، ولا فى أية صفة من الصفات الذاتية. وهذا كذلك يتحقق بأنه ﴿أَحَدٌ﴾ ولكن هذا توكيد وتفصيل.

من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، قائم على ذلك التفسير وما يشيعه فى النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات:

منهج لعبادة الله وحده. الذى لا حقيقة لوجود إلا وجوده، ولا حقيقة لفاعلية إلا فاعليته، ولا أثر لإرادة إلا إرادته.

ومنهج للاتجاه إلى الله وحده فى الرغبة والرهبة. فى السراء والضراء. فى النعماء والبأساء.

ومنهج للتلقى عن الله وحده. تلقى العقيدة والتصور والقيم والموازين، والشرائع والقوانين والأوضاع والنظم والآداب والتقاليد.

من أجل هذا كله كانت الدعوة الأولى مقصورة على تقرير حقيقة التوحيد بصورتها هذه فى القلوب. لأن التوحيد فى هذه الصورة عقيدة للضمير، وتفسير للوجود، ومنهج للحياة. وليس كلمة تقال باللسان أو حتى صورة تستقر فى الضمير. إنما هو الأمر كله، والدين كله. وما بعده من تفصيلات وتفريعات لا يعدو أن يكون الثمرة الطبيعية لاستقرار هذه الحقيقة بهذه الصورة فى القلوب.

التقويم

١- اذكر فضل سورة الإخلاص.

٢- وضح حقيقة التوحيد ومقتضياته.

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

الأهداف الإجرائية السلوكية لسورتى الفلق والناس:

١- أن يذكر الدارس فضل سورتى الفلق والناس.

٢- أن يبين الدارس مم تكون الاستعاذة كما وضحت السورتان.

هذه السورة والتى بعدها توجيه من الله - سبحانه وتعالى - لنبيه ابتداء وللمؤمنين من بعده جميعًا، للعياذ بكنفه، والليإذ بحماه، من كل مخوف: خاف وظاهر، مجهول ومعلوم، على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل.. وكأنما يفتح الله - سبحانه - لهم حماه، ويبسط لهم كنفه، ويقول لهم، فى مودة وعطف: تعالوا إلى الحمى. تعالوا إلى مأمنكم الذى تطمئنون فيه. تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف وأن لكم أعداء وأن حولكم مخاوف، وهنا الأمن والطمأنينة والسلام. ومن ثم تبدأ كل منهما بهذا التوجيه. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهنا فى هذه السورة يذكر الله - سبحانه - نفسه بصفته التى بها يكون العياذ من شر ما ذكر فى السورة.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.. والفلق من معانيه الصبح، ومن معانيه الخلق كله. بالإشارة إلى كل ما يفلق عنه الوجود والحياة.

وسواء كان هو الصبح.. أو كان هو الخلق.. فالاستعاذة برب الخلق الذى يؤمن من شر خلقه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.. أى من شر خلقه إطلاقا وإجمالا.. والاستعاذة بالله هنا من شرها ليبقى خيرها. والله الذى خلقها قادر على توجيهها وتدبير الحالات التى يتضح فيها خيرها لا شرها. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.. والغاسق فى اللغة الدافق، والوقب النقرة فى الجبل يسيل منها الماء. والمقصود هنا - غالبا - هو الليل وما فيه. الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة. والليل حينئذ مخوف بذاته. فضلا عما يثيره من توقع للمجهول الخافى من كل شئ.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.. والنفاثات فى العقد: السواحر الساعيات بالأذى عن طريق خداع الحواس.. وهن يعقدن العقد فى نحو خيط أو منديل وينفثن فيها كتقليد من تقاليد السحر والإيحاء!

والسحر لا يغير من طبيعة الأشياء؛ ولا ينشئ حقيقة جديدة لها. ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر.. وهذه هى طبيعة السحر كما ينبغى لنا أن نسلم بها. وهو بهذه الطبيعة يؤثر فى الناس، وينشئ لهم مشاعر وفق إيحائه.. مشاعر تخيفهم وتؤذيهم وتوجههم الوجهة التى يريدها الساحر، وعند هذا الحد نقف فى فهم طبيعة السحر والنفث فى العقد.. وهى شر يستعاذ منه بالله، ويلجأ منه إلى حماه.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.. والحسد انفعال نفسى إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمنى زوالها. وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعى منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أو وقف عند حد الانفعال النفسى، فإن شرًا يمكن أن يعقب هذا الانفعال.. فهنا شر يستعاذ منه بالله.

والله برحمته وفضله هو الذى يوجه رسوله وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذه الشرور.. ومن المقطوع به أنه متى استعاذوا به - وفق توجيهه - أعاذهم. وحماهم من هذه الشرور إجمالا وتفصيلا.. وقد روى البخارى - بإسناده - عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.. وهكذا رواه أصحاب السنن...

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾

الاستعاذة فى هذه السورة برب الناس، ملك الناس، إله الناس. والمستعاذ منه هو: شر الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس، من الجنة والناس.

والاستعاذة بالرب، الملك، الإله، تستحضر من صفات الله - سبحانه - ما به يدفع الشر عامة، وشر الوسواس الخناس خاصة.

فالرب هو المربى والموجه والراعى والحامى. والملك هو المالك الحاكم المتصرف. والإله هو المستعلى المستولى المتسلط.. وهذه الصفات فيها حماية من الشر الذى يتدسس إلى الصدور.. وهى لا تعرف كيف تدفعه لأنه مستور. والله رب كل شئ، وملك كل شئ، وإله كل شئ. ولكن تخصيص ذكر الناس هنا يجعلهم يحسون بالقربى فى موقف العياذ والاحتماء.

والله – برحمة منه – يوجه رسوله وأمته إلى العياذ به والالتجاء إليه، مع استحضار معانى صفاته هذه، من شر خفى الدبيب، لا قبل لهم بدفعه إلا بعون من الرب الملك الإله. فهو يأخذهم من حيث لا يشعرون، ويأتيهم من حيث لا يحتسبون. والوسوسة: الصوت الخفى. والخنوس: الاختباء والرجوع. والخناس هو الذى من طبعه كثرة الخنوس.

وقد أطلق النص الصفة أولاً: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.. وحدد عمله: ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾. ثم حدد ماهيته: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.. وهذا الترتيب يثير فى الحس اليقظة والتلفت والانتباه لتبين حقيقة الوسواس الخناس، تأهبا لدفعه أو مراقبته. والنفس حين تعرف.. أن الوسواس الخناس يوسوس فى صدور الناس خفية وسراً، وأنه هو الجنة الخافية، وهو كذلك الناس الذين يتدسسون إلى الصدور تدسس الجنة، ويوسوسون وسوسة الشياطين.. النفس حين تعرف هذا تتأهب للدفاع، وقد عرفت المكمن والمدخل والطريق!

ووسوسة الجنة نحن لا ندرى كيف تتم، ولكننا نجد آثارها فى واقع النفوس وواقع الحياة. ونعرف أن المعركة بين آدم وإبليس قديمة قديمة؛ وأن الشيطان قد أعلنها حرباً على الإنسان! وأنه قد استصدر بها من الله إذناً، فأذن فيها – سبحانه – لحكمة يراها؟ ولم يترك الإنسان فيها مجرداً من العدة. فقد جعل له من الإيمان جُنة، وجعل له من الذكر عدة، وجعل له من الاستعاذة سلاحاً. وأما الناس فنحن نعرف عن وسوستهم الشئ الكثير. ونعرف منها ما هو أشد من وسوسة الشياطين! رفيق السوء الذى يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقله من حيث لا يحتسب.. وحاشية الشر التى توسوس لكل ذى سلطان حتى تتركه طاغية جباراً مفسداً فى الأرض.. والنمام الواشى الذى يزين الكلام.. حتى يبدو كأنه الحق الصراح الذى لا مرية فيه. وبائع الشهوات الذى يتدسس من منافذ الغريزة فى إغراء لا تدفعه إلا يقظة القلب وعون الله.. وعشرات من الموسوسين الخناسين الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها، ويدخلون بها من منافذ القلوب الخفية وهم

شر من الجنة وأخفى منهم دبيباً. وهناك لفتة ذات مغزى فى وصف الوسواس بأنه (الخناس).. فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس. ولكنها من جهة أخرى توحى بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمى مداخل صدره. فهو.. إذا ووجه خنس، وعاد من حيث أتى، وقبع واختفى.. وهذه اللفتة تقوى القلب على مواجهة الوسواس. فهو خناس. ضعيف أمام عدة المؤمن فى المعركة.. ولكنها – من ناحية أخرى – معركة طويلة لا تنتهى أبدا. فهو أبدا قابع خانس، مترقب للغفلة. واليقظة مرة لا تغنى عن اليقظات.. والحرب سجال إلى يوم القيامة.

التقويم

١– اذكر فضل سورتى الفلق والناس.

٢– بيّن مم تكون الاستعاذة كما وضحت السورتان.

٣– أن يوضح الدارس بمن تكون الاستعاذة.

٤– تستخدم هاتان السورتان فى الرقية الشرعية – بين ذلك.

المصادر:

١ – تفسير القرآن العظيم للعلامة: ابن كثير.

٢ – صفوة التفاسير د. الصابونى.

٣ – فى ظلال القرآن أ. سيد قطب.

٤ – التفسير الواضح د. محمود حجازى.

الفصل الثانى

الحديث الشريف

الحديث الحادى عشر

الأخذ باليَقينِ والبُعْدُ عَن الشُّبُهات

عن أبى مُحمَّدٍ الحسَنِ بْنِ علىّ بْنِ أبى طَالب، سبْطِ رَسُول الله ﷺ ورَيْحانَته رضىَ الله عنهُما، قالَ: حَفظْتُ مِنْ رَسُول الله ﷺ: «دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لاَ يَريبُكَ» رواهُ التِّرْمذىُّ والنَّسائى، وقالَ التِّرْمذى: حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس ما يدل عليه الحديث.

٢ – أن يترك الدارس الشبهات ويلتزم الحلال المتيقن.

٣ – أن يوضح الدارس مدى تطبيقه لما جاء فى الحديث.

مفردات الحديث:

«دع ما يَريبك»: دع ما تشك فيه من الشبهات.

«إلى ما لا يَريبك»: إلى ما لا تشك فيه من الحلال البيِّن.

المعنى العام:

إن ترك الشبهات فى العبادة والمعاملات والمناكحات وسائر أبواب الأحكام، والتزام الحلال فى كل ذلك، يؤدى بالمسلم إلى الورع، وقد سبق فى الحديث السادس أن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، وأن الحلال المتيقَن لا يحصل للمؤمن فى قلبه منه شك أو ريب، أما الشبهات فيرضى بها الإنسان ظاهراً، ولو كَشَفْنَا ما فى قلبه لوجدنا القلق والاضطراب والشك، ويكفيه هذا العذاب النفسى خسارة معنوية، والخسارة الكبرى والهلاك الأعظم أن يعتاد الشبهات ثم يجترئ على الحرام، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

– **تعارض الشك واليقين**: إذا تعارض الشك مع اليقين، أخذنا باليقين وقدمناه وأعرضنا عن الشك.

أما من يخوض فى المحَرمَّات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشُّبَه،

فإن ورعه هذا ثقيل ومظلم، ويجب علينا أن ننكر عليه ذلك، وأن نُطالبه بالكَفّ عن الحرام الظاهر أولاً، ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألوننى عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين، وسمعت النبى ﷺ يقول: «**هما رَيحانتاى من الدنيا**» رواه البخارى [حديث رقم: ٥٩٩٤].

- **الصدق طمأنينة والكذب ريبة:**

وعلامة الصدق أن يطمئن به القلب، وعلامة الكذب أن تحصل به الشكوك فلا يسكن القلب له بل ينفر منه.

- **ويرشدنا الحديث:** إلى أن نبنى أحكامنا وأمور حياتنا على اليقين. وأن الحلال والحق والصدق طمأنينة ورضا، والحرام والباطل والكذب ريبة وقلق ونفور. كما يحث الحديث على الورع وترك الشبهات.

التقويم

١ – «يحث الإسلام المسلم على أن يترك الشبهات ويلتزم الحلال المتيقن» وضح ذلك.

٢ – الحلال والحق والصدق طمأنينة – وضح ذلك.

٣ – هل تذكر أحد المواقف التى عايشت فيها معنى الطمأنينة فى التزام الحق.

٤ – وضح مدى تطبيقك لما حث عليه الحديث.

الحديث الثانى عشر
الاشتغالُ بِمَا يُفيد

عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِى اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يعْنيِه**». حديث حسن، رواه الترمذى وغيره.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث.

٢ – أن ينشغل الدارس بمعالى الأمور ويبعد عن سفاسفها.

٣ – أن يوضح الدارس ما يعنى الإنسان وما لا يعنيه.

٤ – أن يوضح الدارس كيف يطبق هذا الحديث على نفسه.

أهميته:

قال ابن رحب الحنبلى: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب.

- مفردات الحديث:

«**من حسن إسلام المرء**»: من كمال إسلامه وتمامه، وعلامات صدق إيمانه، والمرء يُراد به الإنسان، ذكرًا كان أم أنثى.

«**ما لا يعينيه**»: ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا.

المعنى العام:

يحرص الإسلام على سلامة المجتمع، وأن يعيش الناس فى وئام ووفاق، لا منازعات بينهم ولا خصومات، كما يحرص على سلامة الفرد وأن يعيش فى هذه الدنيا سعيداً، يَألف ويُؤلف، يُكْرَم ولا يُؤذَى، ويخرج منها فائزًا رابحًا، وأكثر ما يثير الشقاق بين الناس، ويفسد المجتمع، ويورد الناس المهالك تَدَخُّل بعضهم فى شئون بعض، وخاصة فيما لا يعنيهم من تلك الشئون، ولذا كان من دلائل استقامة المسلم وصدق إيمانه تركه التدخل فيما لا يخصه من شئون غيره.

والمسلم مسئول عن كل عمل يقوم به، فإذا اشتغل الإنسان بكل ما حوله، وتدخل فى شئون لا تعنيه، شغله ذلك عن أداء واجباته، والقيام بمسئولياته، فكان مؤاخذاً فى الدنيا ومعاقبًا فى الآخرة، وكان ذلك دليل ضعف إدراكه، وعدم تمكن الخُلُق النبوى من نفسه. وروى ابن حبان فى صحيحه: أنه ﷺ قال لأبى ذر رضى الله عنه: **«بحسب امرئ من الشر ما يجهل من نفسه ويتكلف ما لا يعنيه»**.

وإذا أدرك المسلم واجبه، وَعقَل مسئوليته، فإنه يشتغل بنفسه، ويحرص على ما ينفعه فى دنياه وآخرته، فَيُعْرِض عن الفضول، ويبتعد عن سَفَاسِفِ الأمور، ويلتفت إلى ما يعنيه من الأحوال والشئون.

والمسلم الذى يعبد الله عز وجل كأنه يراه، ويستحضر فى نفسه أنه قريب من الله تعالى والله تعالى قريب منه، يشغله ذلك عما لا يعنيه، ويكون عدم اشتغاله بما لا يعنيه دليل صدقه مع الله تعالى وحضوره معه، ومن اشتغل بما لا يعنيه دل ذلك على عدم استحضاره القرب من الله تعالى، وعدم صدقه معه، وحَبِط عمله، وكان من الهالكين.

رُوى عن الحسن البصرى أنه قال: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه.

- **ما يعنى الإنسان من الأمور وما لا يعنيه**: والذى يعنى الإنسان من الأمور هو: ما يتعلق بضرورة حياته فى معاشه، من طعام وشراب وملبس ومسكن ونحوها، وما يتعلق بسلامته فى معاده وآخرته، وما عدا هذا من الأمور لا يعنيه: فمما لا يعنى الإنسان الأغراض الدنيوية الزائدة عن الضرورات والحاجيات: كالتوسع فى الدنيا، والتنوع فى المطاعم والمشارب، وطلب المناصب والرياسات، ولا سيما إذا كان فيها شيء من المماراة والمجاملة على حساب دينه.

الفضول فى الكلام مما لا يعنى، وقد يجر المسلم إلى الكلام المُحَرَّم، ولذلك كان من خُلُق المسلم عدم اللَّغَط والثرثرة والخوض فى كل قيل وقال. روى الترمذى: أن رسول الله ﷺ قال: **«كلام ابن آدم عليه لا له. إلا الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذكر الله تعالى»**.

ما يستفاد من الحديث:

أن من صفات المسلم الاشتغال بمعالى الأمور، والبعد عن السَفاسِفِ ومُحَقَّرات الشئون.

وفيه: تأديب للنفس وتهذيب لها عن الرذائل والنقائص، وترك ما لا جدوى منه ولا نفع فيه.

التقويم

١ – وضح أهمية الحديث.

٢ – يحرص الإسلام على أن ينشغل المسلم بمعالى الأمور ويبعد عن سفاسفها. وضح ذلك.

٣ – وضح ما يعنى الإنسان وما لا يعنيه.

٤ – يحرص الإسلام على سلامة المجتمع، وأن يعيش الناس فى وئام ووفاق – وضح ذلك فى ضوء فهمك للحديث.

٥ – وضح كيف تطبق هذا الحديث على نفسك.

الحديث الثالث عشر

من تمام الإيمان

عن أبى حَمْزَة أنس بن مالكٍ رَضِى اللهُ عنه خادم رسُول الله ﷺ قال: «**لا يؤمنُ أحَدُكُم حتى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسه**». رَواه البُخارى ومُسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ - أن يحب الدارس لغيره من الخير ما يحب لنفسه.

٢ - أن يحمل الدارس نفسه على حب الخير للناس.

٣ - أن يوضح الدارس كيف يحقق حب الخير لأخيه كما يحب لنفسه.

مفردات الحديث:

«**لا يؤمن**»: الإيمان الكامل.

«**أحدكم**»: من يدعى الإيمان والإسلام منكم.

«**لأخيه**»: المسلم والمسلمة، وقيل: لأخيه الإنسان.

«**ما يحب لنفسه**»: مثل الذى يحبه لنفسه من الخير.

المعنى العام:

تماسك المجتمع المسلم والمحبة والود فيه: يهدف الإسلام أن يعيش الناس جميعًا متوادين ومتحابين، يسعى كل فرد منهم فى مصلحة الجميع وسعادة المجتمع، حتى تسود العدالة، وتنتشر الطمأنينة فى النفوس، ويقوم التعاون والتضامن فيما بينهم، ولا يتحقق ذلك كله إلا إذا أراد كل فرد فى المجتمع لغيره ما يريده لنفسه من السعادة والخير والرخاء، ولذا نجده ﷺ يربط ذلك بالإيمان، ويجعله خَصْلَة من خِصَاله.

الإيمان الكامل: إن أصل الإيمان يتحقق بتصديق القلب الجازم، وإذعانه لربوبية الله عز

وجل، والاعتقاد ببقية الأركان، من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، ولا يتوقف أصل الإيمان على شىء سوى ذلك. وفى هذا الحديث يبين لنا رسول الله ﷺ أن الإيمان لا ترسخ جذوره فى النفس، ولا يتمكن من القلب، ولا يكمل فى صدر المسلم، إلا إذا أصبح إنسان خير، بعيداً عن الأنانية والحقد، والكراهية والحسد، ومما يحقق هذا الكمال فى نفس المسلم:

أن يحب لغيره من الخير المباح وفعل الطاعات ما يحبه لنفسه، وأن يبغض لهم من الشر والمعصية ما يبغضه لنفسه أيضاً.

أن يجتهد فى إصلاح أخيه المسلم، إذا رأى منه تقصيراً فى واجبه، أو نقصاً فى دينه.

روى مسلم عن النبى ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يُزحْزحَ عن النار ويَدخلَ الجنة، فلتدركُه مَنِيَّتُهُ وهو مؤمنٌ بالله واليوم الآخر، ويأتى إلى الناس الذى يُحبُّ أن يُؤتى إليه**».

من كمال الإيمان فى المسلم أن لا يقتصر فى حب الخير لغيره وبغض الشر له على المسلم فحسب، بل يحب ذلك لغير المسلم أيضًا، ولا سيما الإيمان، فيحب للكافر أن يسلم ويؤمن، ويكره فيه ويبغض له الكفر والفسوق، قال عليه الصلاة والسلام: «**وأحِبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسكَ تكنْ مسلمًا**» رواه الترمذى. ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبًا.

فى هذا الحديث حثٌّ منه ﷺ لكل مسلم، أن يحمل نفسه على حب الخير للناس، ليكون ذلك برهانًا منه على صدق إيمانه وحسن إسلامه. وهكذا تسرى المحبة بين الناس جميعًا، وينتشر بينهم الخير.

ما يستفاد من الحديث:

- الحث على ائتلاف قلوب الناس، والعمل على انتظام أحوالهم، وهذا من أهم ما جاء الإسلام من أجله وسعى إليه.

- التنفير من الحسد، لأنه يتنافى مع كمال الإيمان، فإن الحاسد يكره أن يفوقه أحد فى خير أو يُساويه فيه، بل ربما تمنى زواله عنه ولو لم يصل إليه.

التقويم

١ – يحث الإسلام على ائتلاف قلوب الناس – وضح ذلك فى ضوء هذا الحديث الشريف .

٢ – يوجه الرسول ﷺ المسلم إلى أن يحمل نفسه على حب الخير للناس لأن ذلك من تمام الإيمان – وضح ذلك .

٣ – وضح كيف تحقق حب الخير لأخيك كما تحبه لنفسك .

٤ – اذكر الوسائل العملية التى تأخذ بها لتحقيق ذلك .

الحديث الرابع عشر
حُرْمَةُ دم المسْلِم

عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللّهُ عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : **«لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاّ اللّهُ وأنِّى رَسُولُ اللّهِ إلاّ بإحْدَى ثلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانى ، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لدينِهِ الْمُفَارِقُ للْجَمَاعَةِ»** . رَوَاه البُخارى ومُسلم .

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث .

٢ – أن يدرك الدارس حرمة دم المسلم .

٣ – أن يذكر الدارس الحالات التى يهدر فيها دم المسلم .

٤ – أن ينفر من الحرام .

٥ – أن يذكر الدارس ما يفارق به الفرد الجماعة .

أهمية الحديث :

إذا أصبحت حياة الفرد خطراً على حياة الجماعة ، فأصابه المرض وانحرف عن الصحة الإنسانية والسلامة الفطرية ، وأصبح جرثومة خبيثة ، تفتِك فى جسم الأمة ، وتُفْسِد عليها دينها وأخلاقها وأَعراضها ، وتنشر فيها الشر والضلال ، فقد سقط حقه فى الحياة ، وأُهدر وجوده ، ووجب استئصاله ، ليحيا المجتمع الإسلامى فى أمن ورخاء . وهذا الحديث من القواعد الخطيرة لتعلقه بأخطر الأشياء وهو الدماء ، وبيان ما يحل وما لا يحل ، وإن الأصل فيها العصمة .

مفردات الحديث :

«لا يحل دم» : أى لا تحل إراقته ، والمراد : القتل .

«الثيِّب الزانى» : الثيب : من ليس ببكر ، يطلق على الذكر والأنثى ، يقال : رجل ثيب ، وامرأة ثيب ، وإطلاقه على المرأة أكثر ، والزانى : هو فى اللغة الفاجر وشرعاً : وطء الرجل المرأة الحية فى قُبُلِها من غير نكاح (أى عقد شرعى) .

«**التارك لدينه**»: هو الخارج من الدين بالارتداد، والمراد بالدين: الإسلام.

«**المفارق للجماعة**»: التارك لجماعة المسلمين بالرِّدَّة.

المعنى العام:

إنَّ مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأقرّ بوجوده سبحانه ووَحْدانيته، وصدَّق بنبوة خاتم الرسل ﷺ واعترف برسالته، فقد عصم دمه وصان نفسه وحفظ حياته، ولا يجوز لأحد ولا يَحل له أن يُريق دمه أو يُزْهِق نفسه، وتبقى هذه العصمة ملازمة للمسلم، إلا إذا اقترف إحدى جنايات ثلاث:

١ – قتل النفس عمداً بغير حق.

٢ – الزنا بعد الإحصان، وهو الزواج.

٣ – الرِّدَّة.

أجمع المسلمون على أن حد زنى الثيب المحصن الرجم حتى يموت، لأنه اعتدى على عرض غيره، وارتكب فاحشة الزنا بعد أن أنعم الله عز وجل عليه بالمتعة الحلال، فعَدل عن الطيب إلى الخبيث، وجنى على الإنسانية بخلط الأنساب وإفساد النسل، وتنكَّر لنهى الله عز وجل ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٢].

– **القصاص**: أجمع المسلمون على أن من قتل مسلمًا عمداً فقد استحق القصاص وهو القتل، قال الله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة: ٤٥]. وذلك حتى يأمن النَّاسُ على حياتهم، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ١٧٩]. ويسقط القصاص إذا عفا أولياء المقتول.

– **حد الرِّدَّة**: أجمع المسلمون على أن الرجل إذا ارتد، وأصر على الكفر، ولم يرجع إلى الإسلام بعد الاستتابة، أنه يُقتل، روى البخارى وأصحاب السنن: عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ بَدَّلَ دينه فاقتلُوه**».

– **تارك الصلاة**: وأجمع المسلمون على أن من ترك الصلاة جاحداً بها فقد كفر واعتُبر مرتداً، وأقيم عليه حد الرِّدة. وأما إذا تركها كسلاً وهو يعترف بفرضيتها فقد اختلفوا فى ذلك: فذهب الجمهور إلى أنه يُستتاب فإن لم يتب قتل حداً لا كفراً، وذهب الإمام أحمد وبعض المالكية إلى أنه يقتل كفراً، وقال الحنفية: يُحْبَس حتى يصلى أو يموت،

ويُعَزَّر فى حبسه بالضرب وغيره. قال الله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الروم: ٣١] وقال سبحانه: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ [التوبة: ١١]. وقال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**». رواه الإمام أحمد ومسلم.

ما يستفاد من الحديث:

– أن الدين المعتبر هو ما عليه جماعة المسلمين، وهم الغالبية العظمى منهم.

– الحث على التزام جماعة المسلمين وعدم الشذوذ عنهم.

– التنفير من هذه الجرائم الثلاث (الزنا، والقتل، والردة)، والتحذير من الوقوع فيها.

– تربية المجتمع على الخوف من الله تعالى ومراقبته فى السر والعلن قبل تنفيذ الحدود.

– الحدود فى الإسلام رادعة، ويقصد منها الوقاية والحماية.

التقويم

١ – وضح أهمية الحديث.

٢ – وضح حرمة دم المسلم.

٣ – اذكر الحالات التى يهدر فيها دم المسلم.

٤ – ما هو شعورك عندما ترى حرمات الله تنتهك؟

٥ – ما المقصود بالمفارق للجماعة.

الحديث الخامس عشر
من خِصَال الإيمَان

عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِى اللهُ عنهُ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قـال: «**مَنْ كـانَ يُؤمِنُ باللهِ والْيَـوْمِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**». رَوَاه البُخارى ومُسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ - أن يوضح الدارس خصال الإيمان التى نص عليها الحديث.

٢ - أن يوضح الدارس آداب الكلام.

٣ - أن يوضح الدارس عناية الإسلام بالجار.

٤ - أن يذكر الدارس وسائل الإحسان إلى الجار.

٥ - أن يوضح الدارس حث الإسلام على إكرام الضيف.

٦ - أن يوضح الدارس إلى أى مدى يطبق الآداب الواردة بهذا الحديث.

مفردات الحديث:

«**يؤمن**»: المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل، وأصل الإيمان التصديق والإذعان.

«**اليوم الآخر**»: يوم القيامة.

«**يصمت**»: يسكت.

«**فليكرم جاره**»: يُحَصِّلُ له الخير ويكف عنه الأذى والشر.

«**فليكرم ضيفه**»: يقدم له الضيافة (من طعام أو شراب) ويحسن إليه.

المعنى العام:

يحثنا رسول الله ﷺ فى الحديث على أعظم خصال الخير وأنفع أعمال البرّ، فهو يُبيِّن لنا أن من كمال الإيمان وتمام الإسلام، أن يتكلم المسلم فى الشئون التى تعود عليه بالنفع فى دنياه أو آخرته، ومن ثَمّ تعود على المجتمع بالسعادة والهناء، وأن يلتزم جانب

الصمت فى كل ما من شأنه أن يسبب الأذى أو يجلب الفساد، فيستلزم غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه.

روى الإمام أحمد فى مسنده: عن أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**».

فعلى المسلم إذا أراد أن يتكلم أن يفكر قبل أن يتكلم: فإن كان خيراً تكلم به، وإن كان شراً أمسك عنه، لأنه محاسب عن كل كلمة يلفظ بها. قال الله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]. وقال رسول الله ﷺ «**كل كلام ابن آدم عليه لا له....**» وقال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يلقى لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يلقى لها بالاً، يهوى بها فى جهنم**». رواه البخارى.

ومن آداب الكلام:

الإمساك عن الكلام المحرَّم فى أى حال من الأحوال. وعن اللغو وهو الكلام الباطل، كالغيبة والنميمة والطعن فى أعراض الناس ونحو ذلك.

عدم الإكثار من الكلام المباح، لأنه قد يجر إلى المحرم أو المكروه. قال رسول الله ﷺ: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوةٌ للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى**». رواه الترمذى.

- **العناية بالجار والوصاية به**: ومن كمال الإيمان وصدق الإسلام الإحسان إلى الجار والبر به والكف عن أذاه، فالإحسان إلى الجار وإكرامه أمر مطلوب شرعًا، بل لقد وصلت العناية بالجار فى الإسلام، إلى درجة لم يعهد لها مثيل فى تاريخ العلاقات الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**». رواه البخارى.

إن إيذاء الجار خلل فى الإيمان يسبب الهلاك: وهو محرم فى الإسلام، ومن الكبائر التى يعظم إثمها ويشتد عقابها عند الله عز وجل. عن النبى ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه**» رواه البخارى. أى لا يَسْلَم من شروره وأذاه، والمراد بقوله: «**لا يؤمن**»، أى الإيمان الكامل المنجى عند الله عز وجل.

من وسائل الإحسان إلى الجار:

مواساته عند حاجته، روى الحاكم عن النبى ﷺ: **«ما آمن بى من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم»**. مساعدته وتحصيل النفع له، الإهداء له، ولا سيما فى المناسبات.

– **إكرام الضيف** من الإيمان ومن مظاهر حسن الإسلام: يبين لنا رسول الله ﷺ فى الحديث: أن من التزم شرائع الإسلام، وسلك مسلك المؤمنين الأخيار، لزمه إكرام من نزل عنده من الضيوف والإحسان إليهم، **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**.

ومن أدب الضيافة وكرمها البشْر والبشاشة فى وجه الضيف، وطيب الحديث معه، والمبادرة بإحضار ما تيسر عنده من طعام وشراب، وأما الضيف فمن أدبه أن لا يضيق على مزوره ولا يزعجه، ومن التضييق أن يمكث عنده وهو يشعر أنه ليس عنده ما يضيفه به.

ما يستفاد من الحديث:

إن العمل بما عرفناه من مضمون هذا الحديث بالغ الأهمية، لأنه يحقق وحدة الكلمة، ويؤلف بين القلوب، ويذهب الضغائن والأحقاد، وذلك أن الناس جميعًا يجاور بعضهم بعضًا، وغالبهم ضيف أو مضيف، فإن أكرم كل جار جاره، وكل مضيف ضيفه، صلح المجتمع، واستقام أمر الناس، وسادت الألفة والمحبة، ولا سيما إذا التزم الكل أدب الحديث، فقال حسنًا أو سكت.

التقويم

١ – وضح خصال الإيمان التى نص عليها الحديث.

٢ – وضح آداب الكلام.

٣ – وضح عناية الإسلام بالجار.

٤ – اذكر وسائل الإحسان إلى الجار.

٥ – حث الإسلام على إكرام الضيف – وضح ذلك.

٦ – قوِّم مدى التزامك بخصال الخير التى نص عليها الحديث.

٧ – ما آداب الكلام التى تحرص على الالتزام بها؟

٨ – وما الوسائل العملية التى تقوم بها للإحسان إلى جيرانك؟

الحديث السادس عشر
لا تَغْضَبْ وَلَكَ الجَنَّة

عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِى اللهُ عنه أنَّ رَجُلاً قال لِلنَّبِّى ﷺ: أوصِنى، قالَ: **«لا تَغْضَبْ»**، فَرَدَّدَ مرارًا، قال: **«لا تَغْضَبْ»** رواه البخارى.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس المقصود من الغضب.

٢ – أن يوضح الدارس آثار الغضب.

٣ – أن الدارس يوضح علاج الغضب.

٤ – أن يتجنب الدارس أسباب الغضب.

٥ – أن يوضح الدارس مدى التزامه بما يدل عليه الحديث.

مفردات الحديث:

«رجلاً»: قيل: هو أبو الدرداء رضى الله عنه. وقيل: جارية بن قُدَامة رضى الله عنه.

«أوصنى»: دلنى على عمل ينفعنى.

«لا تغضب»: اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه.

«فردد مرارًا»: كرر طلبه للوصية أكثر من مرة.

والغضب: هو ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه إلى الشخص.

المعنى العام:

المسلم إنسان يتصف بمكارم الأخلاق، يتجمل بالحلم والحياء، ويَلْبَس ثوب التواضع والتودد إلى الناس، وتظهر عليه ملامح الرجولة، من الاحتمال وكف الأذى عن الناس، والعفو عند المقدرة، والصبر على الشدائد، وكظم الغيظ إذا اعْتُدِىَ عليه أو أُثير، وطلاقة الوجه والبشر فى كل حال من الأحوال. وهذا ما وَجَّه إليه رسول الله ﷺ ذلك الصحابىَّ المستنصِحَ، عندما طلب منه أن يوصيه بما يبلغه المقصود ويحقق له المطلوب بتلك العبارة الموجزة، الجامعة لكل خير، المانعة لكل شر: **«لا تغضب»**.

الغضب ضعف والحلم قوة: سرعة الغضب والانقياد له عنوان ضعف الإنسان، ولو ملك السواعد القوية، والجسم الصحيح. روى البخارى ومسلم: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**». والصرعة هو الذى يغلب الرجال ولا يغلبه الرجال.

قيل: إذا لم يغضب المرء فقد ترك الشر كله، ومن ترك الشر كله، فقد حصل الخير كله.

آثار الغضب: الغضب خُلُقٌ مذموم وطبع سيئ وسلاح فتاك، إذا استسلم له الإنسان وقع صريع آثاره السيئة، التى تضر بالفرد نفسه أولاً، وبالمجتمع ثانيًا.

أما أضراره بالنفس، فهى: جسمية مادية، وخلقية معنوية، وروحية دينية.

وأما أضراره بالمجتمع: فهو يولد الحقد فى القلوب، وإضمار السوء للناس، وهذا ربما أدى إلى إيذاء المسلمين وهجرهم.

الغضب لله تعالى: الغضب المذموم، الذى يُطلب من المسلم أن يعالجه ويبتعد عن أسبابه، هو ما كان انتقامًا للنفس، ولغير الله تعالى ونصرة دينه. أما ما كان لله تعالى: بسبب التعدى على حرمات الدين، من تحدٍ لعقيدة، أو تهجم على خُلُق أو انتقاص لعبادة، فهو فى هذه الحالة خلق محمود، وسلوك مطلوب.

وورد: أنه ﷺ كان لا يغضب لشىء، فإذا انتُهكتْ حرمات الله عز وجل، فحينئذ لا يقوم لغضبه شىء. رواه البخارى ومسلم.

دفع الغضب ومعالجته:

أسباب الغضب كثيرة ومتنوعة، منها: الكبر والتعالى والتفاخر على الناس، والهزء والسخرية بالآخرين، وكثرة المزاح ولا سيما فى غير حق، والجدل والتدخل فيما لا يعنى.

وأما معالجة الغضب، فيكون بأمور كثيرة أرشدنا إليها الإسلام، منها:

– أن يروض نفسه ويدربها على التحلى بمكارم الأخلاق، كالحلم والصبر والتأنى فى التصرف والحكم.

– أن يضبط نفسه إذا أُغضب ويتذكر عاقبة الغضب، وفضل كظم الغيظ والعفو عن المسىء: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

روى أحمد عن النبى ﷺ: «**ما كظم عبدٌ لله إلا مُلِئَ جوفُه إيمانًا**».

– الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

روى البخارى ومسلم: استبَّ رجلان عند النبى ﷺ، وأحدُهما يسبُّ صاحبَه مُغضبًا قد احمَرَّ وجهُه، فقال النبى ﷺ: «**إنى لأعلمُ كلمةً، لو قالها لذهبَ عنه ما يجد، لو قال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم**».

– تغيير الحالة التى هو عليها حال الغضب، فقد روى أحمد وأبو داود: عن النبى ﷺ قال: «**إذا غضبَ أحدُكم وهو قائم فليجلسْ، فإن ذهبَ عنه الغضب، وإلا فليضطجعْ**».

– ترك الكلام، لأنه ربما تكلم بكلام قوبل عليه بما يزيد من غضبه، أو تكلم بكلام يندم عليه بعد زوال غضبه، روى أحمد والترمذى وأبو داود: «**إذا غضب أحدُكم فليسكت**». قالها ثلاثًا.

– الوضوء، وذلك أن الغضب يُثير حرارة فى الجسم، والماء يبرده فيعود إلى طبعه، روى أحمد وأبو داود: أنه ﷺ قال: «**إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ من النار، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضأ**».

ونعدد بعض وسائل علاج الغضب فيما يلى:

– يتذكر الإنسان ما يترتب عليه من المفاسد.

– يتذكر الإنسان ما جاء فى فضل الحلم وكظم الغيظ.

– يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

– يغتسل أو يتوضأ.

– يغير الحالة التى هو عليها؛ يجلس أو يضطجع.

– يتذكر الإنسان عظمة الله عليه.

– يتذكر الإنسان حلم الله على عباده.

التقويم

١ – وضح المقصود من الغضب .

٢ – وضح آثار الغضب .

٣ – وضح علاج الغضب .

٤ – هل هناك غضب محمود؟ وضح ذلك .

٥ – الغضب ضعف والحلم قوة – وضح ذلك .

٦ – اذكر الوسائل العملية التى أخذت بها شخصيًا فى علاج الغضب .

الحديث السابع عشر

عُمومُ الإحْسَان

عن أبى يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أوْسٍ رضى اللهُ عنه، عن رَسُولِ الله ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسانَ على كلِّ شَىءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبيحَتَهُ»**. رواه مسلم.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس أهمية الحديث .

٢ – أن يذكر الدارس المقصود بالإحسان .

٣ – أن يذكر الدارس جوانب الإحسان .

٤ – أن يوضح الدارس مدى التزامه بالأحسان فى كل أعماله .

أهمية الحديث:

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين المهمة، ويتضمن إتقان جميع تعاليم الإسلام، لأن الإحسان فى الفعل يكون بإتقانه كما طلب الشرع .

مفردات الحديث:

«كتب»: طلب وأوجب .

«الإحسان»: مصدر أحسن إذا أتى بالحَسَن، ويكون بإتقان العمل .

«القِتلة»: بكسر القاف، طريقة القتل .

«ليحد»: يقال أحَدَّ السكين، وحَدَّها، واستحدَّها بمعنى واحد .

«شفرته»: السكين وما يذبح بها، وشفرتُها: حَدُّها .

المعنى العام:

ينص الحديث على وجوب الإحسان، وهو الإحكام والإكمال والتحسين فى الأعمال المشروعة، وقد أمر الله به فى كتابه العزيز فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾**

[النحل : ٩٠] وقال سبحانه : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥]. وهو مطلوب عند الإتيان بالفرائض، وفى ترك المحرمات، وفى معاملة الخلق، والإحسان فيها أن يأتى بها على غاية كمالها، ويحافظ على آدابها المصححة والمتممة لها، فإذا فعل قُبل عمله وكَثُر ثوابه.

الإحسان فى القتل: وهو تحسين هيئة القتل بآلة حادة، ويكون بالإسراع فى قتل النفوس التى يُباح قتلها على أسهل الوجوه، والقتل المباح إما أن يكون فى الجهاد المشروع، وإما أن يكون قصاصًا أو حداً من حدود الله تعالى، وقد نهى النبى ﷺ عن المُثلَة، وهى قطع أجزاء من الجسد، سواء أكان ذلك قبل الموت أم بعده، ففى صحيح البخارى أن النبى ﷺ : نهى عن المُثلة.

ولئن جاز للمسلمين أن يستخدموا الأسلحة النارية والمدفعية المدمرة من قبيل المعاملة بالمثل ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤]، فإنه لا يجوز لهم بحال من الأحوال أن يتجهوا فى قتالهم بها إلى التعذيب والتشويه، فالإسلام يرفض هذا المسلك المتوحش، ويبقى منطلقه هو الإحسان إلى كل شىء، وخاصة الإنسان.

النهى عن التحريق بالنار: ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ أذنَ بالتحريق بالنار ثم نهى عنه، وروى البخارى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : «**لا تُعَذِّبُوا بعذاب الله عز وجل**». وهذا يدل على أن تعاليم النبى الكريم تقدمت وسبقت ما اتفقت عليه الدول من منع القنابل المحرقة، علمًا بأن الدول الكبيرة والقوية لم تلتزم بهذا المنع، بل بقى حبراً على ورق!

والنهى عن التحريق فى الإسلام يشمل الحيوانات والهوام، ففى مسند الإمام أحمد وأبى داود والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبى ﷺ فمررنا بقرية نمل قد أُحرقت، فغضب النبى ﷺ وقال : «**إنه لا ينبغى لبشرٍ أن يُعَذِّبَ بعذاب الله عز وجل**».

الإحسان فى ذبح البهائم: وفى الإسلام آداب يلتزم بها المسلم عند الذبح وهى بمجموعها تجسيد عملى للإحسان والرفق، فمن ذلك أن يحدَّ الشفرة، ليكون الذبح بآلة حادة تريح الذبيحة بتعجيل زهوق روحها، ومن الآداب الرفق بالذبيحة، فتساق إلى الذبح سوقًا رفيقًا، وتوارى السكين عنها، ولا يُظهرْ السكين إلا عند الذبح.

كما يستحب أن لا يذبح ذبيحة بحضرة أخرى، ويوجه الذبيحة إلى القبلة، ويسمى عند الذبح، ويتركها إلى أن تبرد، ويستحضر نية القُرْبة، ويعترف لله تعالى بالمنّة فى ذلك، لأنه سبحانه سَخَّرَ لنا هذه البهائم وأنعم بها علينا. ومن الإحسان لها أن لا تُحَمَّل فوق طاقتها، ولا تركب واقفة إلا لحاجة، ولا يُحلب منها إلا ما لا يضرُّ بولدها.

ما يستفاد من الحديث:

- الحرص على الإحسان فى كل عمل.

التقويم

١ – وضح أهمية الحديث.

٢ – يحث الإسلام على وجوب الإحسان فى كل شىء – وضح ذلك.

٣ – وضح الوسائل العملية التى قمت بها لتحقيق الإحسان فى عمل ما.

٤ – وضح مدى التزامك بالإحسان فى كل أعمالك.

الحديث الثامن عشر

تَقوَى اللهِ تَعَالَى وَحُسنُ الخُلُق

عن أبى ذَرٍّ جُنْدُب بن جُنَادَة، وأبى عبد الرحمن مُعَاذ بن جَبَلٍ رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**اتقِ اللَّهَ حيثما كنتَ، وأتْبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخَالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**». رواه الترمذى وقال: حديث حسن. وفى بعض النسخ: حسن صحيح.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ – أن يوضح الدارس المقصود بتقوى الله عز وجل.

٢ – أن يوضح الدارس فضل تقوى الله عز وجل.

٣ – أن يوضح الدارس المقصود بـ«**أتبع السيئة الحسنة تمحها**».

٤ – أن يبادر الدارس بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل.

٥ – أن يوضح الدارس المقصود بالخلق الحسن.

٦ – أن يذكر الدارس وسائل اكتساب الخلق الحسن.

٧ – أن يوضح الدارس مدى التزامه بآداب هذا الحديث.

مفردات الحديث:

«**اتق الله**»: التقوى فى اللغة: اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره، وتقوى الله عز وجل: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقاب الله وقاية تقيه وتحفظه منه، ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

«**حيثما كنت**»: أى فى أى زمان ومكان كنت فيه، وَحْدَكَ أو فى جمع، رآك الناس أم لم يَرَوْكَ.

«**أتبعْ**»: ألحقْ، وافعل عقبها مباشرة.

«**السيئة**»: الذنب الذى يصدر منك.

«**تمحها**»: تزيلها من صحائف الملائكة الكاتبين وترفع المؤاخذة عنها.

«**خالقْ**»: جاهد نفسك وتكلف المجاملة.

«**بخلق**»: الخلق الطبع والمزاج الذى ينتج عنه السلوك.

المعنى العام:

التقوى سبيل النجاة: أعظم ما يوجهنا إليه رسول الله ﷺ فى هذه الوصية تقوى الله عز وجل، التى هى جماع كل خير والوقاية من كل شر، بها استحق المؤمنون التأييد والمعونة من الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** [النحل: ١٢٨]. ووعدهم عليها الرزق الحسن، والخلاص من الشدائد: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢ – ٣]. وبها حفظهم من كيد الأعداء: **﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾** [آل عمران: ١٢٠]. وجعل للمتقين حقًا على نفسه أن يرحمهم: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٦].

فالتقوى ليست كلمة تقال، أو دعوى تُدعى دون برهان، بل هى عمل دائب فى طاعة الله عز وجل، وترك صارم لمعصية الله تبارك وتعالى، ولقد فسر السلف الصالح التقوى بقولهم: أن يُطَاعَ اللهُ فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُنْسَى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ. ولقد عملوا بهذا المعنى والتزموه، فى سرهم وعلانيتهم، وكل حال من أحوالهم وشئونهم، تنفيذاً لأمر الله تعالى وتلبية لندائه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢].

ومن كمال التقوى: البعد عن الشبهات وما التبس بالحرام من الأمور: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**». البخارى ومسلم. [انظر الحديث رقم: ٦].

كما يوجهنا الحديث إلى:

أن التوبة من الذنب الإسراع فى عمل الخير لأن هذا خلق المؤمنين المتقين، وقد يغلب على الإنسان النسيان أو الغفلة، وقد تغريه نفسه أو يوسوس له شيطانه، فيقع فى المعصية ويرتكب الذنب، ومن التقوى – عندئذ – أن يسارع إلى التوبة ويستغفر الله عز وجل إذا ذُكِّرَ أو نُبِّه، قال تعالى فى وصف المتقين: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ**

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. ثم يبادر المسلم التقى، بعد التوبة والاستغفار، إلى فعل الخيرات والإكثار من الأعمال الصالحة، لتكفر عنه ذنبه وتمحو ما اقترفه من إثم، واثقًا بوعد الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. ومستجيبًا لأمر رسول الله ﷺ إذ قال: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**.

– **التوبة شرط لتكفير الكبائر**: أجمع المسلمون على أن الحسنات تُكفر الذنوب الصغيرة، وأما الذنوب الكبيرة – وهى كل ذنب توعد الله تعالى عليه بالعقاب الشديد، كعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا، وشرب الخمر ونحو ذلك – فلا بد فيها من التوبة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] وهذا إذا كان الذنب لا يتعلق بحق العباد، فإن كان متعلقًا بحق العباد – كالسرقة والغصب والقتل ونحو ذلك – فلا بد فيها من أداء الحقوق لأهلها، أو طلب المسامحة منهم ومسامحتهم، فإذا حصل ذلك رُجى من الله تعالى القبول ومحو الذنوب، بل تبديلها حسنات، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

– **الأخلاق أساس قيام الحضارة الإنسانية**: يوجهنا رسول الله ﷺ، فى هذه الوصية، إلى أمر فيه صلاح حياة الفرد واستقامة نظام المجتمع، ألا وهو معاملة الناس بالخلق الحسن الجميل، معاملة الإنسان للناس بما يحب أن يعاملوه به من الخير، حتى يصبح المسلمُ أليفًا، يُحب الناس ويحبونه، ويكرمهم ويكرمونه، ويُحسن إليهم ويُحسنون إليه.

وللأخلاق منزلة رفيعة فى الإسلام، قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأحبكم إلى الله، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة؟. قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقًا»** رواه ابن حبان فى صحيحه.

– **اكتساب الخلق الحسن**: يمكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق الحسنة الرفيعة، وذلك بالاقتداء برسول الله ﷺ فى حسن خلقه، ولقد أمرنا الله عز وجل بذلك إذ قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

– **ومن وسائل اكتساب الأخلاق الحميدة**: صحبة الأتقياء والعلماء، وذوى الأخلاق الفاضلة، ومجانبة الأشرار وذوى الأفعال الدنيئة الرديئة.

– **من مكارم الأخلاق**: صلة الرحم، والعفو والصفح، والعطاء رغم المنع، روى الحاكم

وغيره عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«ياعقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»** وفى رواية عند أحمد **«وتصفحُ عمن شتمك»**.

ومن حسن الخلق: بشاشة الوجه، والحلم والتواضع، والتودد إلى الناس وعدم سوء الظن بهم، وكف الأذى عنهم. قال ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**. رواه مسلم.

التقويم

١– وضح المقصود بتقوى الله عز وجل.

٢– وضح فضل تقوى الله عز وجل.

٣– وضح المقصود بـ **«أتبع السيئة الحسنة تمحها»**.

٤– اذكر الوسائل العملية التى تساعد على المبادرة بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل؟

٥– وضح المقصود بالخلق الحسن.

٦– اذكر وسائل اكتساب الخلق الحسن.

٧ – وضح مدى التزامك بآداب هذا الحديث.

الحديث التاسع عشر
عَونُ الله تعالى وحِفْظُهُ ونصره وتأييده

عن أبى العَبَّاس عَبْدِ الله بن عَبْاسٍ رَضى اللهُ عنهما : قال : كُنْتُ خَلْفَ النبى ﷺ يَوْمًا، فقال : «**يا غُلامُ ، إنِّى أعَلِّمُكَ كلمات : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ ، إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا اسْتَعنْتَ فاسْتَعِنْ بالله ، واعْلَمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشَىءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بشَىءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وإن اجْتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ بشىءٍ لَمْ يَضُرُوكَ إلا بشَىء قد كَتَبهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وَجفَّتِ الصُّحُفُ**». رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيحٌ.

وفى رواية غير الترمذى [رواية الإمام أحمد] : «**احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ أمَامَكَ ، تَعرَّفْ إلى الله فى الرَّخاء يَعْرِفْكَ فى الشِّدة ، واعْلَمْ أنَّ ما أخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ ، وَمَا أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، واعْلَمْ أنَّ النَّصرَ مع الصَّبْر ، وأنَّ الفرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وأَنَّ معَ العُسْر يُسْرًا**».

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يوضح الدارس كيف يحفظ الله تعالى.

٢ – أن يلتزم الدارس أوامر الله تعالى ويقف عند حدوده.

٣ – أن يستمد الدارس العون والنصرة من الله وحده.

٤ – أن يكون الدارس شجاعًا مقدامًا لا ترهبه المواقف ولا تخيفه المخاطر.

٥ – أن يعلم الدارس أن الأمر كله بيد الله وحده.

٦ – أن يوضح الدارس مدى التزامه بما ورد فى هذا الحديث من آداب.

مفردات الحديث :

«**احفظ الله**» : اعرف حدوده وقف عندها.

«**يحفظك**» : يصونك ويحميك فى نفسك وأهلك، ودينك ودنياك.

«**تجاهك**» : أمامك، أى تجده معك بالحفظ والتأييد، والنصرة والمعونة حيثما كنت.

«**رُفعت الأقلام**» : تركت الكتابة بها، والمراد أنه قد قدر كل شىء فى علم الله تعالى وانتهى.

«**جفت الصحف**» : المراد بالصحف ما كتب فيه مقادير المخلوقات كاللوح المحفوظ، وجفافها : انتهاء الأمر واستقراره، فلا تبديل فيها ولا تغيير.

المعنى العام :

اهتمام النبى ﷺ بتوجيه الأمة، وتنشئة الجيل المؤمن المثالى :

كان رسول الله ﷺ حريصًا أن يغرس العقيدة السليمة فى نفوس المؤمنين، وخاصة الشباب منهم. وكان مرة قد أردف خلفه ابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فوجه إليه تلك النصائح الرائعة، التى من شأنها أن تجعل المسلم يلتزم أوامر الله تعالى، ويستمد العون والنصرة منه وحده، فيصبح شجاعًا مقدامًا، لا ترهبه المواقف ولا تخيفه المخاطر، يقول الحق ولا يخاف فى الله لومة لائم، إذ علم أن الأمر كله بيد الله العزيز الحكيم، وأنه لا يملك أحد من الناس ضرًا ولا نفعًا لأحد إلا بإذن الله تعالى.

– **احفظ الله يحفظك** : التزم أوامر الله تعالى، فقف عند حدوده فلا تقربها، وإياك أن تتعداها، وقم بما فرض عليك ولا تتهاون به، وابتعد عما نهاك عنه واجعل بينك وبينه حجابًا، وانظر عندها كيف يحفظ الله تعالى عليك دينك، ويصون عقيدتك من الزيغ، ويقيك من هواجس النفس ورجس الضلال، وكيف يحميك من شرار الخلق، ويمنعك من شياطين الإنس والجن، ويدفع عنك كل أذى أو ضيم.

وإن أنت حفظت الله تعالى فى دنياك حفظك فى آخرتك، فوقاك من النار وأعدَّ لك جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين: تناديك الملائكة مرحبة ومكرمة: ﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق : ٣٢ – ٣٥]. وفاءً بما بشَّرك به الله تعالى إذا قال: ﴿**وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة:١١٢].

– **نصرة الله تعالى وتأييده**: من حفظ الله تعالى كان معه، يعينه وينصره، ويحميه ويؤيده، ويوفقه و يسدده، كلما حلك الظلام أو ضاقت به الأحوال: «**احفظ الله تجده تجاهك**» تجده معك حارسًا وحاميًا، وعضدًا وسندًا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم**

مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

– **التوجه إلى الله تعالى وحده بالاستعانة والدعاء والسؤال**: يوجه رسول الله ﷺ ابن عمه – ومن على طريقه من المؤمنين الصادقين – أن يكون توجهه دائمًا وأبدًا إلى الله سبحانه وتعالى العلى القدير، ومنه وحده يطلب العطاء، وبه يستغاث ويستعان، فلا يسأل سواه، ولا يستمد العون من غيره، كما لا يتوجه بالدعاء والشكر إلا إليه، ولا ترجى المغفرة إلا لديه، ولا يركع أو يسجد إلا بين يديه «**إذا سألت فاسأل الله**».

السؤال ممن لا يملُّ العطاء: من كمال التوحيد ترك سؤال الناس، وأن يطلب المسلم من الله وحده فى كل شأن من الشئون ، لأنه سبحانه هو الذى ألح على عباده أن يسألوه، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

وروى الترمذى عن النبى ﷺ قال: «**سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل**». وهو سبحانه الذى لا يمل سؤالاً ولا طلباً، لأن خزائنه ملأى لا تنفذ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

سؤال غير الله ذلة ومهانة: إن الناس إذا سئلوا: فإما أن يعطوا، وإما أن يمنعوا، وهم إن أعطوا منوا، وإن منعوا أهانوا وأذلوا، وكل ذلك مما يحز فى نفس المسلم ويدخل عليه المقت والكرب، ويحط من كرامته، وينال من عزته، ولذلك كان ﷺ ربما أخذ العهد على من يبايعه على الإسلام أن لا يسأل الناس شيئًا، وقد بايع جماعة من الصحابة على ذلك، منهم: أبوبكر الصديق وأبوذر، وثوبان، وعوف بن مالك، رضى الله عنهم.

الاستعانة بالقوى الذى لا يُغلب: الاستعانة إنما تكون بالقوى القادر على الإعانة، والعبد يحتاج إلى الإعانة فى كل كبير وصغير، ولا قادر على ذلك إلا الله سبحانه، وغيره عاجز عن أن يدفع عن نفسه ضراً أو يجلب لها نفعًا، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

الاستعانة بغير الله عز وجل استكانة وضعف: إن الاستعانة تستدعى إظهار ضعف المستعين وحاجته ومسكنته، وهذا تذلل وافتقار لا يكون إلا لله وحده، لأنه حقيقة العبادة، فإن كان لغيره تعالى كان ذلاً واستكانة لا جدوى منها.

– **الإيمان بالقضاء والقدر سكينة واطمئنان**: بعد الثقة بحفظ الله تعالى وتأييده، والاعتماد عليه وحده فى كل الشئون، لا يبالى العبد المؤمن بما يدبره الخلق أو يفعله العبد، بل فليعلم أن الخير والشر بتقدير الله تعالى، وأن النفع والضر بإرادته وليس للعالمين من الأمر شيء: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]. وإنما العباد أسباب لينالوا الثواب أو يستحقوا العقاب: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك**». ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

فلا يستطيع أحد أن يسبب لك أذى لم يقدره الله عليك، بل يدفعه الله سبحانه عنك، وكذلك إذا أغراك أحد بالنفع فلا يمكن أن يحقق لك ما يعدك به، إذا كان الله سبحانه لم يرده لك: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

روى أحمد وغيره، عن النبى ﷺ قال: «**إن لكل شىءٍ حقيقة، وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكنّ ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**».

– **إيمان لا استسلام، وتوكل لا تواكل**: إن الإيمان بالقضاء والقدر، الذى سبق، يدلنا على بطلان ادعاء أولئك الجبناء المتخاذلين، المستسلمين لشهواتهم وأهوائهم، عندما يحتجون لانحرافهم وضلالهم، واستمرارهم على المعصية وإصرارهم، ويحتجون بتقدير الله تعالى ذلك عليهم، فى حال أن الله تعالى – الذى أمرنا بالإيمان بقضائه وقدره – أمرنا بالعمل فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ورسوله ﷺ، الذى هو قدوتنا فى كل شىء، أبان لنا أن على المسلم أن يأخذ بالأسباب، من العمل والسعى وبذل الجهد، فمن ترك الأسباب محتجًا بالقدر فقد عصى الله تعالى ورسوله ﷺ، وخالف شرعة الإسلام، لأن ترك الأسباب تواكل وكسل لا يرتضيه الإسلام، والأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى وحده فى تحقيق النتائج توكل وإيمان، روى مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلق**».

- **النصر مع الصبر**: إن حياة الإنسان معارك متنوعة، يتعرض فيها لأعداء كثيرة ومتلونة، وإن انتصاره فى هذه المعارك مرتبط بمدى صبره ومترتب عليه. فالصبر هو طريق الظفر بالمطلوب، وهو السلاح الفعال لقهر العدو بمختلف أشكاله، خفيًا كان أم ظاهرًا، لذا جعله الله عز وجل مادة الاختبار لعباده فى هذه الحياة، ليميزَ الخبيثَ من الطيب، ويعلم الصادق المتيقن من المنافق المرتاب: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد: ٣١]. ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٦]. أى من الأمور التى ينبغى أن يعزم عليها كل عاقل ويوطن نفسه عليها، لما فيها من كمال المزية والشرف.

ونحن لو استعرضنا آيات الله عز وجل، وأحاديث رسوله المصطفى ﷺ، لوجدنا أن كلمة الصبر ترد فى مواطن عدة، كلها تلتقى على المعنى المذكور للصبر، وتهدف إلى غاية واحدة وتحقق النتيجة نفسها، ألا وهى الفوز والانتصار.. ومن هذه المواطن:

أ - الصبر على فعل الطاعة وترك المعصية.

ب - الصبر على المصائب.

جـ - الصبر فى ميدان الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

د -الصبر فى ميادين القتال ومنازلة الكفار.

ثمرات الصبر:

إنك تستوحى مما سبق أن من ثمرات الصبر: الرضا، والطمأنينة، والشعور بالسعادة، وتحقيق العزة والكرامة والخير، واستحقاق التأييد من الله عز وجل، والعون والنصرة والمحبة، وفوق هذا كله تلك الثمرة الأخروية، التى تتمثل بذلك النعيم المقيم، الذى يحوزونه موفَّرًا بغير حساب: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠] فى جنة عرضها السماوات والأرض.

ويتوجه رب العزة بالمغفرة والفوز والرضوان: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١١]، ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

الفرج مع الكرب:

قد تتوالى على الإنسان مصائب ومحن ويتعرض لصنوف البلاء، وتشتد عليه الأمور وتضيق به، حتى يصل إلى حال من شأنها أن تجعل الحزن والغم يأخذ بنفسه ويقع فى الكرب، وكل ذلك اختبار من الله سبحانه، وحتى يشق المؤمن طريقه إلى الجنة بجدارة، فإذا نجح فى الامتحان، فصبر واحتسب على النحو الذى علمت، ولم يضجر ولم ييأس، وأدرك أن كل ذلك بقضاء الله تعالى وقدره، فرضى به واطمأنت إليه نفسه، وتداركته عناية الله تعالى، فكشفت ما به من غم، وأجلت من نفسه كل حزن، وخلصته من كل ضيق، وأنقذته من كل أسى، وكان النصر المبين والفوز العظيم فى الدنيا والآخرة. وعندها يستبين لهذا العبد المؤمن التقى: أن النور ينبثق من باطن الظلمة، وأن الغيث يخرج من الغيوم القاتمة، وأن ما كان فيه من كرب إنما هو لخير أريد به، وأن الفرج فى طياته وجنباته، وأن ذلك لم يكن إلا لينقطع العبد الصادق عن كل ما سوى الله عز وجل، ويرتبط قلبه بخالقه وحده الذى استيقن أن الأمر كله بيده. واقرأ فى هذه المعانى قول الله عز وجل: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤].

ما يستفاد من الحديث:

١ - يحسن للمعلم أن يلفت انتباه المتعلم، ويذكر له أنه يريد أن يعلمه، قبل أن يبدأ بإعطاء المعلومات إليه، ليكون أوقع فى نفسه، ويشتد شوقه للعلم ويقبل عليه برغبة.

٢ - من كان على حق ودعا إليه، أو أمر بالمعروف، أو نهى عن المنكر، فإنه لا يضره كيد الظالمين ولا مكر أعداء الله المبطلين.

٣ - على المسلم أن يقوم بواجبه من فعل الطاعات، وترك المنكرات، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، دون أن يصغى لمن يخيفه من العواقب، من ضعفاء الإيمان واليقين، لأن ما قُدِّر له لا بد أن يصيبه.

٤ - التوجه إلى الله تعالى وحده بالاستعانة والدعاء والسؤال.

٥ – احفظ الله تعالى فى دنياك يحفظك فى دنياك وفى آخرتك.

٦ – النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، فدرب نفسك على الصبر بكل صوره.

التقويم

١ – ما المعينات التى تأخذ بها لتحقيق الالتزام بأوامر الله تعالى والوقوف عند حدوده؟

٢ – يجب على المسلم أن يستمد العون والنصرة من الله وحده – اذكر موقفًا عمليًا قمت به حققت من خلاله هذا المعنى.

٣ – يحث الإسلام المسلم أن يكون شجاعًا مقدامًا لا ترهبه المواقف ولا تخيفه المخاطر.. وضح ذلك.

٤ – يربى الإسلام فى المسلم: أن يعلم أن الأمر كله بيد الله وحده – وضح ذلك.

٥ – وضح مدى التزامك بما جاء فى هذا الحديث من آداب.

٦ – وضح كيف تدرب نفسك على الالتزام بالآداب الواردة فى هذا الحديث.

* * *

الحديث العشرون

الحياء من الإيمان

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مما أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوةِ الأُولَى: إذا لَمْ تَسْتَحْى فاصْنَعْ ما شِئْتَ**». رواه البخارى.

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١– أن يوضح الدارس أهمية الحديث.

٢– أن يوضح الدارس أنواع الحياء.

٣– أن يذكر الدارس ثمرات الحياء.

٤– أن يوضح الدارس ما يذم من الحياء.

٥ – أن يوضح الدارس مدى التزامه بما جاء فى هذا الحديث من آداب.

أهمية الحديث:

إذا كان معنى الحياء امتناع النفس عن فعل ما يعاب، وانقباضها من فعل شئ أو تركه مخافة ما يعقبه من ذم، فإن الدعوة إلى التخلق به وملازمته إنما هى دعوة إلى الامتناع عن كل معصية وشر، وإلى جانب ذلك فإن الحياء خصلة من خصال الخير التى يحرص عليها الناس، ويرون أن فى التجرد عنها نقصًا وعيبًا، كما أنه من كمال الإيمان وتمامه.

مفردات الحديث:

«**من كلام النبوة**»: مما اتفق عليه الأنبياء، ومما ندب إليه الأنبياء.

«**فاصنع ما شئت**»: صيغة الأمر هنا: إما أن تكون على معنى التهديد والوعيد، والمعنى إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإنك مجازى عليه، وإما أن تكون على معنى الإباحة، والمعنى إذا أردت فعل شئ وكان مما لا تستحى من فعله أمام الله والناس فافعله.

معنى الحديث:

«**فاصنع ماشئت**». أمرٌ بمعنى التهديد والوعيد، فكأنه ﷺ يقول: إذا لم يكن عندك

حياء فاعمل ما شئت، فإن الله سيجازيك أشد الجزاء، وقد ورد مثل هذا الأمر فى القرآن الكريم خطابًا للكفار ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ [فصلت: ٤٠].

الحياء نوعان:

أحدهما: الحياء الفطرى: وهو ما كان خلقاً غير مكتسب، يرفع من يتصف به إلى أجلِّ الأخلاق، التى يمنحها الله لعبد من عباده ويفطره عليها، والمفطور على الحياء يكف عن ارتكاب المعاصى والقبائح ودنئ الأخلاق، ولذا كان الحياء مصدر خير وشعبة من شعب الإيمان، قال ﷺ: «**الحياء شعبة من شعب الإيمان**».

وثانيهما: الحياء المكتسب: وهو ما كان مكتسبًا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه سبحانه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور، والمسلم الذى يسعى فى كسب وتحصيل هذا الحياء إنما يحقق فى نفسه أعلى خصال الإيمان وأعلى درجات الإحسان.

وإذا خلت نفس الإنسان من الحياء المكتسب، وخلا قلبه من الحياء الفطرى، لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والدنئ من الأفعال، وأصبح كمن لا إيمان له من شياطين الإنس والجن.

ما يذم من الحياء: عندما يكون الحياء امتناع النفس عن القبائح والنقائص فإنه خلق يمدح فى الإنسان، لأنه يكمل الإيمان ولا يأتى إلا بخير، أما عندما يصبح الحياء زائداً عن حده المعقول فيصل بصاحبه إلى الاضطراب والتحير، وتنقبض نفسه عن فعل الشئ الذى لا ينبغى الاستحياء منه، فإنه خلق يذم فى الإنسان، لأنه حياء فى غير موضعه، وخجل يحول دون تعلم العلم وتحصيل الرزق، وقد قيل: حياء الرجل فى غير موضعه ضعف. فإن الحياء الممدوح الذى يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذى يوجب التقصير فى شئ من حقوق الله أو حقوق عباده فليس هو من الحياء، فإنما هو ضعف وخور.

تتزين المرأة المسلمة بالحياء، وتشارك الرجل فى إعمار الأرض وتربية الأجيال بطهارة الفطرة الأنثوية السليمة، فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج، إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.

ثمرات الحياء: من ثمرات الحياء العفة، فمن اتصف بالحياء حتى غلب على جميع أفعاله، كان عفيفًا بالطبع لا بالاختيار.

ما يستفاد من الحديث: يرشدنا إلى أن الحياء خير كله، ومن كثر حياؤه كثر خيره، ومن قل حياؤه قل خيره. لا حياء فى تعليم أحكام الدين، ولا حياء فى طلب الحق.

التقويم

١- وضح أهمية الحديث.

٢- وضح أنواع الحياء.

٣- اذكر ثمرات الحياء.

٤- وضح ما يذم من الحياء.

٥- وضح واجب الآباء والمربين فى المجتمع المسلم تجاه خلق الحياء.

٦- وضح مدى التزامك بما جاء فى هذا الحديث من آداب.

المصادر:

١- الوافى فى شرح الأربعين النووية للدكتور / مصطفى البُغَا، محيى الدين مستو. دار ابن كثير - دمشق - بيروت.

٢- شرح متن الأربعين النووية للإمام النووى - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الفصل الثالث

العقيدة

من أركان الإيمان

الركن الرابع : الإيمان بالرسل والأنبياء

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ – أن يوضح المقصود بالإيمان بالرسل .

ب– أن يوضح كيف نؤمن بمحمد ﷺ .

ج – أن يوضح كيف نؤدى حق النبى ﷺ .

د – أن يراجع نفسه . . هل يؤدى حق النبى ﷺ .

هـ – أن يذكر بعض معجزات الرسل .

أ – المقصود بالإيمان بالرسل والأنبياء :

الإيمان بالرسل والأنبياء واجب؛ لأنه أصل من أصول الدين من أخل به كفر، قال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ويجب الإيمان إجمالاً بجميع أنبياء الله ورسله بدون حصر؛ لأن حصرهم غير معلوم بنص القرآن، لقوله عز وجل : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٦٤، ١٦٥] .

- ويجب الإيمان تفصيلاً بالمرسلين الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، وعددهم أربعة وعشرون، وهم حسب ترتيب وجودهم :

آدم – إدريس – نوح – هود – صالح – إبراهيم – لوط – إسماعيل – إسحاق – يعقوب – يوسف – أيوب – شعيب – موسى – هارون – يونس – داود – سليمان – إلياس – اليسع – زكريا – يحيى – عيسى – محمد عليهم الصلاة والسلام . وعدّ أكثر المفسرين منهم (ذا الكفل) فيكون عددهم خمسة وعشرين رسولاً .

- وأولو العزم من الرسل عددهم خمسة من الترتيب الآتى مبدوءاً بأعلاهم منزلة : محمد – إبراهيم – موسى – عيسى – نوح، عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى :

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وسُموا بذلك؛ لأنهم صبروا على أذى قومهم، وصبروا على المشاق والمتاعب، وتحملوا أكثر من غيرهم.

لذلك كله تجد العلماء عرفوا للرسل مكانتهم، ووضعوهم فى الموضع اللائق بهم بالنسبة لحاجة الناس إليهم، وضرورة الأخذ بما جاءوا به من دين، فيقول ابن القيم فى ذلك: «إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا على أيدى الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاءوا به، فهم الميزن الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يُمَيَّز أهل الهدى من أهل الضلالة، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأية ضرورة وحاجة فُرِضَت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير».

وإذا كانت سعادة العبد فى الدارين معلقة باقتفاء آثارهم خصوصًا إمامهم النبى الخاتم محمد ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديهم وسيرتهم وشأنهم، ما يخرج به عن الجاهلية، ويدخل به فى عداد أتباعهم وشيعتهم وحزبهم. والناس فى هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. (العقائد الإسلامية)

ب- وأما الإيمان بالرسول محمد ﷺ:

فنؤمن أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷺ: **«مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** رواه مسلم.

كما يجب أن نعتقد أنه مبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، فقد حكى الحق سبحانه وتعالى قول الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٣].

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله ﷺ: **«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون»** رواه مسلم.

ج- كيف نؤدى حق النبى ﷺ علينا؟

من السلوكيات التى يلتزم بها المسلم مع النبى ﷺ:

١- تصديقه ﷺ:

المسلم يصدق النبى ﷺ فى كل ما أخبر به؛ لأنه يعلم أنه مرسل من ربه، ولا يتحدث من تلقاء نفسه، بل بما يوحيه الله إليه. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

٢- طاعته ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقد جعل الله طاعته مقترنة بطاعة نبيه ﷺ، وذلك من تشريف الله وتعظيمه لنبيه، يقول تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ويحذر الله من عاقبة مخالفة النبى ﷺ فيقول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٣- حبه ﷺ:

قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»** متفق عليه.

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: **«وما أعددت لها»**؟ قال: لا شىء إلا إنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: **«أنت مع من أحببت»**. قال أنس: فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ: **«أنت مع من أحببت»**. قال أنس: «فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم». متفق عليه.

٤- الاقتداء به ﷺ :

المسلم يتأسى بأخلاق النبى ﷺ ويقتدى به، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

٥- الصلاة عليه ﷺ :

المسلم يكثر من الصلاة عليه ﷺ، وخاصة إذا ذكر اسمه، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وحث ﷺ على الإكثار من الصلاة عليه، فقال : « **من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشراً** ». رواه مسلم .

وقال ﷺ : « **البخيل من ذُكرت عنده، فلم يصل علىّ** » رواه الترمذى وأحمد والنسائى .

ويستحب أن يكثر المسلم من الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة وليلتها؛ كما يستحب الصلاة عليه ﷺ عقب الأذان وآخر التشهد، وحين يذكر اسمه ، وفى كل وقت .

وللصلاة عليه ﷺ صيغ كثيرة، منها : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد على آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد » رواه أحمد .

٦- الدعاء له ﷺ :

قال ﷺ : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ؛ فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة** » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة** » رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

٧- إحياء سنته ﷺ :

وسنة النبى ﷺ هى كل قول أو فعل ورد عن النبى ﷺ . والمسلم يحرص على تطبيقها والتمسك بها، وإذا ترك الناس واحدة منها وغفلوا عنها، كان عليه أن يحييها مرة أخرى، قال ﷺ : « **من أحيا سنة من سنتى فعمل بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شىء** » رواه ابن ماجة .

وقال ﷺ : « ... **فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة .

٨- حب صحابته ﷺ :

المسلم يحب أصحاب الرسول ﷺ ويحترمهم، قال ﷺ : « **الله الله فى أصحابى، الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضًا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه** » رواه الترمذي . ومن دلائل محبتهم أن يقول المسلم كلما ذكر اسم أحد منهم : رضى الله عنه وألا يخوض فى الخلافات التى وقعت بينهم، وأن يدعو لهم، وألا يسمح لأحد أن يقلل من قدرهم .

٩- التعرف على سيرته ﷺ :

المسلم حريص على أن يعرف أخبار النبى ﷺ، وذلك يدفع المسلم إلى مواصلة السير على منهجه .

١٠- الدقة فى نقل أقواله ﷺ :

المسلم لا يروى حديثًا من أحاديثه ﷺ إلا إذا تأكد من صحته؛ وإن كان حديثًا ضعيفًا بيّن ذلك للناس، ولا يستشهد بالموضوعات والمناكير من الأحاديث التى نسبها الكذابون إليه، فيكون كأحدهم، قال ﷺ : « **من حدث عنى حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين** » رواه مسلم . وليتحر المسلم الدقة فى نقل كلامه ﷺ من غير تحريف أو تأويل، ليكون أهلاً لدعاء النبى ﷺ : « **نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا فبلغه، فرب مبلغ أحفظ من سامع** » رواه ابن ماجة .

١١- نصرته ﷺ :

المسلم ينصر النبى ﷺ بنصرته للإسلام واتباعه ﷺ فى أقواله وأفعاله، وإحياء سنته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١٢- إكرام أهل بيته ﷺ :

حث النبى ﷺ على إكرام أهل بيته ﷺ، ورغب فى ذلك فى إحدى خطبه، حيث قال: **«فأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى»** رواه مسلم.

د - هل تؤدى حق النبى ﷺ عليك؟

تطبيقات عملية

حاسب نفسك على القيام بهذه الأعمال طوال هذا الشهر

ضع علامة √ عند أدائك العمل	
١- تصديقه ﷺ.	٨- إحياء سنته ﷺ.
٢- طاعته ﷺ.	٩- عدم رفع الصوت عنده ﷺ.
٣- عدم مخالفة أمره ﷺ.	١٠- إكرام أهل بيته ﷺ.
٤- حبه ﷺ.	١١- نصرته ﷺ.
٥- الاقتداء به ﷺ.	١٢- حب صحابته ﷺ.
٦- الصلاة عليه ﷺ.	١٣- التعرف على سيرته ﷺ.
٧- الدعاء له ﷺ.	١٤- الدقة فى نقل أقواله ﷺ.

هـ- ذكر بعض معجزات الرسل :

اعلم أن من حكمة الله عز وجل البالغة أنه يؤيد رسله بمعجزات من نوع ما فاق وأبدع فيه القوم المرسَل إليهم، حتى تنقطع حجتهم على رسولهم؛ فمثلاً عندما أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كان فن السحر شائعًا فى القبط قوم فرعون، ولهم فيه المهارة التامة، ويعلمون من شأنه ما هو ممكن للبشر وما ليس ممكنًا لهم، فلما سحر السحرة منهم الحبال والعِصِىّ بأمر فرعون، وصارت تُرَى حيات تَسعى، وألقى سيدنا موسى عليه السلام عصاه بأمر الله تعالى فقلبها الله ثعبانًا عظيمًا، أيقنوا أن تلك الخارقة - وهى انقلاب العصا ثعبانًا ابتلع حبالهم وعصيهم المسحورة على صورة الحيات، ثم عودتها كما كانت، مع تلاشى حبال السحرة وعصيهم - دليل على أن ما حصل على يد موسى ليس سحرًا، وإنما هو آية ومعجزة من عند الله عز وجل.

ولما بعث الله عز وجل سيدنا عيسى عليه السلام كان فن الطب شائعًا فى بنى إسرائيل، فكان من حكمته تعالى أن جعل كثيرًا من معجزاته عليه السلام من قبيل أعمال أهل الطب، فأبرأ الله على يديه الأبرص والأكمه (الذى وُلِدَ أعمى) وأحيا الموتى، وقد يدخل فى طاقة الأطباء الحذاق أن يشفوا الأبرص، ولكن ذلك يحدث بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص، وأما شفاؤه فى الحال بمجرد لمسة أو الدعاء له، فهذا ليس فى طوقهم، ويمكنهم أن يشفوا مرضى العَمَى الذى يكون عرضيًا ليس مُخلاً بجوهر البصر، وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس فى طوقهم، وكذلك إحياء الموتى. وحيث إن عيسى قد أتى بهذه الخوارق التى لا يستطيعها حذاق الأطباء، فإن ذلك دليل على صدق دعواه بالرسالة بل من قبل ذلك بكثير حين كان حمله وولادته معجزة خرقت كل قوانين الطب والولادة.

ولما بعث سيدنا محمد ﷺ - وكان أميًا لا يعرف القراءة والكتابة - ولم يجتمع مع أهل القراءة والكتابة اجتماعًا يُمَكِّنه من التعلم منهم، ولم يُعلَم عنه فى تلك المدة أنه كان يدرس شيئًا مما ذكر، وكذلك لم يحصل له فى تلك المدة - مدة حياته قبل البعثة - أن مارس صناعة الفصاحة والبلاغة، فلم يكن له عناية بالأشعار والخطب والرسائل العربية، لا قولاً ولا رواية، ولم يكن مولعًا بمحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء، حتى تقوى فيه ملكة الفصاحة والبلاغة (مع العلم بأنه مع عدم التعلم والممارسة كان أفصح العرب، وأوتى جوامع الكلم بما وهبه الله وعلّمه)، وكانت معجزته الخالدة التى استند إليها فى

إثبات رسالته وجعلها الأساس فى ذلك، وتحداهم بها ثلاثة وعشرين عامًا هى المعجزة العقلية المعنوية العظمى (القرآن الكريم). فقد تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا، ثم أعلمهم بأنه لو اجتمع البشر كلهم، وتظاهرت الجن معهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا أن يأتوا بسورة مثله، ولو كأقصر سورة منه قال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [يونس: ٣٨].

وقد أيده الله عز وجل بمعجزات عقلية، ليدركها أصحاب العقول السليمة على مر الأزمان فيقتنعوا وينقادوا، كما أيده بالمعجزات الحسية لتطمئن نفس المتردد، وتنقطع حجة الجاحد، وبهذا لا يكون لمكلف عذر أيًا كان مستوى إدراكه.

التقويم

١- وضح المقصود بالإيمان بالرسل.

٢- وضح كيف نؤمن بمحمد ﷺ.

٣- وضح كيف نؤدى حق النبى ﷺ.

٤- راجع نفسك.. هل تؤدى حق النبى ﷺ؟

٥- اذكر بعض معجزات الرسل.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ - أن يوضح مفهوم اليوم الآخر ومعنى الإيمان به بصورة إجمالية.

ب - أن يوضح اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر وحكمته.

جـ - أن يوضح الغيبيات من الموت حتى قيام الساعة.

د - أن يوضح علامات الساعة الصغرى والكبرى.

هـ - أن يوضح مشتملات يوم القيامة.

أ - مفهوم اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا، فيموت كل من فيه من الأحياء وتتبدل الأرض والسماوات، ثم ينشىء الله النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس جميعًا ويرد إليهم الحياة مرة أخرى. وبعد البعث يحاسب كل فرد على ما عمل من خير أو شر. فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار. (العقائد الإسلامية).

ومعنى الإيمان باليوم الآخر بصورة إجمالية:

الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل فى كتابه، وأخبر به رسول الله ﷺ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعًا.

ب - اهتمام القرآن بهذا الركن وحكمته:

والقرآن اهتم اهتمامًا بالغًا بتقرير الإيمان بهذا اليوم، ويبدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلى:

- **بربطه بالإيمان بالله:**

قال تعالى: **﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] .

- **يكثر القرآن من ذكره :** فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان وتارة بضرب الأمثال

- **إن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع له أسماء كثيرة :** التى يدل كل واحد منها على ما سيقع من الأهوال فيه، فمن أسمائه : القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم التلاق، ويوم البعث، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، والآزفة، والطامة، والصاخة، والحاقة وغيرها .

حكمة الاهتمام به :

وإنما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب منها :

أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد الإنكار : **﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾** [الجاثية : ٢٤] .

أن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد . فالنصارى مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادى المخلص الذى يفدى الناس بنفسه ويخلصهم من عقوبة الخطايا .

أن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية وهدفاً أعلى، ويقوى فى النفس الوازع الذى يرغب فى الخير ويصد عن الشر، ويحدد لكل إنسان هدفه الأعلى حتى لا يضل الطريق أو تتعثر به الخطا . [الإيمان – د/محمد نعيم ياسين]

تفصيل الإيمان باليوم الآخر :

وإذا كان الإيمان باليوم الآخر من أهم الأركان التى يقوم عليها الإيمان، فإنه لا يتحقق ولا يكون تاماً كاملاً إلا بأمرين :

الأول : أن يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية، وهذا هو الحد الدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الإيمان .

الثانى : أن يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب التى تكون بعد الموت .
ونذكر فيما يلى أهم ما وردت به آيات القرآن والأحاديث الصحيحة حول هذه الأمر :

ج – من الموت حتى قيام الساعة : واليوم الآخر يعبر إليه جمع الخلق عن طريق الموت، فيجب الإيمان بأن الانسان وسائر الحيوانات، والجن والملائكة، لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذى قدره الله له، سواء بدون سبب ظاهر، أم مات بأى سبب من الأسباب، قال تعالى : **﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾** [الأعراف٣٤] .

– قبض الأرواح :

وملك الموت هو الذى يقبض الأرواح بأمر الله تعالى، وله أعوان من الملائكة الكرام، وعند الاحتضار (خروج الروح) يرى المحتضر الملائكة الذين يقبضون روحه، ويعرف مصيره، إن كان إلى الجنة أو إلى النار، قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [النحل ٣٢]، وقال عز وجل : **﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾** [الأنعام : ٩٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يزج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان، فيقولون : مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله، وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان، فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، ارجعى ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر . .**» إلى آخر الحديث .

– سؤال القبر، ونعيمه وعذابه :

يجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال الملكين فى القبر، بأن يرد الله

عليه روحه وسمعه وبصره، ثم يسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإما أن ينعم أو يعذب حسب حسن إجابته أو سوئها، وقد ورد فى حديث عثمان رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: **«استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»**، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه - حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل، لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما، ويفسح له من قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون،** وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، إنى كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه» رواه البخارى ومسلم.

- يوم القيامة:

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من الموت، لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: أتذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر القبر وتبكي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه»**.

وقيل: أول اليوم الآخر من النشر (وهو الخروج من القبور) وآخره على القولين: دخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، ولا يعلم وقت مجيئه إلا الله عزوجل، قال تعالى: **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾** [الأحزاب ٦٣].

والكلام عن اليوم الآخر ينحصر فى:

- علامات الساعة
- مشتملات يوم القيامة

د- وعلامات الساعة نوعان:

علامات صغرى، وعلامات كبرى.

- علامات القيامة الصغرى:

العلامات الصغرى لقرب يوم القيامة كثيرة، وردت بها الأحاديث الشريفة، وإليك بعض الأسئلة:

فى حديث جبريل أنه سأل الرسول ﷺ عن الساعة، **فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أمارتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان»** رواه البخارى ومسلم (تلد الأمة ربتها: يكثر العقوق، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته)

وعند رضى الله عنه أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: **«إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة»**، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: **«إذا أُسْنِد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»** رواه البخارى.

وعن رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»** رواه مسلم.

علامات الساعة الكبرى:

وأهمها الآيات الآتية:

١- طلوع الشمس من المغرب:

وهى أولى الآيات الكبرى المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى حتى ينتهى بقيام الساعة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس فآمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيراً»** رواه مسلم. وهو ما أشار إليه الله تعالى بقوله: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]. وطلوع الشمس من المغرب يكون فى يوم، ثم

تطلع من الشرق كعادتها، وإذا طلعت من المغرب غربت فى المشرق، وحينئذ يغلق باب التوبة إلى يوم القيامة.

٢- خروج الدابة:

والظاهر أن خروجها يكون فى زمن طلوع الشمس من مغربها، كما فى فتح البارى لابن حجر، قال تعالي: **﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾** [النمل: ٨٢]. وحين تخرج تكلم الناس وتخبرهم بما هم عليه من إيمان أو كفر، ومن صلاح أو فسق، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعدم فائدة ذلك، فإن التوبة لا تقبل بالنسبة لمن رآها أو علم بها.

٣- خروج المسيح الدجال:

وسمى المسيح بالحاء على الصحيح، لأنه يمسح الأرض ويقطعها فى أربعين يوماً، ولأنه ممسوح العين اليمني، وهو الآية الكبرى المؤذنة بتغيير الأحوال العامة فى معظم الأرض، وهو أولى هذه الآيات، وقد وصفه النبى ﷺ وصفاً كافياً لنكون منه على حذر، ولننجو من فتنته، فعن أبى سعيد الخدرى قال: حدثنا النبى ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: **«يأتى الدجال وهو مُحرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر، فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه».**

٤- نزول المسيح عليه السلام وقتله الدجال:

دلت السنة على أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل قرب الساعة، ويقتل الدجال، ويحكم الأرض بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«والذى نفسى بيده، ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من**

الدنيا وما فيها». ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: **﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** [النساء: ١٥٩]. متفق عليه

٥- خروج يأجوج ومأجوج: قال تعالي: **﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾** [الأنبياء: ٩٦]. قال ابن كثير فى تفسيره: إنهم من سلالة آدم عليه السلام، وقد ورد ذكر خروجهم فى أحاديث متعددة من السنة النبوية، وأن خروجهم يكون مع وجود عيسى ونزوله.

٦- الريح التى تقبض أرواح المؤمنين:

لحديث عبد الله بن عمرو: **«ثم يرسل الله عزوجل ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته».** رواه مسلم

هـ - مشتملات اليوم الآخر:

يشمل اليوم الآخر أموراً كثيرة، المذكور منها هنا أحد عشر، وإليك بيانها.

١- البعث:

وهو إحياء الله الموتى ليلقى كل منهم جزاءه الذى قدر له من نعيم أو عذاب، قال تعالى: **﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون: ١٥، ١٦]. وقال عزوجل: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [يس: ٧٨، ٧٩].

٢- الحشر:

وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذى تجتمع فيه الخلائق، وفيه يحاسبون، وتوزن أعمالهم، ويعرف كل مصيره، وقال تعالى: **﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** [الكهف: ٤٧]. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: **«يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غُرلاً (غير مختونين)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤]». رواه البخارى.. جزء من حديث.

٣- الحساب:

وهو توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم: أقوالاً وأفعالاً واعتقادات تفصيلاً، بعد أخذهم كتبهم. وكيفيته أمر غيبى لم يرد ما يدل عليه، والناس فيه متفاوتون، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً بأن يعرض عمله عليه، فيطلعه الله على سيئاته سراً، بحيث لا يَطَّلع عليها أحد من الخلق، ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة. ومنه من يناقش الحساب، بأن يسأل عن كل جزئية، ويطالب بالعذر والحجة، فلا يجد عذراً ولا حجة، فيهلك مع الهالكين، ويفتضح بين الخلائق، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا**﴾ [الانشقاق ٧-١٢].

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»، فقلت: أليس يقول الله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ [الأنشقاق ٧-٩]. فقال: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا عذب**» رواه البخارى.

هذا، واعلم أنه سيشهد على العاصى يوم القيامة أحد عشر شاهداً: اللسان، والأيدى، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة الكرام، والمال، فضلاً عن الشهداء من الناس.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤]. فقال: «**أتدرى ما أخبارها؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**» رواه الترمذى.

٤- صحائف الأعمال:

وهى الكتب التى كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد فى الدنيا من اعتقادات وأقوال

وأفعال، وهى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فمنكرها كافر، وقد سبقت الأدلة العديدة على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [الحاقة: ١٩]

٥- الميزان:

وهو ذو كفتين، توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله دفعة واحدة، ويزن مثاقيل الذر، تحقيقا لإظهار تمام العدل، وحقيقته لا يعلمها تفصيلاً إلا الله عزوجل، قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة: ٦-١١].

٦- الصراط:

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم، يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس هرولة، وناس حبواً، وناس زحفاً، وناس يتساقطون فى النار، وعلى جوانبه كلاليب (خطاطيف) لا يعلم عددها إلا الله، تخطف بعض الخلائق.

قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم ٧١، ٧٢]. وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿**نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [التحريم: ٨]، قال: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره فى إبهامه، يتقد مرة ويطفأ مرة).

٧- الحوض:

يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضاً يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبى ﷺ أكبرها وأعظمها، وهو مربع الشكل، له ميزابان يصبان فيه من الكوثر، ويرده الأخيار، وهم المؤمنون بالنبى ﷺ، الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ويطرد عنه

الكفار والمبتدعة فى العقيدة، وكل من تعامل بالربا، أو جار فى الأحكام، أو أعان ظالماً، أو جاوز حداً من حدود الله، ....

وهو ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي، منها حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**حوضى مسيرة شهر، وزاوياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً**» رواه البخاري. ويكون الشرب منه أو من غيره بعد ذلك كالتسنيم، لمجرد اللذة.

٨- الشفاعة:

وهى لغة: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير للغير، وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها. وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة**» رواه البخاري، وزاد مسلم «**فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً**».

والنبى محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع فى فصل القضاء، وهى الشفاعة العظمى المختصة به، والتى يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهى المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع**».

٩- النار:

وهى دار العذاب والعقاب، أعدها الله للكافرين والعصاة، وثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة، ولها سبعة أبواب، لكل باب جزء مقسوم، والعذاب فيها مختلف الأنواع والأقسام، وهى موجودة الآن، وباقية لا تفنى، والكفار فيها مخلدون، قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤] وقال: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٢٩].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**ناركم هذه التى توقدون فيها جزء**

من سبعين جزءاً من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «**فإنها فُضِّلَت بتسعة وستين جزءاً، كلهم مثل حرها**» رواه البخارى. واعلم أنه لا يخلد فى النار من مات على التوحيد، ولو ارتكب الكبائر، أما من مات على الشرك والكفر فإنه لا يخرج منها أبداً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: ٦]. فأما أهل الكبائر: من مات منهم قبل التوبة يدخله الله النار ليصلى جزاء ما فعل، ثم تكون نهايته ومأواه الجنة، إلا أن يغفر الله له، فيدخله الجنة بدون سابق عذاب. وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «..... **يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفى قلبه وزن ذرة من خير**» من حديث رواه البخارى ومسلم والترمذي.

١٠- الجنة:

وهى لغة: البستان، والمراد هنا دار الثواب والنعيم المقيم التى أعدها الله للمؤمنين، فيها الحور عين، ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى، واللبن الذى لم يتغير طعمه، والخمر التى فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أهلها إخوان على سرر متقابلين، نزع الله ما فى قلوبهم من غل، فصاروا أحبة متمتعين، تحيتهم فيها سلام، ونعيمهم دائم فى دار السلام.

روى عن ابن عباس: (ليس فى الجنة شيء مما فى الدنيا إلا الأسماء).

وللجنة ثمانية أبواب، وهى أنواع وأقسام ودرجات، أعلاها جنة الفردوس، وأقل الناس فى الجنة له من النعيم ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها معها، ولا يلقى أهلها موتا ولا يعتريهم فناء.

قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وها هو النبى ﷺ يبعث أشواق الصحابة إلى الجنة فيقول لهم: «**ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها** – أى لا مثيل لها – **هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد ونهر يطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء**

وجميلة، وحلل كثيرة، فى حبرة - يعنى نعمة وسعة عيش - **ونصرة، فى دور عالية سليمة بهية»**. وما إن سمع الصحابة ذلك حتى هاجت أشواقهم إلى الجنة فأجابوا النبى ﷺ: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: «**قولوا: إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه**» رواه ابن ماجة عن أسامة بن زيد. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم** (مواضع البخور) **الألوة** (العود)، **أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً فى السماء**» رواه البخارى ومسلم والترمذي.

١١ - رؤية الله عزوجل:

أعلم أن أهل السنة أجمعوا على أن رؤية الله عز وجل ممكنة عقلاً واجبة نقلاً، وواقعة فعلاً فى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين، بلا كيف ولا انحصار، وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك.

قال تعاليك ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة ٢٢، ٢٣] وقال تعالى عن المكذبين: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥]. فبين أن الحجب عن رؤية الله عز وجل عقوبة، فإياك أن تكون ممن يعاقب بالحرمان من رؤية الله تعالى. وقال جرير بن عبد الله: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا القمر، لا تضامون** (لا تشكون) **فى رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» **ثم قرأ**: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ [ق: ٣٩]. رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي.

وعن صهيب أن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم**» **ثم تلا**: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦] رواه مسلم وغيره.

التقويم

١- وضح مفهوم اليوم الآخر ومعنى الإيمان به بصورة إجمالية.

٢- وضح اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر وما حكمة ذلك.

٣- وضح تفصيل الإيمان باليوم الآخر.

٤- وضح الغيبيات من الموت حتى اليوم الآخر.

٥- وضح علامات الساعة الصغرى والكبري.

٦- وضح مشتملات يوم القيامة.

الركن السادس
الإيمان بالقضاء والقدر

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ- أن يذكر تعريف القضاء والقدر.

ب- أن يوضح المقصود بالإيمان بالقضاء والقدر.

أ- تعريف القضاء والقدر:

اختلفت عبارات العلماء فى تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر، فقال القضاء معناه: إيجاد الله عز وجل الأشياء حسب علمه وإرادته ومقدرته.

والقدر معناه: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل، فهو راجع لصفة العلم.

ومن عرفهما تعريفاً واحداً قال: (هو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها).

وهذا المعنى هو ما وردت به آيات القرآن التى ذكرت القدر مثل قوله تعالي: **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩]. وما أجمل جواب الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال: القدر قدرة الرحمن. قال تعالي: **﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾** [آل عمران: ١٥٤].

وعقيدة القدر مبنية فى حقيقتها على الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، ومنها العلم والقدرة والإرادة، قال تعالى: **﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الحديد: ٢] وقال: **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٩] وقال: **﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** [البروج: ١٦].

قال الطحاوى: وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. (الإيمان – د/محمد نعيم ياسين).

ب – المقصود بالإيمان بالقضاء والقدر:

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر، خيره وشره (بإضافته إلى الناس. أما بالنسبة

لله عزوجل فالقدر خير كله والشر لا ينسب إلى الله)، حلوه ومره. ويقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله القديم، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة. وفى بيان ذلك نعرض لأمرين:

● **منطقة الجبر:**

هناك أمور لا دخل للإنسان فى اختيارها: فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء، والزمان الذى تولد فيه، والمكان الذى تحيا به، والوالدان اللذان تنحدر منهما، والحياة والموت، والسعة والضيق، كل ذلك ومثله لا يد للإنسان فيه، فالقدر هو الذى يتحكم فى ذلك كله. وغنى عن البيان أن شيئاً من هذا ليس محل مؤاخذة ولا محاسبة، لأن هذا من الأمور التى لا قبل لنا بها، ولا سبيل لنا إليها، وفى مثلها نتلو قوله تعالى: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [القصص: ٦٨]. والإيمان بهذا القدر واجب، وفى الحديث الحسن: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**.

وفى ذلك نتلو قوله تعالى: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الأنعام: ١٧].

وقوله تعالي: **﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [التوبة: ٥١] [تبسيط العقائد للشيخ حسن أيوب]

● **منطقة الإرادة:**

أما النوع الثانى: من متعلقات القضاء والقدر فهو يتصل بأعمال على عكس النوع الأول، ونشعر عند أدائها بحرية ميولنا، ورقابة ضمائرنا، واستقلال إرادتنا وقدرتنا.

قال تعالى: **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** [الكهف: ٢٩].

ولو كنا مجبورين دائماً ما نُسبت إلينا هداية ولا ضلال، والله سبحانه تعالى خلق الكون وما فيه، وجعل له سنناً وقوانين ونظماً يسير عليها، ومن هذه السنن والنظم ترتيب المسببات على الأسباب، وسماها سبحانه وتعالى: سُنَّة الله.

والعجيب كبير ممن يؤمن بآيات القدر، ولا يؤمن بآيات السنن، فالله الذى قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وهى من آيات القدر، هو الذى قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وهى من آيات السنن.

فإنزال الله للأرزاق وغيرها بقدره وقضائه جعل الله له سبباً، هو السعى فى الأرض، وطلب الرزق، وهذه سنة الله، وإدخال الله الخلق الجنة أو النار بقدره وقضائه، جعل الله له سبباً هو الطاعة أو المعصية. وما ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز من هدايته لقوم وإضلاله للآخرين قائم على هذه السنن، ونظام الأسباب والمسببات.

ففى سبب الإضلال يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. فإنك إذا أمعنت النظر فى هذه الآيات وجدت أن إضلال الله لقوم إنما ترتب على فسقهم، وأن إزاغته قلوب الآخرين جاء نتيجة زيغهم.

وفى أسباب الهداية يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فهداية الله لهم جاءت نتيجة جهادهم فى سبيله. وقال سبحانه وتعالي: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، فهو أناب إلى الله فثبته الله، إذن فهى أيضاً أسباب ومسببات، وهى جميعاً من خلق الله وتقديره.

وهذا هو فهم الرسول ﷺ لآيات الله عز وجل، وعنه فهم صحابته رضوان الله عليهم، فجاهدوا فى سبيل الله، وعملوا فى حياتهم على هذا الأساس، حتى أقاموا ديناً، وبنوا دولة، وأسسوا خير أمة أخرجت للناس، فلا تجد فى مسيرتهم الطويلة مكاناً لمراوغ يقول: (قدَّر الله علىَّ الضلال فما ذنبى؟!!)، أو: (أنا مُسَيَّر ولست بمُخَيَّر!!)، أو تحتج الأمة على تخلفها بالقضاء والقدر، وتدع أسباب النهوض، كل هذا الكلام باطل لا ينجى صاحبه. [تبسيط العقائد للشيخ حسن أيوب]

التقويم

١- اذكر تعريف القضاء والقدر.

٢- وضح المقصود بالايمان بالقضاء والقدر.

المصادر:

١- العقائد الإسلامية — للشيخ/ السيد سابق.

٢- الإيمان (حقيقته.. أركانه.. نواقضه) — د/ محمد نعيم ياسين.

٣- تبسيط العقائد — للشيخ/ حسن أيوب.

٤- تعريف عام بدين الإسلام — للشيخ/ على طنطاوي.

٥- الإيمان أولاً — د/ مجدى الهلالى.

الفصل الرابع

مواقف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

الهجرة الأولى إلى الحبشة

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس أسباب الهجرة إلى الحبشة.

٢- أن يذكر الدارس أسباب اختيار الرسول ﷺ أرض الحبشة للهجرة.

٣- أن يذكر الدارس عدد من هاجر إلى الحبشة فى الهجرتين الأولى والثانية.

٤- أن يشرح الدارس فوائد الهجرة إلى الحبشة.

٥ - أن يستخلص الدارس العبر والدروس من الهجرة إلى الحبشة.

وفى السنة الخامسة أمر النبى ﷺ أصحابة بالهجرة إلى الحبشة لمَّا اشتد عليهم العذاب والأذى. وقال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**».

وكانت الحبشة متجر قريش. وكان أهل هذه الهجرة الأولى: اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة. وكان أول من هاجر إليها: عثمان بن عفان رضى الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. وممن خرج الزبير وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبو سلمة وأمرأته رضى الله عنهم. خرجوا متسللين سرا، فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار، فحملوهم إلى الحبشة. وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر. فلم يدركوا منهم أحدا. وكان خروجهم فى رجب، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان. ثم رجعوا إلى مكة فى شوال لما بلغهم أن قريشاً صافوا رسول الله ﷺ وكفوا عنه.

الهجرة الثانية للحبشة

إن هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة كانت خيراً للمسلمين وفتحًا جديداً للإسلام، استطاع المسلمون فيها أن يكسبوا أرضًا جديدة تكون منطلقًا لدعوتهم، واستطاعوا أن يقيموا شعائر دينهم بأمان. غير أن هذه الهجرة لم تدم طويلاً، حيث رجع المسلمون من أرض هجرتهم إلى مكة بعد أن بلغهم أن قريشاً هادنت الإسلام وتركت أهله أحراراً، إلا

انهم بعد وصولهم إلى مكة وجدوا الأمر على خلاف ما ظنوه، فاضطروا إلى الهجرة مرة ثانية. فما خبر هذه الهجرة؟ هذا ما سوف نعرفه فى الأسطر التالية.

إن الأشاعة التى بلغت المؤمنين فى أرض الهجرة تركت أثرها فى قلوبهم، فقرروا العودة إلى وطنهم، وكان سبب هذه الإشاعة أن النبى ﷺ خرج إلى الحرم وفيه جمع كبير من قريش، فقام فيهم وأخذ يتلو سورة النجم، ولم يكن المشركون قد سمعوا القرآن سماع منصت من قبل، لأنهم أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضًا ﴿ **لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٦].

فلما فاجأهم النبى ﷺ بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم القرآن فى روعة بيانه، وجلالة معانيه، أعطوه سمعهم، فلما قرأ النبى ﷺ قوله تعالى: ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾ [النجم: ٦٢] سجد، فلم يتمالك المشركون أنفسهم فسجدوا. وفى الحقيقة كانت روعة الحق قد صدَّعت العناد والكِبْر الذى فى نفوسهم، فخروا ساجدين، فبلغ هذا الخبر مهاجرى الحبشة، ولكن فى صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية، حيث بلغهم أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة آملين أن يعيشوا مع رسول الله ﷺ وبين قومهم وأهليهم آمنين، فلما وصلوا قريبًا من مكة عرفوا حقيقة الأمر، وأن ما وصلهم من الأخبار غير صحيح، بل إن قريشًا أشد وأنكى على المسلمين من ذى قبل، فرجع من رجع منهم، ومن دخل مكة دخلها مستخفيًا، أو فى جوار رجل من المشركين، ثم زاد المشركون فى تعذيب هؤلاء العائدين وسائر المسلمين، ولم ير رسول الله ﷺ بدًا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فهى المنفذ الوحيد والمخرج بعد الله تعالى – من بلاء قريش – لما يتميز به ملكُها النجاشى من عدل ورحمة وحسن ضيافة، وقد وجده المسلمون كما قال النبى ﷺ: (**لا يظلم عنده أحد**).

فقرر المسلمون الهجرة مرة ثانية، ولكن الهجرة فى هذه المرة كانت أشد وأصعب من سابقتها، حيث تيقظت قريش لها، وقررت إحباطها، لكن المسلمين كانوا قد أحسنوا التخطيط والتدبير لها، ويسَّر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشى الحبشة قبل أن تدركهم قريش، وفى هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، وثمانى عشرة امرأة.

ولما رأت قريش أن أصحاب محمد ﷺ قد أمنوا واستقروا بأرض الحبشة، ساءهم ذلك فائتمروا بينهم أن يرسلوا وفدًا للنجاشى لإحضار من عنده من المسلمين إلى مكة،

بعد أن يوقعوا بينهم وبين ملك الحبشة، ولكن خابت مساعيهم ورد الله كيدهم ووفق الله جعفر بن أبى طالب لحسن الرد عليهم، وأسفرت هذه المحاولة عن إسلام النجاشى« وإن أخفى إسلامه» وتأمين المسلمين عنده.

وكما كان فى الهجرة الأولى خير للإسلام والمسلمين، ففى هذه الهجرة كان الخير أكثر وأكثر، فازداد عددهم وانتشر خبرهم، وكانت أرض الحبشة التى أمنوا فيها على أنفسهم ودينهم منطلقًا للدعوة الإسلامية وملاذًا لكل مضطهد وطريد من المسلمين، والله يؤيد دينه وعباده المؤمنين بما شاء من جنوده التى لا يعلمها إلا هو، فله الحمد فى الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

التقويم

١– اذكر أسباب الهجرة إلى الحبشة.

٢– اذكر أسباب اختيار الرسول ﷺ أرض الحبشة للهجرة.

٣– اذكر عدد من هاجر إلى الحبشة فى الهجرتين الأولى والثانية.

٤– اشرح فوائد الهجرة إلى الحبشة.

٥– ماذا تعلمت من دراستك للهجرة إلى الحبشة؟

عام الحزن

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس سبب تسمية عام الحزن بهذا الاسم.

٢- أن يوضح الدارس ما تعرض له الرسول ﷺ بعد عام الحزن.

٣- أن يستخلص الدارس العبر والدروس المستفادة من هذا المقطع من سيرة الرسول ﷺ.

وبعد ما كان من أمر المقاطعة الاقتصادية والحصار الذى اتفق عليه المشركون ضد المسلمين، وما كان فيه من الشدة والأذى لرسول الله ﷺ وصحابته، ولما انتهى ذلك الحصار، وقام بعض المشركين بنقض تلك الصحيفة الجائرة وما تضمنته من ظلم وقطيعة، انطلق المسلمون من الشعب يستأنفون نشاطهم القديم بعدما قطع الإسلام فى مكة قرابة عشرة أعوام مليئة بالأحداث الجسام، والآلام العظيمة، والأحزان المتلاحقة، وما أن تنفس المسلمون من الشدة التى لاقوها، إذا برسول الله ﷺ يصاب بمصيبتين عظيمتين هما: وفاة عمه أبى طالب، ووفاة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها.

إن أبا طالب كان الحصن الذى تحتمى به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء مع بقائه على ملة قومه، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، فظل أبو طالب يحوط النبى ﷺ ويدافع عنه، ويغضب له، ولم تستطع قريش أن تنال من النبى ﷺ إلا بعد موت أبى طالب، ولتوالى هذه الأحزان على رسول الله ﷺ فى عام واحد عرف ذلك العام عند أهل السير بعام الحزن.

وماتت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد موت أبى طالب بأيام. فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من قومه بعد موت خديجة وعمه، وتجرأوا عليه وكاشفوه بالأذى، وأرادوا قتله. فمنعهم الله من ذلك.

إن خديجة رضى عنها من نعم الله العظيمة التى أنعم الله بها على رسوله ﷺ، فهى التى آزرته فى أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته أفراحه وأتراحه، وواسته بنفسها ومالها. فهى صدِّيقة النساء، حنّت على زوجها ساعة القلق، ووقفت بجانبه ساعة الشدة، وظلت ربع قرن من الزمان تتحمل معه كيد الخصوم، وآلام الحصار،

ومتاعب الدعوة، ولذلك كان موتها من أكبر المصائب التى مرت على رسول الله ﷺ، فحزن عليها أشد الحزن وظل يذكرها بالخير طوال حياته، ويبين للناس فضلها وإحسانها، عن عائشة قالت: (كان ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيرًا منها، قال: **ما أبدلنى الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله عز وجل ولدها إذ حرمنى أولاد النساء**) رواه أحمد.

واشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ بعد تلك المصيبتين العظيمتين أشد ما يكون الإيذاء، قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: «حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ. فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا عليه سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وفرق جماعتنا، فبينما هم فى ذلك إذ أقبل. فاستلم الركن. فلما مر بهم غمزوه». وفى حديث أنه قال لهم فى الثانية: **لقد جئتكم بالذبح**. وأنهم قالوا له: يا أبا القاسم ما كنت جهولا. فانصرف راشدًا.

فلما كان من الغد اجتمعوا فقالوا: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم كذلك. إذ طلع عليهم فقالوا: قوموا إليه وثبة رجل واحد. فقام عقبة بن أبى معيط آخذا بمجامع ردائه وقام أبو بكر دونه وهو يبكى. يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟. وفى حديث أسماء: فأتى الصريخ إلى أبى بكر. فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وله غدائر أربع فخرج وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟ فلهوا عنه وأقبلوا على أبى بكر. فرجع إلينا لا يمس شيئا من غدائر إلا رجع معه.

ومرة كان يصلى عند البيت، ورهط من أشرافهم يرونه فأتى أحدهم بسلا جزور، فرماه على ظهره. وكانوا يعلمون صدقه وأمانته. وأن ما جاء به هو الحق، لكنهم كما قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٣].

وذكر الزهرى: أن أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق، استمعوا قراءة رسول الله ﷺ فى الليل، فقال الأخنس لأبى جهل: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت

من محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحمـ
فحملنا، وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا: منا نب
يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نسمع له أبداً. ولا نصدقه أبداً».

وفى رواية: «إنى لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بنى قصى قالوا: فينا الندوة، فقلن
نعم. قالوا: وفينا الحجابة، فقلنا: نعم. قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم. وذكر نحوه».

التقويم

١- وضح سبب تسمية عام الحزن بهذا الاسم.

٢- وضح ما تعرض له الرسول ﷺ بعد عام الحزن.

٣- ماذا تعلمت من هذا الدرس.

الرسول ﷺ فى الطائف

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس أسباب خروج الرسول ﷺ إلى الطائف.

٢- أن يوضح الدارس الأحداث التى لاقاها رسول الله ﷺ فى الطائف.

٣- أن يذكر الدارس دعاء الرسول ﷺ بعدما لاقاه فى الطائف.

٤- أن يوضح الدارس الأحداث التى مر بها رسول الله فى عودته من الطائف.

٥- أن يشرح الدارس كيفية دخول الرسول ﷺ مكة وطلبه للجوار.

٦ - أن يستخلص الدارس العبر المستفادة من رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف.

ذكرنا فى درس سابق أن أحزان النبى ﷺ وهمومه زادت وتضاعفت بوفاة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، وعمه أبى طالب فى عام واحد، فخديجة كانت خير ناصر ومعين له - بعد الله تعالى -، وعمه كان يحوطه ويحميه، ويحبه أشد الحب، وضاعف من حزنه ﷺ أنه مات كافراً.

وتستغل قريش غياب أبى طالب فتزيد من إيذائها للنبى ﷺ وتضيق عليه، وكان أبو لهب من أكثر الناس كراهية للدعوة وصاحبها ﷺ، حتى إنه كان يلاحق النبى ﷺ فى موسم الحج، وفى الأسواق يرميه بالحجارة ويقول: إنه صابئ كذاب، ويحذر الناس من اتباعه، فضاقت مكة على رسول الله ﷺ واشتد به الحال، فخرج إلى الطائف راجياً ومؤملاً أن تكون أحسن حالاً من مكة، وأن يجد من أهلها نصرة، فماذا لقى فى شوال سنة عشر من النبوة (فى أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة ٦١٩م) خرج النبى ﷺ إلى الطائف، وهى تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، سارها ماشياً على قدميه جيئة وذهاباً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة فى الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منها. فلما انتهى إلى الطائف عمد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفى، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة (أى يمزقها): إن كان الله

أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: **إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى**.

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له سماطين (أى صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج فى رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة على ثلاث أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺ إلى حبلة من عنب جلس تحت ظلها إلى جدار، فلما جلس إليه واطمأن، ودعا بالدعاء المشهور الذى يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقى من الشدة، وأسفاً على أنه لم يؤمن به أحد، قال: (**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**).

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له: عداس، قالا له: **خذ قطفاً** من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل. فلما وضعه بين يدى رسول الله ﷺ **مد يده** إليه قائلاً: **باسم الله** ثم أكل.

فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: **من أى البلاد أنت؟ وما دينك؟** قال: أنا نصرانى، من أهل «نينوى». فقال رسول الله ﷺ: **من قرية الرجل الصالح يونس بن متى**. قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: **ذاك أخى، كان نبياً وأنا نبى**، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها.

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قالا له: ويحك ما هذا؟ قال: ياسيدى ما فى الأرض شئ خير من هذا الرجل، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى، قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ورجع رسول الله ﷺ فى طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخارى تفصيل القصة بسنده عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: **لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب - وهو المسمى بقرن المنازل - فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فنادانى ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين** أى لفعلت، والأخشبان هما جبلا مكة، أبو قبيس والذى يقابله هو قعيقعان، قال النبى ﷺ: **بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً**.

وفى هذا الجواب الذى أدلى به الرسول ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذى لا يدرك غوره.

وأفاق رسول الله ﷺ، واطمأن قلبه لأجل هذا النصر الغيبى الذى أمده الله عليه من فوق سبع سماوات، ثم تقدم فى طريق مكة حتى بلغ وادى نخلة، وأقام فيه أياماً، وفى وادى نخلة موضعان يصلحان للإقامة - السيل الكبير والزيمة - لما بهما من الماء والخصب، ولم نقف على مصدر يعين إقامته صلى الله عليه وسلم فيه.

وخلال إقامته هناك بعث الله إليه نفراً من الجن ذكرهم الله فى موضعين من القرآن فى سورة الأحقاف: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا**

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وفى سورة الجن: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾** [الجن: ١، ٢] إلى تمام الآية الخامسة عشرة.

ومن سياق هذه الآيات وكذا من سياق الروايات التى وردت فى تفسير هذا الحادث يتبين أن النبى ﷺ لم يعرف بحضور ذلك النفر من الجن، وإنما علم ذلك حين أطلعه الله بهذه الآيات، وأن حضورهم هذا كان لأول مرة، ويقتضى سياق الروايات أنهم وفدوا بعد ذلك مراراً.

وحقاً كان هذا الحادث نصراً آخر أمده الله من كنوز غيبه المكنون بجنوده التى لا يعلمها إلا هو، ثم إن الآيات التى نزلت بصدد هذا الحادث كانت فى طيها بشارات بنجاح دعوة النبى ﷺ، وأن أى قوة من قوات الكون لا تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها **﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [الأحقاف: ٣٢]، **﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾** [الجن: ١٢].

أمام هذه النصرة، وأمام هذه البشارات، انقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس التى كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطروداً مدحوراً حتى صمم على العود إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى فى عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وجد وحماس.

وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعنى قريشاً، فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه.

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال سهيل: إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب، فبعث إلى المطعم بن عدى، فقال المطعم: نعم، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان

البيت، فإنى قد أجرت محمداً، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدى على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إنى قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، وانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدى وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته.

وقيل: إن أبا جهل سأل مطعماً أمجير أنت أم متابع مسلم؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا من أجرت.

وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال فى أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له.

ورجع النبى ﷺ إلى مكة ليستأنف خطته الأولى فى عرض الإسلام وإبلاغ الرسالة للوفود والقبائل والأفراد والقبائل والأفراد، وزادت قريش من أذاها لرسول الله ﷺ، وخلعت جلباب الحياء والمروءة، فراح بعض رجالاتها يلاحقونه عليه الصلاة والسلام فى الأسواق والمواسم يرمونه بالكذب، ويحذرون العرب من اتباعه.

وفى الختام فإن رسول الله ﷺ لم يستسلم لهذا الواقع الأليم، بل صبر وصابر، وواصل جهاده فى الدعوة متوكلاً على الله، فكان عاقبة صبره نصراً من الله، وفتحاً عظيماً تتفيأ الأمة ظلاله، وتنعم بنور الرسالة الخاتمة، فجزاه الله خير ما جزى به نبياً عن أمته والحمد لله رب العالمين.

التقويم

١- اذكر أسباب خروج الرسول ﷺ إلى الطائف.

٢- وضح الأحداث التى لاقاها رسول الله ﷺ فى الطائف.

٣- اذكر دعاء الرسول ﷺ بعد ما لاقاه فى الطائف - وماذا تستفيد من هذا الموقف.

٤- وضح الأحداث التى مر بها رسول الله فى عودته من الطائف.

٥- **«يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً»** ماذا تتعلم من قول الرسول ﷺ لزيد.

٦- اشرح كيفية دخول الرسول ﷺ مكة وطلبه للجوار.

٧- ما الدروس المستفادة من أحداث للطائف؟

الإسراء والمعراج

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس ما روى فى أحداث الإسراء والمعراج.

٢- أن يوضح الدارس دلالات هذا الحادث الجليل.

٣ – أن يوضح الدارس كيف يستفيد من العبر والعظات فى حياته.

«لم يكن الإسراء والمعراج مجرد حادث فردى بسيط، رأى فيه رسول الله ﷺ الآيات الكبرى، وتجلى له ملكوت السموات والأرض، مشاهدة وعيانًا – بل زيادة على ذلك – اشتملت هذه الرحلة الغيبية على معان دقيقة كثيرة، وإشارات حكيمة بعيدة المدى؛ فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلنا فى شأنه (الإسراء)، و(النجم) أن محمداً ﷺ نبى القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت فى شخصة وفى إسرائه مكة بالقدس، والمسجد الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانًا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان» (الأساس فى السنة – سعيد حوى).

روى أئمة الحديث تفاصيل هذه الوقعة. وفيما يلى نسردها بإيجاز:

قال ابن القيم : أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى البيت المقدس، راكبًا على البراق صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأى هنالك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به، ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح الشهداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه، ورحبا به، وأقرا بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الرابعة: فرأى فيها إدريس، فسلم عليه، ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة: فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السادسة: فلقى فيها موسى بن عمران، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكى لأن غلامًا بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى.

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقى فيها إبراهيم عليه السلام، فسلم عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور.

ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مرّ على موسى، فقال له: بم أمرك؟ قال: بخمسين صلاة. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار أن نعم، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى، وهو فى مكانه. هذا لفظ البخارى فى بعض الطرق: فوضع عنه عشراً، ثم أنزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربى، ولكنى أرضى وأسلم، فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى» انتهى.

وقد وقع حادث شق صدره ﷺ هذه المرة أيضًا، وقد رأى ضمن هذه الرحلة أمورًا عديدة عرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: هديت الفطرة أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

ورأى أربعة أنهار فى الجنة نهران ظاهران، ونهران باطنان، والظاهران هما النيل والفرات، ورأى مالك خازن النار، وهو لا يضحك وليس على وجهه بشر وبشاشة وكذلك رأى الجنة والنار.

ورأى أكلة أموال اليتامى ظلماً لهم مشافر كمشافر الإبل، يقذفون فى أفواههم قطعاً من نار كالأفهار، فتخرج من أدبارهم.

ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن مكانهم، ويمر بهم آل فرعون حين يعرضون على النار فيطأونهم.

ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون الطيب السمين.

ورأى النساء اللاتى يدخلن على الرجال ممن ليس من أولادهم، رآهن معلقات بثديهن.

ورى عيراً من أهل مكة فى الإياب والذهاب، وقد دلهم على بعير نّد لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه فى صباح ليلة الإسراء.

قال ابن القيم: فلما أصبح رسول الله ﷺ فى قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له، حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئاً وأخبرهم عن عيرهم فى مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذى يقدمها وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

والحكم والأسرار التى تكمن وراء جزئيات هذه الرحلة إنما محل بحثها كتب أسرار الشريعة، ولكن هنا حقائق بسيطة تتفجر من ينابيع هذه الرحلة المباركة وتتدفق إلى حدائق أزهار السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، أرى أن نسجّل بعضاً منها بالإيجاز. يرى القارئ فى سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء فى آية واحدة فقط، ثم أخذ فى ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك، فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية؛ لما ارتكبوا من الجرائم التى لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله ﷺ، ويجمع له مركزى

الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحى القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم.

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة، والرسول يطوف فى جبال مكة مطروداً بين الناس؟ هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرى، وهى أن دوراً من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلى النهاية والتمام، وسيدأ دور آخر يختلف عن الأول فى مجراه، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ووعيد شديد بالنسبة إلى المشركين **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾** [الإسراء: ١٦]، **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾** [الإسراء:١٧] إلى جانب هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التى يبتنى عليها مجتمعهم الإسلامى، كأنهم قد أووا إلى الأرض تملكوا فيها أمورهم من جميع النواحى، وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رحى المجتمع، ففيه إشارة إلى أن الرسول ﷺ سيجد ملجأ ومأمناً يستقر فيه أمره، ويصير مركزاً لبث دعوته فى أرجاء الدنيا.

التقويم

١- وضع ما روى فى أحداث الإسراء والمعراج.

٢- وضح دلالات هذا الحادث الجليل.

٣- ماذا تعلمت من دراستك لأحداث الإسراء والمعراج.

عرض الإسلام على القبائل والأفراد

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس القبائل التى عرض عليها الرسول ﷺ الإسلام.

٢- أن يوضح الدارس موقف هذه القبائل من دعوة الرسول ﷺ لهم.

٣- أن يذكر الدارس بعض الأفراد الذين عرض الرسول عليهم الإسلام من غير أهل مكة.

٤- أن يذكر الدارس المؤمنين من غير أهل مكة.

٥- أن يوضح الدارس كيف كانت استجابتهم لرسول الله ﷺ.

٦- أن يتعلم الدارس من أسلوب الرسول ﷺ فى الدعوة إلى الله.

٧ - أن يستخلص الدارس العبر والدروس المستفادة من عرض رسول الله ﷺ الإسلام على القبائل.

فى ذى القعدة سنة عشر من النبوة فى أواخر يونيو أو أوائل يوليو سنة ٦١٩م عاد رسول الله ﷺ إلى مكة؛ ليستأنف عرض الإسلام على القبائل والأفراد، ولاقتراب الموسم كان الناس يأتون إلى مكة رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، لقضاء فريضة الحج، وليشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله فى أيام معلومات، فانتهز رسول الله ﷺ هذه الفرصة، فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إليه، كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

القبائل التى عرض عليها الإسلام:

قال الزهرى: وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد.

وهذه القبائل التى سماها الزهرى لم يكن عرض الإسلام عليه فى سنة واحدة ولا فى

موسم واحد، بل إنما كان ما بين السنة الرابعة من النبوة إلى آخر موسم قبل الهجرة. ولا يمكن تسمية سنة معينة لعرض الإسلام على قبيلة معينة، نعم هناك قبائل قد جزم العلامة المباركفورى أن عرض الإسلام عليهم كان فى موسم السنة العاشرة. وقد ذكر ابن إسحاق كيفية العرض وردودهم، وهاك ملخصاً:

١- **بنو كلب**: أتى النبى ﷺ إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بنى عبد الله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

٢- **بنو حنيفة**: أتاهم فى منازلهم فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم.

٣- وأتى إلى بنى عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال بحيرة بن فراس (رجل منهم): والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء، فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

ولما رجعت بنو عامر تحدثوا إلى شيخ لهم لم يواف الموسم لكبر سنه، وقالوا له: جاءنا فتى من قريش من بنى عبد المطلب، يزعم أنه نبى، يدعونا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بنى عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلى قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟

المؤمنون من غير أهل مكة:

وكما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على القبائل والوفود، عرض على الأفراد والأشخاص، وحصل على بعضهم على ردود صالحة، وآمن به عدة رجال بعد هذا الموسم بقليل. وهاك لوحة منهم.

١- **سويد بن صامت**: كان شاعراً لبيباً من سكان يثرب يسميه قومه: الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، جاء مكة حاجاً أو معتمراً فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذى معك مثل الذى معى. فقال له رسول الله ﷺ: وما الذى معك. قال:

حكمة لقمان. قال: اعرضها علىّ. فعرضها، فقال له رسول الله ﷺ: إن هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى على، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن. فلما قدم المدينة لم يلبث أن قتل يوم بعاث. وكان إسلامه فى أوائل سنة ١١ من النبوة.

٢- إياس بن معاذ: كان غلامًا حدثًا من سكان يثرب، قدم فى وفد من الأوس جاءوا يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، وذلك قبيل حرب بعاث فى أوائل سنه ١١ من النبوة، إذا كان نيران العداوة متقدة فى يثرب بين القبيلتين، وكان الأوس أقل عددًا من الخزرج، فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم جاءهم فجلس إليهم، وقال لهم: هل لكم فى خير مما جئتم له؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد، أدعوهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل علىّ الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ: أى قوم هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع - رجل كان فى الوفد - حفنة من تراب البطحاء فرمى بها وجه إياس، وقال: دعنا عنك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة من غير أن ينجحوا فى عقد حلف مع قريش.

وبعد رجوعهم إلى يثرب لم يلبث إياس أن هلك، وكان يهلل ويكبر ويحمد، ويسبح عند موته، فلا يشكون أنه مات مسلمًا.

٣- أبو ذر الغفارى: وكان من سكان نواحى يثرب، ولما بلغ إلى يثرب خبر مبعث النبى ﷺ بسويد بن صامت وإياس بن معاذ وقع فى أذن أبى ذر أيضًا، وصار سببًا لإسلامه.

روى البخارى عن ابن عباس قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبى، فقلت لأخى: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتنى بخبره، فانطلق، فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفنى من الخبر، فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد. قال: فمر بى علىٌّ. فقال: كأن الرجل غريب؟ قال: قلت: نعم. فقال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألنى عن شئ ولا أسأله ولا أخبره. فلما أصبحت غدوت إلى

المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرنى عنه بشئ. قال: فمر بى علىٌّ فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد؟ قال: قلت: لا. قال: فانطلق معى، قال: فقال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: قلت له: إن كتمت علىّ أخبرتك، قال: فإنى أفعل، قال: قلت له: بلغنا أنه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبى الله، فأرسلت أخى يكلمه، فرجع ولم يشفنى من الخبر، فأردت أن ألقاه.

فقال له: أما إنك قد رشدت . هذا وجهى إليه، ادخل حيث أدخل، فإنى إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى، وامض أنت. فمضى ومضيت معه حتى دخل معه على النبى ﷺ. فقلت له: اعرض علىّ الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكانى، فقال لى: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فاقبل، فقلت: والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه فقلت: يا معشر قريش، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا، فضربت لأموت، فأدركنى العباس، فأكب علىّ، ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار؟ وتجركم وممركم على غفار. فاقلعوا عنى. فلما أن أصبحت الغد، رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بى ماصنع بالأمس، فأدركنى العباس، فأكب علىّ وقال مثل مقالته بالأمس.

٤- طفيل بن عمرو الدوسى: كان رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا رئيس قبيلة دوس، وكانت لقبيلته إمارة أو شبه إمارة فى بعض نواحى اليمن، قدم مكة فى عام ١١ من النبوة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجل تحية وأكرم التقدير، وقالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئًا.

يقول طفيل: فو الله مازالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفًا؛ فرقًا من أن يبلغنى شئ من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا هو قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت فى نفسى: واثكل أمى، والله إنى

رجل لبيب شاعر، ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فعرضت عليه قصة مقدمى، وتخويف الناس إياى، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض علىّ أمرك، فعرض على الإسلام، وتلا علىّ القران، فو الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إنى مطاع فى قومى، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لى آية فدعا.

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نوراً فى وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم فى غير وجهى. أخشى أن يقولوا هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه فى الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه، وقد أبلى فى الإسلام بلاءً حسناً، وقتل شهيداً يوم اليمامة.

٥- ضماد الأزدى: كان من أزد شنوءة من اليمن، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أنى أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى، فلقيه، فقال: يا محمد، إنى أرقى، فهل أرقيك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد.

فقال: أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه.

ست نسمات طيبة من أهل يثرب:

وفى موسم الحج من سنة ١١ من النبوة يوليو سنة ٦٢٠م وجدت الدعوة الإسلامية بذوراً صالحة، سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون فى ظلالها الوارفة لفحات الظلم والطغيان طيلة أعوام.

وكان من حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل

الله أنه كان يخرج إلى القبائل فى ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين.

خرج كذلك ليلة ومعه أبو بكر وعلى فمر على منازل ذهل وشيبان بنى ثعلبة وكلمهم فى الإسلام. وقد دارت بين أبى بكر وبين رجل من ذهل أسئلة وردود طريفة، وأجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، غير أنهم توقفوا فى قبول الإسلام.

ثم مر رسول الله ﷺ بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فعمدهم حتى لحقهم، وكانو ستة نفر من شباب يثرب، كلهم من الخزرج، وهم:

١- أسعد بن زرارة (من بنى النجار).

٢- عون بن الحارث بن رفاعة، ابن عفراء (من بنى النجار).

٣- رافع بن مالك بن العجلان (من بنى زريق).

٤- قطبة بن عامر بن حديدة (من بنى سلمة).

٥- عقبة بن عامر بن نابى (من بنى حرام بن كعب).

٦- جابر بن عبد الله بن رئاب (من بنى عبيد بن غنم).

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبياً من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان سيخرج فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما لحقهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: من موالى اليهود؟ أى حلفائهم، قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوتهم وأسلموا.

وكانوا من عقلاء يثرب، أنهكتهم الحرب الأهلية التى مضت من قريب، والتى لا يزال لهيبها مستعراً، فأملوا أن تكون دعوته سبباً لوضع الحرب، فقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

عبر وعظات :

– فى عرض الرسول ﷺ الإسلام على القبائل صور من الجهاد والصبر والبذل لنشر دعوة الإسلام، وما عاناه رسول الله ﷺ فى سبيل دعوة الله عز وجل ليوحى بعظمة هذه الرسالة وضخامة الجهد الذى بذل فى سبيلها حتى وصلت إلينا، وما يجب أن نكون عليه فى حمل تلك الأمانة والحفاظ على تلك الرسالة فى أنفسنا، وفى بيوتنا وفى أهلنا، وفى مجتمعاتنا، فضلاً عن حسن عرضها على غير المسلمين ولا يجب أن نشوه تلك الرسالة العظيمة بسلوكنا ولا نفرط فيها بتقصيرنا .

– وفى إسلام الطفيل بن عمرو وأبى ذر وغيرهما . . دلالة على أن الهداية من الله عز وجل، ومن يرد الله به خيراً يوفقه لهذا الدين ويجعله من أهله، ومن الملتزمين به العاملين فى سبيله، فهلا سعيت إلى التمسك بنعمة الله عليك، وفضله أن وفقك لطاعته وحسن عبادته، وهل أديت حق هذا النعمة عليك من التمسك بها وأن تعض عليها بالنواجذ وألا تفرط فيها، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

التقويم

١– اذكر القبائل التى عرض عليها الرسول ﷺ الإسلام .

٢– وضح موقف هذه القبائل من دعوة الرسول ﷺ لهم .

٣– اذكر بعض الأفراد الذين عرض الرسول ﷺ عليهم الإسلام من غير أهل مكة .

٤– وضح موقف هؤلاء الأفراد من هذه الدعوة الجديدة .

٥– اذكر المؤمنين من غير أهل مكة .

٦– وضح كيف كانت استجابتهم لرسول الله ﷺ .

٧– ماذا تعلمت من عرض الرسول ﷺ دعوته على القبائل فى موسم الحج .

٨– ما الدروس التى خرجت بها شخصيًا من قصة إسلام كل من (أبى ذر الغفارى – الطفيل بن عمرو) .

بيعة العقبة الأولى

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يذكر الدارس متى كانت بيعة العقبة الأولى .

٢– أن يذكر الدارس عدد من بايع رسول الله ﷺ .

٣– أن يوضح الدارس على أى شئ كانت البيعة .

٤ – أن يذكر الدارس ماذا فعل معهم رسول الله ﷺ بعد البيعة .

٥– أن يوضح الدارس النجاح الذى أحرزه سفير الإسلام فى المدينة .

٦– أن يسرد الدارس قصة إسلام أسيد بن حضير، سعد بن معاذ رضى الله عنهما .

٧ – أن يستخلص الدارس العبر والدروس من بيعة العقبة الأولى .

***

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا فى موسم الحح سنة ١١ من النبوة وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته فى قومهم .

وكان من جراء ذلك أن جاء فى الموسم التالى موسم الحج سنة ١٢ من النبوة يوليو سنة ٦٢١ م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ فى العام السابق، والسادس الذى لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب، وسبعة سواهم. وهم :

١– معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بنى النجار (من الخزرج) .

٢– ذكوان بن عبد القيس من بنى زريق (من الخزرج) .

٣– عبادة بن الصامت من بنى غنم (من الخزرج) .

٤– يزيد بن ثعلب من حلفاء بنى غنم (من الخزرج) .

٥– العباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم (من الخزرج) .

٦– أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل (من الأوس) .

٧– عويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف (من الأوس) .

واتصل هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء، أى وفق بيعتهن التى نزلت عند فتح مكة .

روى البخارى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه** قال: فبايعته. وفى نسخة فبايعناه على ذلك.

سفير الإسلام فى المدينة:

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبى ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير له إلى يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم فى الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابًا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مصعب بن عمير العبدرى رضى الله عنه.

النجاح المغتبط:

نزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة، وأخذا يبثان الإسلام فى أهل يثرب بجد وحماس، وكان مصعب يعرف بالمقرئ. ومن أروع ما يروى من نجاحه فى الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يومًا يريد دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر، فدخلا فى حائط من حوائط بنى ظفر، وجلسا على بئر يقال لها بئر مرق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل يومئذ على الشرك، فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما على أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتى، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. وجاء أسيد فوقف عليهما متشتمًا، وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته نكف

عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال: فوالله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟

قالا له: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين. فقام واغتسل وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين، ثم قال: إن ورائى رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد فى قومه، وهم جلوس فى ناديهم. فقال سعد: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به عمن عندكم.

فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.

وقد حدث أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك. فقام سعد مغضبًا للذى ذكر له، فأخذ حربته، وخرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى، تغشانا فى دارنا بما نكره؟

وقد كان أسعد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتهلله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين. ففعل ذلك.

ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذى ذهب به.

فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا

بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة إلا رجل واحد – وهو الأصيرم – تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم ذلك اليوم وقاتل وقتل، ولم يسجد لله سجدة، فقال ﷺ: عمل قليلاً وأجر كثيراً.

وأقام مصعب فى بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل. كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر، وكانوا يطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة.

وقبل حلول موسم الحج التالى – أى حج السنة الثالثة عشرة – عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة.

عبر وعظات:

– إحدى عشرة سنة من الجهاد والصبر المتواصل لرسول الله ﷺ فى سبيل الله وحده مقدمة لمد إسلامى زاخر، ومقدمة لدعائم المجتمع المسلم الذى أقامه رسول الله ﷺ.

– لا يتحقق التعبد بدون بذل الجهد، وليس من العدل أن يكسب الإنسان الغنم دون أن يبذل على ذلك شيئًا من الغرم.

– رعاية الله وعنايته تحوط حياة الدعوة النبوية، وتحوط دعوة الإسلام حتى يمهد الله لها الأرض والأنصار من غير بيئة الرسول ﷺ وقومه، وحتى لا يظن أن دعوة الإسلام دعوة قومية حاكتها رغبات قومه ﷺ وظروف بيئته.

– لم يكن إسلام من أسلم من أهل المدينة مجرد نطق بالشهادتين، أو كان إسلامًا سلبيًا لا يؤثر فيمن حوله، بل كان إسلامهم صبغاً لسلوكهم وحياتهم بكل جوانبها بالصبغة الإسلامية، وتحولاً لوجه الأرض من حولهم فى المدينة إلى دعوة الإسلام، وهكذا يجب أن نكون ولا نكتفى بمجرد النسب إلى هذا الدين.

– مصعب بن عمير نموذج فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن عرض الإسلام.

التقويم

١– متى كانت بيعة العقبة الأولى؟

٢– كم عدد من بايع رسول الله ﷺ فى بيعة العقبة الأولى؟

٣– وضح على أى شئ كانت البيعة.

٤– ماذا فعل رسول الله ﷺ مع أهل المدينة بعد البيعة؟

٥– وضح النجاح الذى أحرزه سفير الإسلام فى المدينة.

٦– وضح الدروس العملية التى خرجت بها من دراسة هذه البيعة.

٧– ما الذى تعلمته شخصياً من قصة إسلام (سعد بن معاذ، أسيد بن حضير).

بيعة العقبة الثانية

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس متى كانت بيعة العقبة الثانية.

٢- أن يذكر الدارس عدد من حضر بيعة العقبة الثانية من أهل المدينة.

٣- أن يسرد الدارس كيف كانت هذه البيعة «بيعة العقبة الثانية» كما رواها كعب ابن مالك.

٤- أن يذكر الدارس قول العباس فى خطورة هذه البيعة.

٥- أن يذكر الدارس بنود هذه البيعة «بيعة العقبة الثانية».

٦- أن يوضح الدارس بعض ما ذكر يدلل على خطورة البيعة.

٧- أن يوضح الدارس عقد البيعة وما تم فيه.

٨- أن يذكر الدارس عدد النقباء من الأوس والخزرج ومهمتهم.

٩- أن يذكر الدارس اكتشاف الشيطان للمعاهدة.

١٠- أن يوضح الدارس موقف قريش من اكتشاف خبر هذه المعاهدة.

١١ - أن يستخلص الدارس العبر والدروس من أحداث البيعة وبنودها وقول كل صحابى فيها.

١٢ - أن يوضح الدارس كيف يستفيد من هذه الدروس فى حياته العملية.

***

فى موسم الحج فى السنة الثالثة عشرة من النبوة يونيو سنة ٦٢٢م، حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم، وهم لا يزالون فى يثرب أو كانوا فى الطريق، حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف؟.

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبى ﷺ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا فى أوسط أيام التشريق فى الشعب الذى عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع فى سرية تامة فى ظلام الليل.

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخى الذى حول مجرى الأيام فى صراع الوثنية والإسلام. يقول كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه:

«خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غداً. ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً».

قال كعب: «فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، من بنى مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو، أم منيع من بنى سلمة.

فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، وكان أول متكلم».

بداية المحادثة وتشريح العباس لخطورة المسئولية:

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الدينى والعسكرى، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ تكلم ليشرح لهم، بكل صراحة، خطورة المسئولية التى ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف قال:

«يا معشر الخزرج - وكان العرب يسمون الأنصار خزرجًا، خزرجها وأوسها كليهما- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقدمنعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده. وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. وإن كانت ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومة وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسكِ ولربك ما أحببت.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص فى تحمل هذه المسئولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة.

وألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة.

بنود البيعة:

وقد روى ذلك الإمام أحمد عن جابر مفصلاً، قال جابر: قلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال:

١- على السمع والطاعة فى النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة فى العسر واليسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤- وعلى أن تقوموا فى الله لا تأخذكم فى الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصرونى إذا قدمت إليكم، وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة.

وفى رواية كعب التى رواها ابن إسحاق البند الأخير فقط من هذه البنود، ففيه قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذى بعثك بالحق (نبيًا) لنمنعنك مما نمنع أزرنا منه، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً (عن كابر).

قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله ﷺ إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

التأكيد على خطورة البيعة:

وبعد أن تمت المحادثة حول شروط البيعة، وأجمعوا على الشروع فى عقدها قام رجلان من الرعيل الأول ممن أسلموا فى مواسم سنتى ١١ و ١٢ من النبوة، قام أحدهما تلو

الآخر، ليؤكدا للقوم خطورة المسئولية، حتى لا يبايعوه إلا على جلية من الأمر، وليعرفا مدى استعداد القوم للتضحية ويتأكدا من ذلك.

قال ابن إسحاق: لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس. فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

وفى رواية جابر (قال): فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله.

عقد البيعة:

وبعد إقرار بنود البيعة، وبعد هذا التأكيد والتأكد بدأ عقد البيعة بالمصافحة، قال جابر بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك. فوالله لا نذر هذه البيعة، ولانستقيلها.

وحينئذ عرف أسعد مدى استعداد القوم للتضحية فى هذا السبيل، وتأكد منه، وكان هو الداعية الكبير مع مصعب بن عمير، وبالطبع فكان هو الرئيس الدينى على هؤلاء المبايعين، فكان هو السابق إلى هذه البيعة. قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده . وبعد ذلك بدأت البيعة العامة، قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة.

وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولاً. ما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط.

اثنا عشر نقيباً :

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله ﷺ انتخاب اثنى عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم، يكفلون المسؤلية عنهم فى تنفيذ بنود هذه البيعة، فقال للقوم: أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومكم بما فيهم.

فتم انتخابهم فى الحال، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبى ﷺ ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين.

قال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومى - يعنى المسلمين -. قالوا: نعم.

شيطان يكتشف المعاهدة :

ولما تم إبرام المعاهدة، وكان القوم على وشك الانفضاض، اكتشفها أحد الشياطين وحيث جاء هذا الاكتشاف فى اللحظة الأخيرة، ولم يكن يمكن إبلاغ زعماء قريش هذا الخبر سراً ليباغتوا المجتمعين، وهم فى الشعب، قام ذلك الشيطان على مرتفع من الأرض، وصاح بأنفذ صوت سمع قط: «يا أهل الأخاشب - المنازل - هل لكم فى محمد والصبأة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم».

فقال رسول الله ﷺ: هذا أزب العقبة، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك. ثم أمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم.

استعداد الأنصار لضرب قريش :

وعند سماع صوت هذا الشيطان قال العباس بن عبادة بن نضلة: «والذى بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا». فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعوا [illegible] فأصبحوا.

قريش تقدم الاحتجاج إلى رؤساء يثرب :

ولما قرع هذا الخبر آذان قريش وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان، لأنهم كانوا على معرفة تامة من عواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم، فما إن أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى مخيم أهل يثرب، ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة. فقد قال:

«يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين

أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم».

ولما كان مشركو الخزرج لا يعرفون شيئاً عن هذه البيعة لأنها تمت فى سرية تامة وفى ظلام الليل، انبعث هؤلاء المشركون يحلفون بالله ما كان من شئ، وما علمناه، حتى أتوا عبد الله بن أبى ابن سلول، فجعل يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومى ليفتاتوا على مثل هذا. لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى.

أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض، ثم لاذوا بالصمت، فلم يتحدث أحد منهم بنفى أو إثبات.

ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين، فرجعوا خائبين.

تأكد الخبر لدى قريش ومطاردة المبايعين :

عاد زعماء مكة وهم على شبه اليقين من كذب هذا الخبر، لكنهم لم يزالوا يتنطسونه - يكثرون البحث عنه ويدققون النظر فيه - حتى تأكد لديهم أن الخبر صحيح، والبيعة قد تمت فعلاً. وذلك بعد ما فر الحجيج إلى أوطانهم، فسارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين، ولكن بعد فوات الأوان، إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فألقوا القبض عليه، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله وجعلوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة، فجاء المطعم بن عدى والحارثبن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم. إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم فوصل القوم جميعاً إلى المدينة.

هذه هى بيعة العقبة الثانية - التى تعرف ببيعة العقبة الكبرى - وقد تمت فى جو تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنين، والثقة والشجاعة والاستبسال فى هذا السبيل. **فمؤمن من أهل يثرب يحنو على أخيه المستضعف فى مكة، ويتعصب له، ويغضب من ظالمه، وتجيش فى حناياه مشاعر الود لهذا الأخ الذى أحبه بالغيب فى ذات الله.**

ولم تكن هذه المشاعر والعواطف نتيجة نزعة عابرة تزول على مر الأيام، بل كان مصدرها هو الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه، إيمان لا يزول أمام أى قوة من قوات الظلم والعدوان، إيمان إذا هبت ريحه جاءت بالعجائب فى العقيدة والعمل. وبهذا الإيمان

استطاع المسلمون أن يسجلوا على أوراق الدهر أعمالاً، ويتركوا عليها آثاراً خلا عن نظائرها الغابر والحاضر، وسوف يخلو المستقبل.

عبر وعظات :

– عدد المبايعين فى البيعة الأولى كان اثنى عشر أما عددهم فى البيعة الثانية فقد كان بضعة وسبعين بينهم امرأتان، وهذا كان ثمرة تحرك الاثنى عشر الأوائل ومعهم مصعب ابن عمير بالإسلام (فلم ينعزل كل منهم على نفسه ويكتفى بمجرد إسلامه) حتى لم يبق دار فى المدينة إلا ودخلها الإسلام.

– كانت البيعة الثانية تمهيداً لهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وانطلاقاً لتأسيس مجتمع مسلم فى المدينة ونشر دعوة الإسلام فى ربوع الأرض بعد ذلك.

– فى بنود البيعة لفت لما يجب أن يكون عليه المسلم فى بيعته وعهده مع ربه، ومع رسوله ﷺ، وإشارة لما تكبده المسلمون الأوائل فى حمل هذا الدين حتى وصل إلينا، وما يجب أن نكون عليه نحو ديننا، ونحو طاعة ربنا، وحب رسولنا محمد ﷺ.

التقويم

١– متى كانت بيعة العقبة الثانية؟

٢– اذكر عدد من حضر بيعة العقبة الثانية من أهل المدينة.

٣– وضح كيف كانت هذه البيعة «بيعة العقبة الثانية».

٤– اذكر قول العباس فى خطورة هذه البيعة.

٥– اذكر بنود هذه البيعة «بيعة العقبة الثانية».

٦– وضح بعض ما ذكره نفر من الأنصار يدلل على خطورة البيعة.

٧– وضح عقد البيعة وما تم فيه.

٨– اذكر عدد النقباء من الأوس والخزرج ومهمتهم.

٩– اذكر كيفية اكتشاف البيعة.

١٠– وضح موقف قريش من اكتشاف خبر هذه المعاهدة.

١١– ماذا تعلمت من دراستك لبيعة العقبة الثانية.

١٢ – وضح إلى أى مدى استفدت شخصياً من العبر والدروس فى بيعة العقبة الثانية وما فيها من مواقف وأحداث.

الفصل الخامس

صور من حياة الصحابة رضوان الله عليهم

عثمان بن عفان

على بن أبى طالب

سعد بن أبى وقاص

عبد الرحمن بن عوف

سعيد بن زيد

أسامة بن زيد

عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الأهداف الإجرائية السلوكية:

أ ـ أن يلخص الدارس تاريخ سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سطور.

ب ـ أن يذكر الدارس اسمه ومولده وصفته رضى الله عنه.

جـ ـ أن يذكر الدارس إسلام سيدنا عثمان رضى الله عنه.

د ـ أن يوضح الدارس مواقف سيدنا عثمان رضى الله عنه (مع رسول الله ﷺ ـ مع أبى بكر وعمر ـ فى خلافته).

هـ ـ أن يستخلص الدارس الدروس المستفادة من مواقف سيدنا عثمان رضى الله عنه (مع رسول الله ﷺ ـ مع أبى بكر وعمر ـ فى خلافته).

و ـ أن يوضح الدارس أبرز نواحى عظمة سيدنا عثمان رضى الله عنه.

ز ـ أن يوضح الدارس العبر والدروس المستفادة من حياة سيدنا عثمان رضى اللهعنه.

ح ـ أن يوضح الدارس كيف يطبق هذه الدروس المستفادة فى حياته الشخصية.

ط ـ أن يوضح الدارس أبرز المواقف أو الصفات التى تأثر بها من شخصية سيدنا عثمان رضى الله عنه.

تاريخه فى سطور:

١ ـ ولد فى العام الخامس لحادث الفيل..

٢ ـ كان خامس خمسة آمنوا بالإسلام..

٣ ـ كان عمره حين توفى الرسول ثمانياًوخمسين سنة.

٤ ـ تفرد من بين الصحابة بزواجه من ابنتى رسول الله ووفاتهما فى حياته..

٥ ـ ومن أعماله الخالدة جمعه الناس على مصحف واحد وقراءة واحدة..

٦ ـ تولى الخلافة فى غرة المحرم عام ٢٤هـ.

٧- كان عمره حين تولى الخلافة سبعين سنة.

٨-- استشهد فى ١٨ من ذى الحجة عام ٣٥هـ.

٩- كان عمره حين استشهد اثنتين وثمانين سنة..

١٠- مدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام..

١١- تزوج ثمانيا من النسوة توفى عن أربع منهن وهن: فاختة، وأم البنين، ورملة، ونائلة.

١٢- كان له تسعة أبناء وثمانى بنات: عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمرو، وعمر، وخالد، والوليد وسعيد وعبد الملك..

اسمه:

هو عثمان بن عفان عن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف الأموى القرشي.

مولده:

ولد فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله ﷺ، وكان عمره حين البعثه خمساً وثلاثين سنة.

صفته:

كان مربوعاً، حسن الوجه، رقيق البشرة، أسمر، وافر اللحية، أصلع، عظيم الكتفين.

إسلامه:

كان فى جاهليته عفا، كريمًا، مستقيمًا فى خلقه، معروفاً بعقله ورجاحة رأيه، فما دعاه أبوبكر إلى الإسلام حتى استجاب للدعوة، وأعلن بين يدى رسول الله إسلامه، فكان من أوائل السابقين إلى الإسلام. ولما علم عمه الحكم بإسلامه، أوثقه كتافاً وقال له: ترغب عن دين آبائك إلى دين مستحدث؟ والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه! فقال عثمان: والله لا أدعه ولا أفارقه. فيئس عمه منه وتركه وشأنه.

مع الرسول:

وكان مع رسول الله مثال المؤمن المخلص الذى وهب لله ولرسوله نفسه وحياته وراحته،

زوجه رسول الله بعد إسلامه بقليل ابنته رقية، ثم هاجر معها إلى الحبشة مع عشرة من الرجال وخمس من النسوة. ثم عاد منها إلى مكة قبل الهجرة. ثم كان فيمن هاجر إلى المدينة مع زوجه، ولازم رسول الله فى معاركه ومجالسه كلها، لم يغب إلا عن بدر، إذا مرضت زوجته رقية، فأذن الله الرسول بالبقاء عندها لتمريضها. وقد أسهم له الرسول فى غنائم بدر كمن شهدها. ولما خرج الرسول إلى غزوة غطفان استخلفه على المدينة حتى رجع. وقد توفيت زوجته فى عام أحد،فزوجه الرسول ابنته الثانية أم كلثوم، وبذلك سمى (ذو النورين). وقد كان فى غزوة الحديبية رسول النبى إلى قريش دلهم أن الرسول لا يريد حرباً، وإنما يريد ومن معه من المسلمين زيارة البيت الحرام، فحبسته قريش، وأشيع فى المسلمين أنه قتل، فصمم الرسول على مناجزتهم الحرب، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت فى سبيل الله، وقد مد الرسول إحدى يديه وقال: هذه يد عثمان، وضرب بها يده الأخرى كمن يبايع. وفى غزوة تبوك كانت له اليد الطولى فى تجهيز الجيش والإنفاق عليه، ولم يفارق رسول الله الدنيا إلا وقد شهد له بالجنة كما روى البخارى، وأصبح معدوداً من كبار الصحابة، الذين أسهموا مع النبى بأموالهم وجهودهم فى نشر الدين وتثبيت دعائمه.

مع أبى بكر وعمر:

وكان فى حياة أبى بكر وعمر من كبار رجال الدول: الذين يستشارون فى الملمات، ويعتمد عليهم فى الحوادث، ولم يضن عليهما، ولا على الدولة بمعونة ولا تأييد مادى أو معنوى، حتى آلت إليه الخلافة بعد مقتل عمر رضى الله عنه.

فى خلافته:

بويع بالخلافة من بين ستة من كبار الصحابة عينهم عمر للخلافة، واستمر فى خلافته ستة أعوام، نعم فيها المسلمون بالأمن والاستقرار، وتوالى الفتوح، واتساع رقعة الدولة. ففى عهده فتحت بلاد الخزر (الترك) وتوغل المسلمون فى خراسان وقهستان وطخارستان، وافتتحوا تفليس وقبرص. وفى عهده أنشئ أول أسطول بحرى للمسلمين. وتوالت انتصارات المسلمين فى البحر، حتى أصبحت الدولة الإسلامية دولة بحرية. ثم ابتدأت الفتنة، واضطراب أمر المسلمين ست سنوات أخرى من خلافته، لم تنته إلا بمصرعه شهيداً فى بيته على يد نفر من الأشقياء من زعماء الفتنة.

ابتدأت الفتنة بدسائس اليهودى عبد الله بن سبأ الذى تظاهر بالتشيع لعلى، والانتقاص من عثمان، وأخذ ينشر الأكاذيب عن سياسته وأعماله. وقد وجد فى دهماء الأمصار الكبرى، الكوفة والبصرة ومصر، مرتعًاخصبًا لترويج أكاذيبه. وقد استجاب للفتنة رءوس الشر من طالبى الزعامة، وحديثى العهد بالإسلام، ممن لم يعرفوا قدر عثمان، ولم يشهدوا بلاءه فى الدعوة، وسبقه إلى اعتناقها، ورضى رسول الله ﷺ عنه، وشهادته له بالجنة. وهكذا تعاون الدس اليهودى، مع الطمع الدنيوى، مع طيش الشباب، ونسيان آداب الإسلام مع أولى الأمر، وكبار صحابة الرسول وقدماء الدعاة إلى الله، تعاون كل ذلك على إيجاد الفتنة الكبرى التى ابتدأت بقتل الخليفة الصحابى الجليل، وهو فوق الثمانين من عمره، ثم انتهت إلى تفريق كلمة المسلمين، وتمزيق وحدتهم، وتفريقهم إلى شيع وأحزاب،كل حزب بما لديهم فرحون.

ولقد أحكموا أسباب الفتنة، حتى أحاطت بالخليفة المظلوم من كل جانب، فأثاروا دهماء الناس فى الأمصار على ولاتهم، ليضطرب الأمن، وتنتشر الفوضى، ثم أخذوا يكتبون إلى أهل كل مصر من الأكاذيب عن سوء أوضاع البلد الآخر، مما جعل الذين يسمعون هذه الأخبار، يعتقدون أن الظلم والفوضى والاضطهاد ضارب أطنابه فى ذلك المصر، ثم يحملون تبعة ذلك كله على عثمان، أمير المؤمنين، حتى إذابلغوا غايتهم من تهييج الدهماء، تواعدوا باسم الحج على الحضور إلى المدينة، مقر الخليفة، لمحاصرتها، وإنفاذ جريمتهم التى بيتوها. وجاء أوشاب مصر والكوفة والبصرة، كل من طريق غير طريق الآخر، حتى أحاطوا بالمدينة، فخرج إليهم على رضى الله عنه، وناقشهم، فأبطل حججهم، وبين ما يفترون على الخليفة، وما يتجاوزون فيه الحق، فتظاهروا بالاقتناع بحيث عاد على إلى المدينة، واطمأن الصحابى إلى انتهاء الفتنة. ولكنهم سرعان ما فاجأوا المدينة بالليل، واحتلوها، وانتشروا فى أرجائها، يعلنون الثورة على خليفة المسلمين، وناقشهم عثمان فيما زعموه من أسباب ثورتهم، وتبين له أن ليس فيها سبب واحد يدعو إلى شق عصا الطاعة، ولكم الكيان الإسلامى وتوهينه. فقد أخذوا على عثمان أنه أتم الصلاة فى منى، وقد كان رسول الله وصحباه يقصران فيها، فأجابهم: إنى قدمت بلداً فيها أهلى، وأن فى الحج من هم حديثوا العهد بالإسلام، فخشيت أن يظنوا أن الصلاة فى منى تكون ركعتين دائمًا، فأتممت لهذين الأمرين. ثم سألهم: أليس كذلك؟ قالوا: بلى وأخذوا عليه أنه أخذ بعض المراعى المملوكة لأصحابها، فحماها، وأباحها لإبل بيت المال، وغنم المسلمين، فأجابهم، بأنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين، لا لمصلحته هو، فليس له ثاغية ولا راغية. ولقد ولى الخلافة وهو أكثر العرب بعيراً، ثم هو اليوم ليس له شاه ولا بعير إلا بعيرين يحتاجهما فى حجه... ثم سألهم: أليس كذلك؟ قالوا: بلى.

وأخذوا عليه أنه جمع القرآن فى مصحف، وقد كان فى مصاحف متعددة. ولعمرى لو لم يكن لعثمان من مآثره فى التاريخ إلا جمع الناس على مصحف واحد، وقراءةواحدة لكفى، ولكن الحقد والجهل قلبا مآثره الخالدة إلى نقيصة... وقد قال لهم فى جوابه:إن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا فى ذلك تابع لمن تقدمنى، وهو أبوبكر. وسألهم: أليس كذلك؟ قالوا بلى.

واخذوا عليه أنه استعمل الشباب الأحداث فى الوظائف والولايات، فأجابهم بإنه لم يستعمل منهم إلا مجتمعًامحتملاً مرضيًا ولقد استعمل رسول الله أسامة، وهو شاب على كبار المهاجرين والأنصار ثم سألهم: أليس كذلك؟ قالوا بلى.

وأخذوا عليه استعماله لبعض أقربائه، فأجابهم: بأن رسول الله قد استعمل بعض أقربائه، وما يضر الحاكم أن يتولى أقرباؤه الحكم، إذا كانوا على خير واستقامة وصلاح. وهكذا ألزمهم عثمان الحجة، ولو كانوا يريدون فى ثورتهم الحق لاستمعوا إليه، ونزلوا عنده، ولكنهم طلاب إمرة – كما قال عثمان ذلك عنهم فى بعض خطبه – رواد فتنة، وحديثو عهد بالإسلام، أغراهم الشيطان بالشر، بحجة إنكار الظلم، وطلب الإصلاح، فظلموا الأمة وأفسدوا الدولة، وفتقوا فى الإسلام فتقًا لم يرتق بعد. وأحاطوا بالخليفة فحصروه فى بيته، ومنعوه من حضور المسجد، وحبسوا عنه الطعام والماء، وهو يناشدهم الله أن يذكروا صحبته لرسوله، وبلاءه فى الإسلام وإنفاقه أمواله فى سبيل الله. وما كان لمثل هؤلاءالبغاة أن تهزهم سابقة عثمان ولا تضحياته، وهم لم يكن لهم شرف السبق إلى الإسلام، فيعرفوا للسابقين فضلهم، ولا كانوا أهل تضحية وإنفاق، ليذكروا للمنفقير أياديهم وحسن صنيعهم. واستمروا فى حصار البيت، والخليفة يمنع أحداً من أن يقاومهم بالسلاح، لئلا يكون سفك دماء المسلمين على يده، وأصروا على أن يتنازل عن الخلافة، فأبى أن ينزع ثوبًا ألبسه الله إياه، أو يفرط فى أمانة المسلمين فى عنقه، وهم حفنةمن البغاة، لا يمثلون جماعة المسلمين، ولا يعبرون عن آرائهم. واستنجد الخليفة بالأمصار، وخشى الثائرون أن تأتيه النجدات – وقد تحركت فعلاً من البصرةو الشام –

فينكشف أمرهم، وتخذل حركتهم، فتسوروا على عثمان البيت، وأحرقوا الأبواب، وتقدم بعض أشقيائهم فضرب على رأسه، وهو يتلو كتاب الله. وأرادت زوجته الوفية البارة (نائلة) أن تحول دون ضربه بالسيف بيدها فتقطعت أصابعها، ثم هجم عليه شقى آخر فأمسك بلحيته، واحتز رأسه، كما يحتز الجزار الشاة، وصعدت إلى الله روح الخليفة المظلوم، تلعن دعاة الفتنة بلسان اثنين وثمانين عامًا، كان كل يوم فيها أكرم على الله، وأبر بالإسلام، من أعمار هؤلاء الأشقياء جميعًا. ولم يكتفى الأشقياء بجريمتهم، بل انتهبوا ما فى البيت من أثاث، ثم أتوا إلى بيت المال فانتهبوه كله، وشاع فى المدينة قتل الخليفة،وكان ذلك لثمانى عشرة خلت من ذى الحجحة سنة ٣٥هـ.

أبرز نواحى عظمته:

نقتصر – وقد طال الحديث – فى الكلام عن عظمته رضى الله عنه، على الناحية البارزة فى تاريخه، وهى سخاؤه العظيم فى سبيل الدعوة، وإنفاقه عليها فى حياة رسول الله وبعده، ما جعله يكاد ينفرد بذلك بين عظماء الصحابة، أنفق على تجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وخمسين فرسًا. وجهز ثلاثمائة من فقهاء الصحابة ليكونوا فى الجيش، وكان لذلك وقع كبير الأثر فى نفس الرسول حتى إنه قال: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) صححه الحاكم والذهبى، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم ارض عن عثمان فإنى راض عنه) ورد عند أبى سعيد مرفوعًا: (اللهم رضيت عن عثمان فارض عنه) ثلاثا.

وله مأثرة كبرى فى حياة الرسول، فقد قال عليه الصلاة والسلام مرة: (من يحفر بئر رومة فله الجنة) البخارى: ٥/ ١١٧، فاشتراها عثمان، ثم تصدق بها على المساكين، وكان يستقى منها كما يستقى كل واحد منهم وفى عام الرمادة، فى عهد عمر، حيث أكل الناس الشجر والدواب من المجاعة، تصدق بألف بعير عليها المؤونة والطعام وقد جاءه التجار ليشتروهامنه فقال: إنى بعتها لله وإنها صدقة على المسملين.

عثمان بن عفان رضى الله عنه والقرآن الكريم:

عن ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] قال هو عثمان بن عفان وقال ابن عباس فى قوله تعالى هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان.

وقال سفيان بن عيينة سمعت الحسن يقول قال عثمان لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا وإنى لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فى المصحف وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه وقال أنس ومحمد بن سيرين قالت امرأة عثمان يوم الداراقتلوه أو دعوه فواالله لقد كان يحيى بالقرآن فى ركعة وقال غير واحد إنه رضى الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئهإلا أن يجده يقظانا وكان يصوم الدهر و كان يعاتب فيقال لو أيقظت بعض الخدم فيقول لا الليل لهم يستريحون فيه وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه وهو فى بيت مغلق عليه ولا يرفع صلبه جيداًمن شدة حيائه رضى الله عنه.

ومن مناقبه الكباروحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدةوكتب المصحف على العرضة الأخيرة التى درسها جبريل على رسول الله ﷺ فى آخر سنى حياته وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان فى بعض الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبى الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبى موسى وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأ الآخر أو كفره فأدى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار فى الكلام السيئ بين الناس فركب حذيفة إلى عثمان فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أمن تختلف فى كتابها كاختلاف اليهود والنصارى فى كتبهم وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس فى القراءة فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم فى ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس فى سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى فى ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف فاستدعى بالصاحف التى كان الصديق أمر زيد بن ثابت يجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته ثم كانت عند عمر فلما توفى صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصارى أن يكتب وأن يملى عليه سعيد بن العاص الأموى بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى وأمرهم إذا اختلفوا فى شيء أن يكتبوه بلغة قريش فكتب لأهل الشام مصحفًا ولأهل مصر آخر بعث إلى البصرة مصحفًا وإلى الكوفة بآخر وأرسل إلى مكة مصحفًا وإلى اليمن مثله وأقر بالمدينة مصحفًا ويقال لهذه المصاحف الأئمة وليست كلها بخط

عثمان بل ولا واحد منها وإنما هى بخط زيد بن ثابت وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى آمره وزمانه وإمارته كما يقال دينار هرقلى أى ضرب فى زمانه ودولته قال الواقدى حدثنا ابن أبى سبرة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ورواه غيره من وجه آخر عن أبى هريرة قال لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبوهريرة فقال أصبت ووفقت أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أشد أمتى حبًا لى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى يعملون بما فى الورق المعلق. فقلت أى ورق حتى رأيت المصاحف قال فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبى هريرة بعشرة آلاف. ثم عمد إى بقية المصاحف التى بأيدى الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف. عن سويد بن غفلة قال: قال لى على حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته، وهكذا رواه أبوداود.. سمعت سويد بن غفلة قال: قال على أيها الناس إياكم والغلو فى عثمان تقولون حرق المصاحف والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولى لفعلت مثل الذى فعل.

يفرح حين لا يرى المعصية:

أخبر عثمان أن قومًا قد اجتمعوا على أمر قبيح، فخرج إليهم، فوجدهم قد تفرقوا،ورأى أثرًا قبيحًا، فحمد الله إذ لم يصادفهم،وأعتق رقبة (الرياض النضرة ٢/١١٢).

فانظر هذا الفقه فى دين الله، وقارن بين هذا وبين ما يفعله بعض المتدينين الجاهلين من تتبع عورات الناس، وإشاعة الفاحشة عنهم، ويلبس الشيطان عليهم بأن هذا غضب لله، ودفاع عن الفضيلة، حتى ليحرضون على التشهير بمن أشيع عنه السوء، حسبة لله عز وجل! وإنا لله من الإنحراف فى فهم الدين، كيف يكون أضر على الدين ممن يعصى الله،وهو يخجل من معصيته!...

الخوف من الله:

قال عثمان: لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير (الرياض النضرة ٢/١١١) وكان لعثمان عبد فقال له، إنى كنت عركت أذنك فاقتص منى، فأخذ العبد بأذنه، فقال عثمان اشدد ياحبذا قصاص فى الدنيا، لا قصاق فى الآخرة (الرياض النضرة ٢/١٢٦).

الحياء من الإيمان:

قال عثمان يوم حوصر فى الدار: وأيم الله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام وما ازددت للإسلام إلا حياء (الرياض النضرة ٢/١٠٨).

المؤمن ينظر بنور الله:

دخل رجل على عثمان، وقد نظر إى امرأة أجنبية، فلما نظر إليه عثمان قال، أيدخل على أحدكم وفى عينيه أثر الزنى؟ فقال له الرجل: أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ قال عثمان: لا ولكنه قول حق، وفراسة صديق.

يتاجر مع الله فيربح:

قحط الناس فى زمن أبى بكر رضى الله عنه، فقدمت لعثمان ألف راحلة برًا وطعامًا، فغدا التجار عليه فقالوا: بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة برًا وطعامًا، بعنا حتى نوسع به على فقراء المدينة، فقال لهم عثمان كم تربحونى على شرائى؟ قالوا العشرة اثنى عشر، قال قد زادنى،قالوا من زادك ونحن تجار المدينة، قال زادونى بكل درهم عشرة! هل عندكم زيادة؟ قالواك لا. قال: فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة.

الحاكم المسلم مع شعبه:

كان عثمان يطعم الناس طعام الإمارة، ويأكل الخل والزيت! وقال عبد الله بن شداد رأيت عثمان يخطب يوم الجمعةوهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعةدراهم أو خمسة.

ذوق العابد المسلم:

كان عثمان لا يوقظ أحداً من أهله من الليل إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه.

فانظر إلى هذا الذوق الإسلامى الرفيع الذى يرى أن العبادة لله تتنافى مع إزعاج الناس أوإرهاقهم وقارن بين هذا وبين ما يبدو على كثير من المتعبدين الجاهلين من غلظة وقسوة وإرهاق للناس واستخدام لهم فى كل شئونهم دون حساب لإرهاقهم وأوقاتهم.

عليكم بالجماعة:

دخل أبوقتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور فاستأذناه فى الحج فأذن لهما.

فقالا له: إن غلب هؤلاء القوم (أى دعاة الفتنة) مع من نكون؟ قال عليكم بالجماعة. قالوا فإن كانت الجماعة هى التى تغلب عليك! مع من نكون؟ قال فالجماعة حيث كانت (الرياض النضرة٢ / ١٢٨).

هذا هو الفقه بدين الله وهذا هو الإسلام الذى حمله لنا صحابة رسول الله لنا لا كإسلام بعض الناس الذين يفرقون الصفوف وينبذون الجماعة، وهم يزعمون أنهم على الحق وما آذى الحق شيء كاختلافهم وتمردهم وخداع الشيطان لهم بأنهم وحدهم على الحق. والجماعة كلها ضالة منحرفة نعوذ بالله من الخذلان وركوب الهوى..

من كلماته الخالدة:

قال فى أول كتاب بعثه إلى عماله فى الأمصار. أما بعدك فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاةولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، ألاوإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم، فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بالذى عليهم.

وكتب إلى الناس فى الأمصار يقول لهم: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، ولا يذل المؤمن نفسه، فإنى مع الضعيف على القوى، ما دام مظلوماً إن شاء الله.

ومن كتابه إلى الناس فى الحج قبل اغتياله: أما بعد فإن أقواماً ممن كان يقول فى هذا الحديث، أظهروا للناس أنهم إنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل، والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها، فلما عرض عليهم الحق تركوه وأرادو أن يبتغوا الأمر بغير الحق.

وصية عثمان:

لما قتل عثمان شهيداً فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه. فوجدوا فيه ورقة مكتوباً عليها (هذه وصية عثمان) بسم الله الرحمن الرحيم. عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق. وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد. عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث إن شاء الله (الرياض النضرة ٢ / ١٣٢).

رضى الله عنه وأرضاه وأثابه. رحم الله عثمان على بلائه فى الإسلام. وسخائه للدعوة، وصبره عند المحنة .واستشهاده بأيدى دعاة الفتنة.

التقويم

١- لخص تاريخ سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سطور.

٢- اذكر اسم ومولد وصفة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه.

٣- اذكر إسلام سيدنا عثمان رضى الله عنه.

٤- وضح أبرز مواقف سيدنا عثمان رضى الله عنه (مع رسول الله ﷺ - مع أبى بكر وعمر - فى خلافته).

٥- استخلص الدروس المستفادة من مواقف سيدنا عثمان رضى الله عنه. (مع رسول الله ﷺ - مع أبى بكر وعمر - فى خلافته).

٦- وضح أبرز نواحى عظمة سيدنا عثمان رضى الله عنه.

٧- وضح العبر والدروس المستفادة من حياة سيدنا عثمان رضى الله عنه.

٨- وضح كيف تطبق هذه الدروس المستفادة فى حياتك الشخصية.

٩- وضح أبرز المواقف أو الصفات التى تأثرت بها من شخصية سيدنا عثمان رضى الله عنه.

* * *

على بن أبى طالب رضي الله عنه

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ – أن يلخص الدارس تاريخ سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ب– أن يذكر الدارس (اسم وكنية ومولد ونشأة ووصف ومتى أسلم) سيدنا على رضى الله عنه .

ج – أن يوضح الدارس خلافة سيدنا علىّ وأحداث الفتنة التى دارت فيها وأسباب استشهاده .

د– أن يذكر الدارس العبر والعظات التى يستخلصها من استشهاد الإمام علىّ رضى الله عنه .

هـ– أن يوضح الدارس أبرز نواحى عظمة سيدنا على رضى الله عنه .

و– أن يستخلص الدارس الدروس المستفادة من نواحى عظمة الإمام علىّ رضى الله عنه .

ز– أن يوضح الدارس أبرز مآثر وصفات الإمام علىّ رضى الله عنه التى تأثر بها شخصياً .

تاريخه فى سطور :

١– أول من أسلم من الصبيان وصلى مع رسول الله ﷺ .

٢– استخلفه الرسول فى بيته ليلة الهجرة .ووكل إليه رد ودائع المشركين .

٣– زوجه الرسول ابنته فاطمة فى السنة الثانية من الهجرة .

٤– لم يتزوج غير فاطمة حتى توفيت بعد وفاة الرسول بستة أشهر .

٥– كان عمره حين أسلم عشر سنين، وحين هاجر ثلاثا وعشرين، وحين توفى الرسول ثلاثا وثلاثين، وحين استشهد ثلاثا وستين سنة .

٦– تولى الخلافة فى ٢٥ من ذى الحجة لعام ٣٥ من الهجرة .

٧– واستشهد بالكوفة ليلة ١٧ من رمضان سنة ٤٠ .

٨– كانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر و٢٢ يوماً .

اسمه وكنيته :

هو علىّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى، يجتمع مع النبى ﷺ فى جده الأول عبد المطلب . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية تجتمع مع النبى ﷺ فى جده الثانى، وهى أول هاشميةولدت هاشمياً، وكنيته أبوالحسن، وكناه رسول الله ﷺ (أبا تراب) فكان علىّ يحب أن ينادى به .

مولده ونشأته وصفته :

ولد فى جوف الكعبة، فى السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله ﷺ .

كان أبوه أبوطالب أكبر زعماء قريش وشيخ شيوخها . وله فضل فى كف أذى قريش عن النبى ﷺ فى بدء الدعوة . وكان ضيق الحال، كثير العيال، فاتفق حمزة والرسول – قبل البعثة – على أن يخففا عن أبى طالب مؤونة العيال، فكان علىّ من نصيب رسول الله ﷺ، فتربى فى حجره، ولازمه حتى بعثه الله بالرسالة .

كان أسمر اللون، أصلع الرأس، ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه، أبيض شعر الرأس واللحية، أدعج العينين (شدة سواد العين مع سعتها) عريض المنكبين، شديد الساعد واليد، خشن الكفين، عظيم البطن، قريباً إلى السمن، ربعةمن الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه، ضحوك السن، إذا مشى تكفأ (مادةوتمايل)، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس .

إسلامه :

لم يتدنس رضى الله عنه بدنس الجاهلية، إذ أسلم دون البلوغ، وأرجح الأقوال :أن عمره حينئذ عشر سنين، فكان أول من أسلم من الصبيان . رآه أبوطالب فى أحد شعاب مكة يصلي مع رسول الله ﷺ – وكان ذلك ثانى يوم من الرسالة – فقال له أبوه : أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال علىّ: ياأبى ! آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به وصليت معه لله،واتبعته ! فقال أبوطالب : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

مع الرسول :

ومازال منذ أن أسلم يبدى من حبه للرسول، وتفانيه فى دعوته، وتضحيته فى

سبيلها،ما جعله من أحب الصحابة إلى قلب رسول الله. استخلفه الرسول فى فراشه ليلة الهجرة،وجعله أخاه، حين آخى بين المهاجرين والأنصار فى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع الرسول، وأبلى فيها البلاء الحسن، ولم يتخلف عن الجهاد مع الرسول إلا فى غزوة تبوك، إذ استخلفه على المدينة، فقال علىّ أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ فأجابه عليه السلام ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبى بعدى! (رواه البخارى).. وأرسله الرسول بسورة براءةليقرأها على الناس فى موسم الحج فى العام التاسع للهجرة، وكان حامل راية الرسول فى أكثر الغزوات.. واستمر فى لزوم رسول الله، والتضحية فى سبيل الإسلام، حتى قبض رسول الله ﷺ، بعد أن زوجه فاطمة، وبشره بالجنة، فكان أحد العشرة المبشرين بها (حديث العشرة المبشرون بالجنة رواه أبوداود والترمذى).

بعد الرسول:

ولما استخلف أبو بكر رضى الله عنه، ورأى إجماع الصحابة على استخلافه بايعه علىّ عن رضا وطيب نفس، وظل طيلة حياة أبى بكر «نعم العون والوزير» يساهم فى إدارة الدولة وتصريف الشئون بصدق وإخلاص، وكذلك كان مع عمر، فقد كان له وزير صدق، حتى زوجه ابنته أم كلثوم. وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها. وكان فى عهد عمر من كبار الدولة. الذين تعقد عليهم الآمال. حتى جعله عمر من الستة الذين يختار منهم الخليفة من بعده. ولما استخلف عثمان بايعه فيمن بايع من جمهور الصحابة، والتزم نصحه ومؤازرته، وكان موقفه منه حين ثارت الفتنة، موقف الناصح المدافع عنه، ولما أطبق الثوار على قصر الخليفة الشهيد، أرسل ولديه الحسن والحسين بسيفيهما، حتى نفذ قضاء الله.

فى خلافته:

بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، وكانت أيامه فيها فتن ومعارك دامية صرفت المسلمين مؤقتًا عن إتمام رسالتهم العالمية بالفتوح التى بدأت فى عهد أبى بكر، واستمرت طيلة عهد عمر، وشطراً كبيراً من عهد عثمان. ولذلك لم يتح له أن يتم الفتوحات، ويتفرغ للإصلاح والبناء. ولو امتد به الأجل،وخلا عهده من الفتن، لكان كعهد عمر، من أزهى عصور التاريخ الإسلامى عدالةواستقامة ويمنًا وبركة على الإسلام، ورحمة للإنسانية.

ومع الفتن التى أحاطت بخلافته، فقد كان رضى الله عنه، شديداً فى الحق، مقيمًا للعدل، خاشعًا لله، مجتهداً فى نصح الأمة، يولى الأخيار، ويحاسب المقصرين، ولا يجامل فى الحق أبداً، ولا يخاف فى الله لومة لائم، زاهداً فى الدنيا، بعيداً عن الترف، وكما كانت حياته جهاداً، فقدكان موته استشهاداً.

أسباب استشهاده:

كان قبول عليه رضى الله عنه لفكرة التحكيم – فى موقعة صفين – على غير رضا منه، وكان يرى أن قبول التحكيم بينه وبين معاوية ضعف، بعد أن كادت ترجح كفته فى القتال، لكن جيشه أجبره على قبول التحكيم، ووقعت الاتفاقية بين الفريقين، بتحكيم أبى موسى الأشعرى، نيابة عن علىّ وجيشه، وتحكيم عمرو بن العاص، نيابة عن معاوية ومن معه. وانصرف الجيشان من المعركة إلى بلادهم. أما جيش معاوية فقد رجع صفًا واحداً، وقلبًا واحداً. وأما جيش علىّ، فكانوا كما روى الطبرى عن عمارة بن ربيعة خرجوا مع علىّ إلى صفين وهم متوادون أحباء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من معسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم (أى إنكار التحكيم). ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشاتمون، ويضطربون بالسياط. يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم (صانعتم ولاينتم) فى أمر الله وحكمتم. وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرقتم جماعتنا (تاريخ الطبرى). فلما دخل علىّ الكوفة، فارقته جماعة الخواج وهم يعلنون كفره – وقد كانوا من أشد أنصاره – وكفر من معه، لأنه قبل بالتحكيم، ولا حكم إلا لله عز وجل. وحاول علىّ أن يقنعهم بالحجة، فأرسل إليهم ابن عباس، فحاجهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولزمتهم الحجة، لولا أن الشيطان يفعل فى العابد التقى ما لا يفعله فى الفاجر الشقى. وزين لهم الشيطان خروجهم على الجماعةواستباحتهم دماء إمامهم وإخوانهم، وتجمعوا فى مكان يقال له النهروان (كورة واسعة بين بغداد وواسط). وأخيراً وقعت الواقعة بينهم وبين على رضى الله عنه، فانكسروا شر انكسار،وقتل أكثرهم، وخرج كثير منهم، وكان ذلك سنة ٣٨ من الهجرة.

تدبير المؤامرة:

وفى عام ٤٠هـ اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم (كان من شيعة على ثم خرج عليه)، والبرك بن عبد الله (ثائر من أهل البصرة وهو أول من عارض فى

التحكيم وخرج على الفريقين)، وعمرو بن بكر التميمى، فتذاكروا الناس،وعابوا على ولاتهم، كما ذكروا جمعتهم أهل النهروان، وترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، اخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لايخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا (بعنا) أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا. فقال ابن ملجم – وكان من أهل مصر – أنا أكفيكم على بن أبى طالب، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان، وقال عمرو بن بكر: أن أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتواثقوا بالله، لاينكص رجلاً منا عن صاحبه الذى توجه إليه، حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا أن ينفذوا جريمتهم لسبع عشرة تخلو من رمضان، وأقبل كل منهم على المصر الذى سيقيم فيها صاحبه الذى تكفل باغتياله، فأما البرك بن عبد الله، فقد تربص لمعاوية ليلة السبع عشر من رمضان فلما خرج ليصلى الصبح شد عليه بسيفه، فوقع فى إليته، وكان معاوية سمينا فلم يؤثر فيه وقبض على البرك، وأما عمرو بن بكر فحصرعمرو بن العاص تلك الليلة ولم يخرج عمرو إذ كان قد اشتكى وجعًا فى بطنه، وخرج بدلاً عنه خارجة بن حذافة، صاحب شرطته، فضربه ابن بكر بالسيف، فقتله وقبض الناس عليه، وهو يظن أنه قتل عمرو بن العاص، فلما مثل بين يديه قال له: والله يافاسق ما ظننته غيرك. وقال عمرو: أردتنى وأراد الله خارجة، ثم أمر بقتله فقتل.

استشهاد علىّ رضى الله عنه:

وأما بن ملجم، فقد نزل الكوفة، فلقى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام، وقد كان أبوها وأخوها ممن قتل من الخوارج يوم النهروان، وكانت بارعة الجمال، ففتن بجمالها، ونسى الغرض الذى جاء من أجله – وهو قتل علىّ رضى الله عنه – وقرر أن يخطبها لنفسه، فلما كاشفها بالأمر، قالت: آليت ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه، فقال: وما هو؟ قالت ثلاثة آلاف دينار وعبد، وقينة، وقتل علىّ بن أبى طالب فقال لها: لك ما طلبت من المهر غير أن قتل على بن أبى طالب يدل على أنك لا تريديننى! وإنما تريدن قتلى، قالت: بل ألتمس غرته (الغفلة)، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى، ويهنئك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل على، فلك ما سألتى. ثم تربص لعلى ساعة خروجه إلى صلاة الصبح، فضربه بالسيف، وهو يقول: الحكم لله ياعلى لا لك ولا لأصحابك، فخر

على رضى الله عنه، وتجمهر الناس، وقبضوا على ابن ملجم، وأدخلوه على أمير المؤمنين فقال لهم: ا لنفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلنى، وإن بقيت، رأيت رأيى فيه، ثم ظل بعدها يومين أو ثلاثة حتى توفى رضى الله عنه سنة ٤٠ من الهجرة (الرياض ٢٤٦ – ٢٤٨).

درس وعبرة:

ولا بد للمسلم من أن يقف طويلاً عند مقتل على رضى الله عنه، فلئن كان عثمان قد قتله الأشرار من دعاة الفتنة، لقد قتل عليًا أحد الأشرار ممن انحرفوا فى فهم الإسلام، ولبس عليهم الشيطان، فزين لهم قتل إمام المسلمين، على أنه طاعة يشترون بها الجنة!.. لقد كان الخوارج مشهورين بالعبادة والتقوى، وفيهم يقول أبو حمزة الخارجي: (عفيفة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا، بأنفس لا تموت أبدًا). ولكن عبادتهم لم تنفعهم حين انحرفوا فى فهم الإسلام، واستباحوا الخروج عن الجماعة، واستحلوا دم الإمام العظيم ومن معه من المسلمين. وهكذا زين لهم الشيطان أعمالهم، وأضلهم عن السبيل، ففتحوا باب فتنة كبير على المسلمين، وزادوا فى فرقتهم، بعد أن كانوا فريقين: فريقًا مع علي، وفريقًا مع معاوية،و إلى أن أصبحوا فريقًا ثالثًا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء. داخلهم الزهو والغرور بعبادتهم، حتى احتقروا المسلمين وكفروا أئمة الهدى، وأضل المغرورين عن دين الله عز وجل.

أبرز نواحى عظمته:

١- علمه:

كان رضى الله عنه من علماء الصحابة، وأشهر فقهائهم، وأدقهم نظرًا، وأشدهم توفيقًا للحكم الصائب، والرأى السديد، وكان الصحابة يرجعون إليه إذا أشكلت عليهم المسائل. ولقد عرف بدقة الفهم، وسداد الرأى منذ عهد النبى ﷺ؛ فقد أرسله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن قاضيًا، وكان مما عرض عليه فى القضاء، أن أربعة وقعوا فى حفرة حفرت ليصطاد فيها الأسد، سقط أولاً رجل، فتعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر حتى تساقط الأربعة، فجرحهم الأسد فماتوا من جراحتهم،. وتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون، فقال على: أنا أقضى بينكم، فإن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجزت بعضهم

عن بعض حتى تأتوا رسول الله ﷺ ليقضى بينكم؛ أجمعوا من القبائل الذين حفروا الحفرة ربع الدية وثلثها ونصفها ودية كاملة، فللأول ربع الدية لأنه كان سببًا فى هلاك الثلاثة الذين هلكوا معه، فسقط من ديته بمقدارهم، وبقى له الربع، وللذى يليله ثلث الدية، لأنه أهلك الاثنين اللذين هلكا بعده، وللثالث نصف الدية، لأنه أهلك من بعده، وللرابع الدية كاملة، لأنه هلك بصنع من قبله، ولم يهلك بصنعه أحد. فأبوا أن يرضوا بهذا القضاء، وأتوا رسول الله ﷺ، فقصوا عليه القصة، فأجاز قضاء علىّ رضى الله عنه (اخرجه الإمام أحمد فى ا لمناقب). وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**أقضى أمتى علىّ**». (أخرجه الإمام أحمد فى المصابيح).

وكثيرًا ما كان الصحابة يحيلون عليه من يتوجه إليهم بسؤال عن مسألة من مسائل العلم.

جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها عليّ بن أبى طالب، فهو أعلم. قال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلى من جواب علىّ. فقال له معاوية: بئس ما قلت: لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغزره بالعلم غزرًا (رواه أحمد).

وسئلت عائشة عن المسح على الخفين فقالت: ائت عليًا فسله (رواه مسلم). وكثيرًا ما رد عمر عن قضائه حين يخطئ. رفعت إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر رجمها، فقال له على: إن الله تعالى يقول: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال تعالي: ﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ [لقمان: ١٤] فالحمل ستة أشهر، والفصال فى عامين. فترك عمر رجمها وقال: لولا على لهلك عمر (أخرجه العقيلى). ورفع إلى عمر أمر امرأة حامل من الزنى، وقد اعترفت به، فأمر برجمها، فتلقاها علىّ وقال: ما بال هذه؟ قالوا: أمر عمر برجمها، فردها علىّ وقال لعمر: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما فى بطنها: (يعنى الحمل) ولعلك انتهرتها أو أخفتها! قال: قد كان ذلك. فقال على: أو ما سمعت رسول الله ﷺ قال: «**لا حد على معترف بعد بلاء؟**» إنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له. فخلى سبيلها (الرياض النضرة ٢ / ١٩٥). وهكذا كان على رضى الله عنه، يحل المشكلات، وينبه إلى الأخطاء، حتى كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها على رضى الله عنه.

٢- شجاعته:

كان رضى الله عنه من الشجاعة بالمحل الأوفى. أبلى يوم بدر بلاء حسنًا، برز من المشركين فى معركة بدر ثلاثة من أبطالهم يطلبون البراز، وهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فأخرج لهم رسول الله ثلاثة من أقرانهم، أخرج عبيدة ابن الحارث لعتبة بن ربيعة، وحمزة لشيبة بن ربيعة، وعليا للوليد بن عتبة. فقتل علىّ صاحبه، وقتل حمزة صاحبه، وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين، كلاهما جرح صاحبه، فحمل حمزة وعلىّ على عتبة فقتلاه. وأبلى رضى الله عنه فى معركة أحد بلاء مشهودًا، وقد قتل فيها حامل لواء المشركين طلحة بن أبى طلحة، وكان فيمن ثبت مع رسول الله حين انهزمَ المسلمون فى أحد (سيرة ابن هشام)، ولما جرح رسول الله كانت فاطمة تغسل عن وجهه الدم، وعلىّ يسكب الماء. ثم كان حامل لواء رسول الله فى غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد. أما فى معركة الخندق (غزوة الأحزاب) فقد كان له البلاء المشكور. خرج من صفوف المشركين عمرو بن ود ونادى المسلمين: من يبارز؟ فبرز له علىّ رضى الله عنه، فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال له أجل! قال له علىّ: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام فقال: لا حاجة لى بذلك. قال: فإنى أدعوك إلى النزال. فقال له عمرو: لم يا بن أخى؟ فو الله ما أحب أن أقتلك! قال علىّ: لكنى والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علىّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله علىّ رضى الله عنه (سيرة ابن هشام). وفى معركة خيبر، تعزر فتح الحصون على المسلمين أولاً، ثم قال عليه الصلاة والسلام: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار. ثم دعا عليًا، وهوأرمد، فتفل فى عينه، فبرئت ثم خرج علىّ، فلما دنا من الحصن، خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول رضى الله عنه بابًا كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل، حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ. قال أبو رافع، وكان مع علىّ فى هذه الموقعة: فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه (سيرة ابن هشام).

٣- ورعه وزهده:

قال أبو سعيد الأزدى: رأيت عليًا فى السوق وهو يقول: من عنده قميص صالح

بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي. فجاء به، فأعجبه. فأعطاه ثم لبسه، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به لقطع ما فضل عن أصابعه.. وقد عوتب فى لباسه الرخيص فقال: ما لك واللبوس؟ أن لبوسى هذا أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدى به المسلم.

ودخل عليه رجل فى أيام البرد، فوجده يرعد من البرد، وهويلبس دثاراً باليًا ، فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال عليّ: ما أرزؤكم من مالكم، وإنها لقطيفتى – دثارى – التى خرجت بها من المدينة (الرياض النضرة ٢ / ٢٣٠– ٢٣٦).

وصف ضرار لعلى:

وخير ما نختتم به هذه الأحاديث عن عليّ، وأخلاقه، ونواحى عظمته، ما أخرجه الدولابى: أن معاوية قال لضرار الصدائي: صف لى عليًا – وكان ذلك بعد استشهاده – فقال: اعفنى يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه. قال ضرار: كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها، وأنس إلى الليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله. وأشهد بالله: لقد رأيته فى بعض مواقفه– وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل فى محرابه – قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّى غيرى، إلىّ تعرضت؟ أم إلىّ تشوفت؟ هيهات! قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك قليل، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق؟...

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها (الرياض النضرة ٢ /٢١٣).

يرحمه الله، ويجزل له المثوبة، ويجعل لنا فى سيرته خير عظة وعبرة.

من كلماته الخالدة:

وصيته للمسلمين:

ولما حضرته الوفاة أوصى فكان من وصيته:

«أوصيكم بتقوى الله ربكم ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: (**إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**) (رواه الطبرانى).

الله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم، والله والله فى ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله فى أصحاب نبيكم، فإن رسول الله أوصى بهم.

لا تخافن فى الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسنًا، كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيولى الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل، والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع أستودعكم الله.

وصيته لأولاده:

دخل جندب بن عبد الله على عليّ، رضى الله عنه، يوم طعن، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك – ولا نفقدك – هل نبايع الحسن؟ فقال رضى الله عنه: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء ذوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما فى الكتاب ، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم.

– اعملوا فى غير رياء ولا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله، يكله الله لمن عمل له.

– لسان الصديق يجعله الله للمرء فى الناس خيراً له من المال يورثه غيره.

– الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء.

احفظوا عنى خمسًا، فلو ركبتم الإبل فى طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا

يستحى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولا إيمان لمن لا صبر له.

الدنيا لأحد رجلين:

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع فى الخيرات، ولا يقل عمل فى تقوى وكيف يقل ما يتقبل؟ (حلية الأولياء).

أقول: وليست المباهاة بالعبادة أن يفاخر بها فذلك مما يحبط الأجر ولكنها هنا هى أن يعتز المؤمن بعبادته، ولا يخجل منها، كما يفعل ضعاف الإيمان حين يكونون مع الملحدين أو الفاسقين.

لا ينفع العمل من غير قبول:

كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، كيف يقل عمل يتقبل؟ (حلية الأولياء).

الهوى وطول الأمل:

إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل (حلية الأولياء).

احذروا الكذب وانصحوا أنفسكم:

.. من خطبة له رضى الله عنه: إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه، والمغبون من غبن نفسه، والمغبوط من سلم له دينه، والسعيد من وعظ بغيره، والشقى من انخدع لهواه وغروره واعلموا أن يسير الرياء شرك، ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان، جانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكذب على شرف مهواة ومهانة، ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب. ولا تباغضوا فإنها الحالقة (أى تحلق دين المتباغضين كما تحلق الموسى الشعر).

دعاء:

اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به مني. فإن عدت فعد على بالمغفرة، اللهم اغفر لى ما وأيت (أو وعدت) من نفسى ولم تجد له وفاء عندى، اللهم اغفر لى ما تقربت إليك بلسانى ثم خالفه قلبى. اللهم اغفر لى رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وسهوات الجنان (أى القلب) وهفوات اللسان.

التقويم

أ – لخص تاريخ سيدنا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى سطور.

ب– اذكر (اسم وكنية ومولد ونشأة ووصف ومتى أسلم) سيدنا علىّ رضى الله عنه.

جـ– وضح خلافة سيدنا علىّ وأحداث الفتنة التى دارت فيها وأسباب استشهاده.

د– اذكر العبر والعظات التى استخلصتها من استشهاد الإمام علىّ رضى الله عنه.

هـ– وضح أبرز نواحى عظمة سيدنا علىّ رضى الله عنه.

و– استخلص الدروس المستفادة من نواحى عظمة الإمام علىّ رضى الله عنه.

ز– وضح إلى أى مدى تطبق هذه الدروس والعبر من نواحى عظمة الإمام علىّ فى حياتك الشخصية.

ح– وضح أبرز مآثر وصفات الإمام علىّ رضى الله عنه التى تأثرت بها شخصيًا.

ط– وضح أى أقوال سيدنا علىّ رضى الله عنه كان لها أعظم الأثر فى حياتك.

ى– هل من الممكن أن يتكرر أمثال هذا الجيل من صحابة رسول الله ﷺ وكيف؟!

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يعرف الدارس من أول من أسال دمًا للأعداء فى الإسلام.

٢- أن يذكر الدارس منزلة ومكانة سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

٣- أن يذكر الدارس موقفه مع أمه وهى تساومه على عقيدته.

٤- أن يوضح الدارس بطولات سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه فى القادسية والمدائن.

٥- أن يستخلص الدارس العبر والعظات من مواقف سعد رضى الله عنه.

تاريخه فى سطور :

هو : سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع مع النبى ﷺ فى كلاب بن مرة، وأهيب بن عبد مناف جد سعد عم آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ.

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ياسعد أنت ناصر الدين حيث كنت»**.

وسعد ابن أبى وقاص له من الفضل والكرامة ما قاله رسول الله ﷺ وهو يداعبه : **(هذا خالى فليرنى امرؤ خاله)** !!!.

وقد أعلن إسلامه مع من أعلنوه بإقناع أبى بكر لهم، وهم : عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله.

ولم يفتد رسول الله ﷺ أحدًا بأبويه إلا سعد بن أبى وقاص فقال له يوم أحد : **(إرم سعد... فداك أبى وأمى)**.

وعن سعد رضى الله عنه أنه قال : ما أسلم أحد إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام، وإنى لثلث الإسلام. رواه البخارى.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : **(اللهم استجب لسعد إذا دعاك)** وفى رواية : **اللهم سدد رميته واستجب دعوته**. وأخرج الفضائلى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال : **(يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع سعد ابن أبى وقاص، حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع سعد)**.

وروى عبد لله ابن عمرو ابن العاص أن النبى ﷺ قال : **(أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل سعد بن أبى وقاص)**.

وكان شديد الفخر بأنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله من العرب، وهذا شرف لا يطاوله شرف، ومجد أثيل لا يدانيه مجد، وعظمة يصغر إزاءها عظماء الناس، وكان دائمًا يلهج بالشكر على نعم الله سبحانه وتعالى فيقول : (والله إنى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله).

وكان سلاح الدعاء عنده حادًا لم تلن له قناة ولم يثلم له حد وما كان سلاحه بالدعاء بأقل من سلاحه البتار على رقاب الأعداء والشانئين.

وقد دعا له رسول الله ﷺ : (اللهم سدد رميته، وأجب دعوته).

- البرُّ بالأم من أجل الفضائل :

ومما يثير كوامن الشجون أن سعد بن أبى وقاص كان معروفًا عنه شدة حبه لأمه، وبره بها، وحدبه عليها، ولكنه عندما أسلم وهى وثنية كافرة وجد نفسه فى مأزق خطير فأمه المشركة الكافرة تصر على عقيدتها الهالكة، وهو رضى الله عنه لا يبغى عن عقيدة التوحيد حولاً، وفى نفس الوقت تهيب عواطف البر بأمه أن يصلها دائمًا بعطفه وولائه. الأم متمسكة بوثنيتها، وابنها مصرٌ على دينه وعقيدته فماذا يفعل؟ أرادت أمه أن تختبر أحاسيسه وعواطفه تجاهها وأن تزلزل عقيدته بوضعه فى مأزق حرج، وفى نقطة خطيرة من الحساسية، فقد أضربت عن الطعام تمامًا حتى يعود إليها كما كان.

ولكن سعد بن أبى وقاص بعد أن ذاق حلاوة الإسلام وعظمة الإيمان فإنه لا يمكن أن يرجع إلى دولة الوثنية مهما كان الأمر ومهما كانت العواطف الجارفة التى يكنها لأمه فى أعماقه.

لقد كانت عصبيته للإسلام أكبر وأعظم من عصبيته لأمه وفيه نزل قرآن يتلى ويتعبد

بتلاوته المسلمون: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨].

ولما لم تجد أمه بدأ من فقدان ابنها لعاطفة الشرك والوثنية أكلت وشربت، وجعلت تدعو على سعد لأنه قال لها فى صراحة وقوة: (تعلمين والله يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت دينى فإن شئت فكلى، وإن شئت فلا تأكلى).

هذا هو اليقين الإيمانى وعظمة المسلم وصلابته وإصراره على نصرة الحق والعدل.

*** وما يوم القادسية بسرٍّ..........!!**

إنه الأسد فى براثنه.. أعطاه أمير المؤمنين اللواء فى يمينه على رأس ثلاثين ألف موحد من أبطال الإسلام وفرسانه، ولكن فى مقابلهم وقف أعداؤهم الفرس فى جيش لجب صاخب مروع من مختلف أنواع العدد والعتاد، جيش صارخ، وخميس يجوب بالكماة والفرسان المشركين والكفار المعاندين يبلغ مداه نحو مائة ألف مقاتل.

ثلاثون ألفًا سلاحهم اليقين والإيمان يتطلعون إلى جزاء غيبى وهو الجنة وهى غاية أربهم فلو قطعت واحداً منهم السيوف لكان ذلك أشهى له وأعظم، لذلك فقد تزاحموا بصدورهم على الحتوف من غير ما هلع أو روع أو تقاعس.

ينتظر سعد بن أبى وقاص أمر أمير المؤمنين عمر.. فيأتيه كتاب أمير المؤمنين يقول: (ياسعد بن وهيب: لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحبه، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته... والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء... الله ربهم وهم عباده.... يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة... فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر... ثم يردف أمير المؤمنين عمر قائلاً:

(أكتب إلىّ بجميع أحوالكم... وكيف تنزلون... وأين يكون عدوكم منكم،،، واجعلنّ بكتبك إلىّ كأنى أنظر إليكم) ويرد سعد ابن أبى وقاص على أمير المؤمنين بأدق التفاصيل عن كل ما أراد منه عمر الإفادة عنه فى بيان شاف جلى واضح فيكتب إليه عمر مرة أخرى: (لايكربنك ما تسمع منهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه (إلى رستم) رجالاً من أهل النظر والجلد والرأى يدعونه إى الله... واكتب إلىّ فى كل يوم...).

ولم تفلح رسالة سعد بن أبى وقاص إلى رستم التى دعاه فيها إلى الإسلام والتوحيد، فيصر القائد الوثنى على زيغه وعلى عقيدته الباطلة، ولا يجد سعد مندوحة عن الحرب فتمتلئ عيناه بالدموع.... وهو ينادى بأعلى صوته: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وبعد أن ألقى خطبته فى رجاله صلى بهم الظهر وصرخ بأعلى صوته: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. وأمر فرسانه بالانقضاض على جموع الفرس المحتشدين لهم والمتربصين بهم فكانت انتفاضة الليث الغضنفر، نفض عن وجهه وانطلق كالقدر المحتوم يحصدهم حصداً ذات اليمين وذات الشمال، وقتل قائد الفرس الذى خرَّ صريعًا تحت سنابك الخيل، وتهاوى جنوده وقد طارت قلوبهم فزعًا وروعًا من قوة الجيش المسلم بل طاروا فرقًا من بطولة المسلمين ومددهم الخفى الذى منحهم الله سبحانه وتعالى إياه وصدق فهم الشاعر:

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ... ومالهم عن حياض الموت تهليل

وبهذا زلزلوا إيوان كسرى ودحروا فلوله حتى نهاوند ثم المدائن.

وفى موقعة (المدائن) أيضا لم يقل سعدها عن سعد القادسية وقد وقعت موقعة المدائن بعد القادسية بنحو عامين، وكانت البقية الباقية التى قدر لها أن تعيش بعد معركة القادسية قد أخذت تقوى نفسها وتزيد من تدريبها فى المدائن المختلفة استعداداً للأخذ بالثأر من الجيش المسلم المدافع عن التوحيد.

وكان الأسد فى براثنه، قد فكر وفكر فى مطاردة هؤلاء النفر الشاردين المارقين فأمر جنده أن يعبروا نهر دجلة إلى مكان آمن يكون خاليًا من الخطر عليه وعلى جنوده الكماة، وسعد البطل وهو يزج برجاله إلى أتون المعركة ضاريةلايعلم أحد مصيرها أو مصيرهم فيها إلا الله.

أمر سعد بن أبى وقاص رجاله أن يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل... ثم اقتحم بفرسه نهر دجلة، واقتحم الناس وراءه لم يتخلف عنه أحد منهم، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأو ما بين الجانبين حتى لم يعد وجه الماء يرى وكأنهم يتحدثون على وجه الأرض وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ونصره ووعده وتأييده.

وكتب الله النصر المؤزر على يد سعد بن أبى وقاص ففتح معقل الكفار المشركين، ودخل هو ورجاله القصر الأبيض وفيه إيوان كسرى ملك الفرس فخرّ لله ساجداً وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] ولم يحدث فتح من الفتوحات فى عهد أمير المؤمنين الفاروق عمر إلا وشارك فيه سعد بن أبى وقاص بسيفه ورأيه ورجاحة عقله وفكره ومشورته.

لقد عاش سعد بن أبى وقاص مجاهداً فى سبيل الله، ومن أجل رفعة دين الله وجعل كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا هى السفلى.

وذات يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة، وقد جاوز سعد سن الثمانين من عمره، وقد أحس بدنو أجله، وإذا بابنه مصعب بن سعد بن أبى وقاص يجلس ويضع رأس أبيه فى حجره وهو يقضى ويعالج خلجات الروح وسكرات الموت فجعل مصعب يبكى بكاء شديداً ويشرع الشيخ الفانى رأسه قليلاً وهو يعالج السكرات فيسأل ابنه ما يبكيك يابنى؟ (إن الله لا يعذبنى أبداً... وإنى من أهل الجنة) ودعا بجبة من صوف بالية وقال: كفنونى بها فإنى لقيت بها المشركين يوم بدر، وإنى أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضاً.

ومات سعد بن أبى وقاص ولقى ربه وهو عنه راض ودفن بالبقيع فى المدينةوسط السلف الصالح الطاهر، فكان آخر المهاجرين وفاة.

فطيَّب الله ثراه وأكرم مثواه، وألحقنا اللهم بزمرتهم فى جنات الخلد.

التقويم

١- من أول من أسال دمًا للأعداء فى الإسلام؟

٢- اذكر منزلة ومكانة سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

٣- اذكر موقفه مع أمه وهى تساومه على عقيدته - وماذا تعلمت من هذا الموقف.

٤- وضح بطولات سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى القادسية والمدائن.

٥- استخلص العبر والعظات من مواقف سعد رضى الله عنه وما أكثر المواقف التى تأثرت بها.

عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ) - (٥٨٠م - ٦٥٢ م)

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يوضح الدارس منزلة ومكانة عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

٢- أن يوضح الدارس أبرز مآثر عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

٣- أن يذكر الدارس الدروس المستفادة من دراسة شخصية عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

تاريخه فى سطور:

هو عبدالرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب يجتمع مع النبى ﷺ فى كلاب بن مرة.

هو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى يوم اختيار الخليفة بعد الفاروق، أسلم - رضى الله عنه - بعد إسلام الصديق بيومين، كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو، فلما أسلم دعاه الرسول ﷺ عبد الرحمن، كان عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - فى طليعة المهاجرين إلى المدينة، وقد آخا رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى - رضى الله عنه - فقال سعد لأخيه عبدالرحمن بن عوف: أى أخى.. أنا أكثر أهل المدينة مالاً، وعندى بستانان ولى امرأتان فانظر أى بستانى أحب إليك حتى أخرج لك عنه وأى امرأتى أرضى عندك حتى أطلقها لك. فقال عبدالرحمن لأخيه الأنصارى: بارك الله لك فى أهلك ومالك.. ولكن دلنى على السوق.. فدله عليه فجعل يتجر وطفق يشترى ويبيع ويربح ويدخر.. وتزوج عبدالرحمن بن عوف وأعطى زوجته من المهر وزن نواة من ذهب.. ويدعو له الرسول ﷺ بالبركة ويقول له: «**أولم، ولو بشاة، بارك الله لك فى مالك**».

فيقول عبدالرحمن بن عوف: فأقبلت الدنيا علىّ حتى رأيتنى لو رفعت حجراً لتوقعت أن أجد تحته ذهباً أو فضة. وقد أوتى حظًا وفيراً من الثراء فقد كان تاجراً صدوقًا أمينًا شريفًا.

وما كثر المال إلا لحقه الشر ونزعات الشيطان عند الكثيرين من الناس ذلك لأن المال فتنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

وفتنة النعيم صعبة المراس قوية على النفس، ولكن فتنة الفقر – فى رأينا – أدنى من هذه منزلة ومرتبة، لأن الفقير يفلح بالصبر، وبما يقيم أوده من الكفاف وما يسد الرمق، بما تستقيم معه الحياة أو تكاد. لكن فتنة الغنى لا ينجو الإنسان منها إلا بالعطاء والبذل والسخاء والجود والكرم.

وعبدالرحمن بن عوف من الناجين من عذاب الله يوم القيامة فهو من المبشرين بالجنة ومن الذين رضى الله عنهم ورضى عنهم رسول الله ﷺ.

وقد قال ﷺ: (**يا ابن عوف إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنة حبواً، فأقرض الله يطلق لك قدميك**).

لقد كان طيلة حياته باراً بدينه وإسلامه، لذلك فقد سماه رسول الله ﷺ: الصادق البار. وقد صلى خلفه رسول الله ﷺ وذلك تشريفاً له.

قال ابن سعد فى طبقاته:

قال محمد بن عمر: كان فى غزوة تبوك، وكان المغيرة يحمل وضوء رسول الله ﷺ وقال النبى ﷺ حين صلى خلف عبدالرحمن بن عوف، ما قبض نبى قط حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته.

وأى صلاح وأى تقوى أفضل وأجل وأعظم من هذا!!

رجل سقاه الله من سلسبيل الجنة:

رجل يتاجر مع ربه فيربح الدنيا والآخرة ويظفر بالجنة، يا له من رجل سقاه الله من سلسبيل الجنة!! فقد ورد أن عبدالرحمن بن عوف باع أرضًا إلى عثمان ابن عفان بأربعين ألف دينار وقسمها على المسلمين وأمهات المؤمنين.

فقالت عائشة رضى الله عنها: من أرسل بهذا؟ فقيل لها: عبدالرحمن ابن عوف، فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: لا يحنو عليكم بعدى إلا الصابرين، ثم دعت فقالت: سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة..!!

وقالت أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ لأزواجه: أن الذى يحافظ عليكن من بعدى لهو الصادق البار، ثم قالت: اللهم اسق عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة.

- مهرجان الخير:

أقبلت ذات يوم قافلة كبيرة رائعة تسد عين الشمس بوفرتها، ينحسر الفضاء دون منتهاها، وبكل الطرق دون بلوغ غايتها، وقد لفتت أنظار الناس وهى تمخر عباب الأثير بما حملته من زاد ومتاع كثيف كثير.

ولما أن سألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عما يحدث في المدينة من صخب واضطراب لقدوم هذه القافلة التى أصبحت حديث الناس هنا وهناك، وأضحت مثار إعجاب وموضع تساؤل واستفسار.

أجابها أحد القوم: إنها قافلة لعبدالرحمن بن عوف تحمل تجارة الله جاء بها من الشام.

قافلة تحدث كل هذه الرجة، وكل هذا الاهتمام من الناس الذين يرنون بأبصارهم إزاءها وصبوها، وهم أناس قد عاشوا حياة التجارة، ولهم قوافلهم وتأتيهم قوافل غيرهم من التجار من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، لكنهم لم يأنسوا قافلة كتلك عدداً ومتاعاً.

وليس هناك أجلّ ولا أعظم ولا أقيم من تجارة يعجب بها تاجر، أو صناعة ينبهر لها صانع، أو زراعة تأخذ بطرف زارع.

وهذه القافلة التجارية الضخمة التى أخذت بأفهام الناس كل قوامها سبعمائة راحلة...!!

وهزت عائشة رضى الله عنها رأسها، وارسلت بصرها بعيداً وقال: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً**».

ولكن قبل أن تفض الراحلة مُغاليق الأحمال من التجارة، حث عبدالرحمن بن عوف خطاه إلى بيت أم المؤمنين عائشة وقال لها: لقد ذكرتنى بحديث لم أنسه ثم قال: (أما إنى أشهدك أن هذه القافلة بأحمالها وما حولها وأقتابها وأحلاسها فى سبيل الله عز وجل).

لقد كان عبدالرحمن بن عوف تاجراً ناجحاً أفلح ونجح فى تجارته مع الله ومع الناس، كلما أعطاه الله سبحانه وتعالى برَّ واتقى وآمن واهتدى بهدى الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ.

ولم يأل بن عوف جهداً من أن ينفق فى شتى وجوه الخير، وكانت صدقاته مهرجانات للخير تقام هنا وهناك فكم فرَّج بها عن معسر، وأنقذ بها الله من معدوم يتضور من الفاقة ومن الإمحال.

نعم المال الصالح للرجل الصالح:

ونحن فى العصر الحاضر نرى التجارات العريضة الواسعة عند الكثيرين من الناس وعندما يغرقون فى فيضانات الثراء والزيادات المروعة المضطردة فى ممتلكاتهم ومقتنياتهم إذا بهم يبعدون عن الله، ويتناسون فضل الله عليهم، وهم فى ذلك يرون أن ثراءهم ومكاسبهم إنما هى من كدحهم أو سعيهم أو علمهم، وهؤلاء الذين هلكوا وكتبت عليهم المهانة والمذلة يوم القيامة، وهذا قارون الذى أوتى مالا كثيراً وثراءاً جما ينكر فضل الله عليه ويكفر بنعمة الله فلما سألوه قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ .

وكانت ثروة قارون طائلة لا تحد، وصفها القرآن الكريم بأبلغ بيان وفى أدق عبارة فى قوله تعالى﴿ **وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة** ﴾ وفى عصرنا الحديث وفى كل عصر أذناب هالكون أمثال قارون ممن فتح الله عليهم فأغلقوا على أنفسهم أبواب رحمته، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا**﴾ [الإسراء: ١٨] ومثل عبدالرحمن بن عوف هو ذلك الذى أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، والسعى هنا فى الدنيا لأن الآخرة لا عمل فيها، وهى دار جزاء وليست دار عمل فالسعى هنا المقصود به السعى والجد فى الحياة الدنيا، والقصد من ذلك الذين يعملون ويجدون فى الدنيا ابتغاء الآخرة بالبذل والجود والعطاء وفعل الخير وعمل البر والمعروف مما يثاب عليه الإنسان فى الآخرة فى دار المقامة ودار الجزاء والثواب.

وكان عبدالرحمن بن عوف يملك ماله، ولم يدع ماله ولم يدع ثراءه يملكه، فنحن نرى الناس فى كل عصر ومصر يملكون الأموال القليلة فإذا ما ربت ونمت وازدادت وكثرت ملكتهم وسيرتهم حتى يدمنوا على حبها والولاء لها والتفانى فى سبيل إنمائها، وهنا متى وصلت النفس البشرية إلى هذه الدرجة فمن العسير، ومن المتعسر الاستبراء من الحرام ودفع الشبهات.

جىء يوماً لعبدالرحمن بن عوف بطعام الإفطار، وكان صائماً فلما وقعت عليه عيناه

فقد شهيته وبكى وقال: «استشهد مصعب ابن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة إن غطت رأسه بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدا رأسه)، (واستشهد حمزة وهو خير منى فلم يجد ما يكفن فيه إلا بردة) ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، وأعطينا منها ما أعطيناه، وإنى لأخشى أن نكون قد عجلت لنا حسناتنا.

هذا الخوف وهذا الرعب والفزع من الآخرة ومن عذاب الله يوم القيامة يملك عبدالرحمن بن عوف وهو مبشر بالجنة ويعلم ويعرف ما رواه رسول الله ﷺ فيه مبشراً إياه بالجنة ولكنه لا يأمن مكراً، ولا يأمن مكر الله إلا الخاسرون.

﴿**وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**﴾ [المعارج: ٢٧-٢٨]

هؤلاء الذين لم يغرهم متاع ونعمة الدنيا لأنها فاتنة، وإنما كلفوا بالآخرة وكانت كل همهم وشغلهم.

ولما أن بلغ عبدالرحمن ابن عوف الخامسة والسبعين من عمره ووافته منيته، بكى بكاءً شديداً لا خوفاً من الموت ولا رهبة ولكن، لأنه تذكر مصعب ابن عمير وكان يراه خيراً من نفسه قد توفى على عهد رسول الله ﷺ فقيراً معدماً، ولم يوجد ثوب يكفن فيه، كما تذكر سيد الشهداء وكان يراه خيراً منه وكان شديد الفاقة أيضاً، وإنه كان يخشى أنه قد عجلت له الطيبات فى الحياة الدنيا، ويخشى أن يحبس يوم القيامة عن أصحابه لكثرة ماله.

رحم الله ابن عوف، وقد صلى عليه عثمان ابن عفان وقال فيه الإمام علىّ كرَّم الله وجهه: (إذهب ابن عوف فقد أدركت صفوها، وسبقت زيفها يرحمك الله).

التقويم

١- وضح منزلة ومكانة عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

٢- وضح أبرز مآثر عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه - وماذا تعلمت منه.

٣- اذكر أهم الدروس التى استفدتها شخصيًا من دراسة شخصية عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

٤- اذكر أبرز المواقف التى تأثرت بها من دراسة شخصية سيدنا عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه وكيف كان ذلك التأثر.

سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(٢٢ق. هـ - ٥١ هـ) - (٦٠٠م - ٦٧١م)

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس نسبه وكنيته رضى الله عنه.

٢- أن يذكر الدارس منزلته ومكانته رضى الله عنه.

٣- أن يستخلص الدرسا ما تعلمه من دراسة شخصية سعيد بن زيد رضى الله عنه.

تاريخه فى سطور:

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبدالله بن قرط بن رازح بن عدى بن كعب بن لؤى وهو ابن عم فاروق الإسلام عمر بن الخطاب، وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب أم جميل وأم سعيد هى: فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعز بن حيان بن خزاعة وكان يكنى أبا الأعور.

وكان سعيد بن زيد رضى الله عنه طويلاً فارع الطول، أسمر الشعر هادىء الطبيعة، نقى السريرة، لين العريكة نقيًا ورعًا زاهدًا في الدنيا، قوى اليقين، عميق الإيمان رحب الصدر.

كان أبوه يدين بدين إبراهيم عليه السلام على المحجة الحنيفية الغراء، فكان ينبذ عبادة الأصنام، وينبذ أوهام وخزعبلات الجاهلية الأولى، ويدعو للوحدانية وعبادة الله سبحانه وتعالى على دين إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، ووالد سعيد ابن زيد هو زيد بن عمرو بن نفيل يقرض شعرًا يبين فيه ما كان عليه قومه من ضلال وغواية ووثنية فيقول:

أربًا واحـــــــدًا أم ألـف ربٍّ ... أدينُ إذا تقـــســمت الأمـــور

عـزلت اللات والعـزى جـمـيـعًا ... كـذلك يـفـعل الجلد الصـبـور

فـلا عـزى أدين ولا ابنتـيـهـا ... ولا صنـمـيّ بنى عـمــرو أزور

ولا غنـمًـا أديـن وكـــان ربًّا ... لنا فى الدهر إذا حلمى يسـيـر

ولكن أعـبـــد الرحـــمن ربى ... ليـغــفــر ذنبى الرب الغـفــور

فـتـقـوى الله ربكم احـفظوها ... مـتى مـا تحـفظوها لا تبـور

تـرى الأبـرار دارهـم جـنـان ... وللكـفـار حـامـيـة سـعـيـر

توحيد خالص لا تشوبه وثنية ولا شبه وثنية، وعزوف عن أوثان الجاهلية البالية التى غرق فى أتونها الجاهليون فعبدوا الأصنام والأحجار من دون الله.

* منزلته ومكانته ومآثره:

ومثل هذه الشخصية الفذة القوية العظيمة خليقة بالتقدير والاحترام، وقد كان سعيد بن زيد وزوجته أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب من السابقين الأولين الذين سارعوا بتلبية دعوة الحق، ونداء الصدق، وبينهما كان إسلام الفاروق عمر الذى أعز الله به الإسلام وقوى شوكته وأعلا كلمته، وذات يوم سأل سعيد رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿**غفر الله لزيد، بن عمرو ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم**﴾.

فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحَّم عليه واستغفر له.

وقد تأثر سعيد بأبيه، فهو قبضة من أبيه، وفلذة منه، نفس الطبيعة ونفس التكوين، ونفس الفطرة النقية الزكية، لم تلوثه أدران الفساد والتحلل التى سادت مناخ الجاهلية القاتل. وقد أجاب الله فيه دعوة أبيه زيداً: (اللهم إن كنت حرمتنى من هذه الخير فلا تحرم منه ابنى سعيداً).

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه أنه قال: أشهد على التسعة أنهم فى الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم، قيل وكيف ذلك؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحراء فقال: أثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد قيل: ومن هم؟ قال: رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف قيل: ومن العاشر؟ قال: أنا) رواه الترمذى أبو داود.

وما كان رسول الله ﷺ وسلم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وما كانت البشرى لهم بالجنة إلا بقدر ما أعطوا وبذلوا فى سبيل الله من البذل بالمال والنفس والنفيس.

وقد شهد سعيد بن زيد الغزوات جميعها مع رسول الله ﷺ، وهاجر معه إلى المدينة،

عدا غزوة بدر، إذ لم يحضر معركة بدر لأن رسول الله ﷺ كان قد بعثه مع طلحة بن عبيد الله ليأتيا بخبر قريش، فلما أن قفلا ألفيا رسول الله ﷺ كان قد انتهى من غزوة بدر الكبرى وسحق جنود البغى والشرك فضرب لهما بسهامهما وأجورهما فكانا كمن شهد المعركة، وأسهم مع المسلمين فى استلال عرش « كسرى » وتقويض ملك « قيصر ».

ولعل أروع بطولاته تلك التى سجلها يوم « اليرموك » وأبلى فيها بلاءً حسنًا. فلنترك له الكلام ليقص علينا طرفًا من خبر ذلك اليوم.

قال سعيد بن زيد: « لما كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنهم الجبال تحركها أيدٍ خفية، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات فيرددها الجيش من ورائهم وله هزيم كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شىء من خوفهم. عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.. عباد الله، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب ومدحضة للعار، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالتروس، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله.

قال سعيد: عند ذلك، خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبى عبيدة: إنى أزمعت على أن أقضى أمرى الساعة! فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟!

فقال أبو عبيدة: نعم، تقرئه منى ومن المسلمين السلام وتقول له: يا رسول الله إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

قال سعيد: فما إن سمعت كلامه، ورأيته يمتشق حسامه، ويمضى إلى لقاء أعداء الله، حتى اقتحمت إلى الأرض، وجثوت على ركبتى، وأشرعت رمحى وطعنت أول فارس أقبل علينا، ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما فى قلبى من الخوف، فثار الناس فى وجوه « الروم » وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر.

شهد سعيد بن زيد فتح « دمشق » فلما دانت للمسلمين بالطاعة، جعله أبو عبيدة بن الجراح واليًا عليها، فكان أول من ولىّ إمرة « دمشق » من المسلمين.

وفى زمن بنى أمية وقعت لسعيد بن زيد حادثة ظل أهل يثرب يتحدثون بها زمنًا طويلا.

ذلك أن « أروى بنت أويس » زعمت أن سعيد بن زيد قد غصب شيئًا من أرضها وضمها إلى أرضه، وجعلت تلوك ذلك بين المسلمين وتتحدث به، ثم رفعت أمرها إلى « مروان بن الحكم » والى المدينة المنورة، فأرسل إليه مروان أناسًا يكلمونه فى ذلك، فصعب الأمر على صاحب رسول الله ﷺ وقال: يروننى أظلمها!! كيف أظلمها؟! وقد سمعت رسول الله ﷺ: « من ظلم شبرًا من الأرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين ».. اللهم إنها قد زعمت أنى ظلمتها، فإن كانت كاذبة، فأعم بصرها، وألقها فى البئر الذى تنازعنى فيه، وأظهر من حقى نورًا يبين للمسلمين أنى لم أظلمها.

لم يمض على ذلك غير قليل حتى سال العقيق بسيل لم يسل مثله قط، فكشف عن الحد الذى كانا يختلفان فيه وظهر للمسلمين أن سعيدًا كان صادقًا، ولم تلبث المرأة شهرًا حتى عميت، وبينا هى تطوف فى أرضها تلك حتى سقطت فى بئرها.. فلا عجب فى ذلك فالرسول ﷺ يقول: « اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » فكيف إذا كان المظلوم سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة؟!

وكان سعيد بن زيد من الطراز الطيب النقى الأصيل إذ كان نقيًا تقيًا ورعًا زاهدًا، أحسن الصحبة مع رسول الله ﷺ، وبعد موت النبى ﷺ لم يتوقف عن النضال مع الخلفاء الراشدين إلى أن توفاه الله وانتقل إلى الرفيق الأعلى فى زمرة الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين.

وفى سنة خمسين هجرية أسلم سعيد بن زيد الروح الكريم الطيب إلى بارئها راضية مرضية، وقد جاهد فى الله حق جهاده وأحسن البلاء مع صحابة رسول الله ﷺ ورضوان الله عليه أجمعين ونسأله جلَّ شأنه أن يلحقنا بعباده الصالحين.

التقويم

١– اذكر نسب وكنية سعيد بن زيد رضى الله عنه.

٢– وضح منزلة ومكانة ومآثر سعيد بن زيد رضى الله عنه.

٣– وضح الدروس المستفادة من مواقف ومآثر سعد بن زيد رضى الله عنه.

٤– وضح كيف تطبق ما تعلمته من دراسة شخصية سعيد بن زيد رضى الله عنه.

٥– وقد أجاب الله دعوة أبيه زيداً: (اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى « سعيدا ») وضح ذلك مبينًا الدروس التى يمكن أن نتعلمها.

أسامة ين زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يذكر الدارس مولد أسامة بن زيد.

٢- أن يوضح الدارس مكانة أسامة بن زيد ومنزلته عند رسول الله ﷺ.

٣- أن يذكر الدارس مواقف تدل على حب رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد.

٤- أن يوضح الدارس شغف أسامة بن زيد رضى الله عنه للجهاد فى سبيل الله.

٥- أن يوضح الدارس بعث أسامة إلى بلاد الشام وما تم فيه.

٦- أن يستخلص الدارس العبر والدروس المستفادة من دراسة مواقف أسامة بن زيد المختلفة.

٧- أن يوضح ما تعلمه شخصيًا من هذه العبر والدروس.

تاريخه فى سطور:

نحن الآن فى السنة السابعة قبل الهجرة فى مكة. ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكابد من أذى قريش له ولأصحابه ما يكابد.. ويحمل من هموم الدعوة وأعبائها ما أحال حياته إلى سلسلة متواصلة من الأحزان والنوائب.

فيما هو كذلك أشرقت فى حياته بارقة سرور. فلقد جاءه البشير يبشره أن «أم أيمن» وضعت غلاما فأضاءت أساريره عليه الصلاة والسلام بالفرحة، وأشرق وجهه الكريم بالبهجة.

فمن يكون هذا الغلام السعيد الذى أدخل على رسول الله ﷺ كل هذا السرور؟! إنه (أسامة بن زيد)، ولم يستغرب أحد من صحابة رسول الله ﷺ بهجته بالمولود الجديد، وذلك لموضع أبويه منه، ومنزلتهما عنده.

فأمه هى (بركة الحبشية) المكناة بأم أيمن. وقد كانت مملوكة لآمنة بنت وهب أم الرسول عليه الصلاة والسلام، ربته فى حياتها، وحضنته بعد وفاتها، ففتح عينيه على الدنيا؛ وهو لا يعرف لنفسه أمًا غيرها..

فأحبها أعمق الحب وأصدقه، وكثيرا ما كان يقول: هى أمى بعد أمى، وبقية أهل بيتى.

الحِبُّ ابن الحِبِّ:

هذه أم الغلام المحظوظ، أما أبوه فهو (حب) رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وابنه بالتبنى قبل الإسلام، وصاحبه وموضع سره، وأحد أهله وأحب الناس إليه بعد الإسلام.

وقد فرح المسلمون بمولد أسامة بن زيد كما لم يفرحوا بمولود سواه، ذلك لأن كل ما يفرح النبى ﷺ يفرحهم، وكل ما يدخل السرور على قلبه يسرهم. فأطلقوا على الغلام المحظوظ لقب (الحِبُّ وابن الحِبّ).

ولم يكن المسلمون مبالغين حين أطلقوا هذا اللقب على الصبى الصغير أسامة، فقد أحبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حبا تغبطه عليه الدنيا كلها، فقد كان أسامة مقاربا فى السن لسبطه الحسن بن فاطمة الزهراء.

وكان الحسن أبيض أزهر رائع الحُسن شديد الشبه بجده رسول الله ﷺ، وكان أسامة أسود البشرة أفطس الأنف شديد الشبه بأمه الحبشية.

لكن الرسول صلوات الله عليه ما كان يفرق بينهما فى الحب، فكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى فخذيه ويأخذ الحسن فيضعه على فخذه الأخرى، ثم يضمهما معا إلى صدره ويقول: (اللهم إنى أحبهما فأحبهما).

وقد بلغ من حب الرسول ﷺ لأسامة أنه عثر ذات مرة بعتبة الباب فشجت جبهته، وسال الدم من جرحه، فأشار النبى ﷺ لعائشة رضوان الله عليها أن تزيل الدم عن جرحه فلم تطب نفسها لذلك. فقام إليه النبى صلوات الله وسلامه عليه وجعل يمص شجته، ويمج الدم وهو يطيب خاطره بكلمات تفيض عذوبة وحنانا. وكما أحب الرسول صلوات الله عليه أسامة فى صغره فقد أحبه في شبابه، فلقد أهدى حكيم بن حزام أحد سراه (أشراف) قريش لرسول الله ﷺ حلة ثمينة شراها من (اليمن) بخمسين دينارا ذهبا كانت لذى يزين أحد ملوكهم فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل هديته لأنه كان يومئذ مشركا، وأخذها منه بالثمن...

وقد لبسها النبى الكريم ﷺ مرة واحدة فى يوم جمعة، ثم خلعها على أسامة بن زيد، فكان يروح بها ويغدو بين أترابه من شبان المهاجرين والأنصار.

ولما بلغ أسامة بن زيد أشده، بدأ عليه من كريم الشمائل وجليل الخصائل ما يجعله جديرًا بحب رسول الله ﷺ فقد كان ذكيا حاد الذكاء، شجاعا خارقا الشجاعة، حكيما يضع الأمور فى مواضيعها، عفيفا يأنف الدنايا، آلفًا مألوفا يحبه الناس، تقيا ورعا يحبه الله.

شغفه للجهاد فى سبيل الله:

ففى يوم (أحد) جاء أسامة بن زيد مع نفر من صبيان الصحابة يريدون الجهاد فى سبيل الله، فأخذ الرسول ﷺ منهم من أخذ، ورد منهم من رد لصغر أعمارهم، فكان فى جملة المردودين أسامة بن زيد، فتولى وعيناه الصغيرتان تفيضان من الدمع حزنا ألا يجاهد تحت راية رسول الله ﷺ.

وفى غزوة (الخندق) جاء أسامة بن زيد أيضا ومعه نفر من فتيان الصحابة، وجعل يشد قامته إلى أعلى ليجيزه رسول الله، فرق له النبى عليه الصلاة والسلام وأجازه، فحمل السيف جهادا فى سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة.

وفى يوم (حنين) حين انهزم المسلمون، ثبت أسامة بن زيد مع عم الرسول ﷺ، وأبى سفيان بن الحارث ابن عمه، وستة نفر آخرين من كرام الصحابة، فاستطاع الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الفئة الصغيرة المؤمنة الباسلة، أن يحول هزيمة أصحابه إلى نصر، وأن يحمى المسلمين الفارين من أن يفتك بهم المشركون.

وفى يوم (مؤتة) جاهد أسامة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة وسنة دون الثامنة عشرة، فرأى بعينيه مصرع أبيه، فلم يهن ولم يتضعضع، وإنما ظل يقاتل تحت لواء جعفر بن أبى طالب حتى صرع على مرأى منه ومشهد، ثم تحت لواء عبدالله بن رواحة حتى لحق بصاحبيه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد حتى استنقذ الجيش الصغير من براثن الروم، ثم عاد أسامة إلى المدينة محتسبا أباه عند الله، تاركا جسده الطاهر على تخوم الشام، وراكبا جواده الذى استشهد عليه.

بعث أسامة إلى تخوم الشام:

وفى السنة الحادية عشرة للهجرة، أمر الرسول الكريم ﷺ بتجهيز جيش لغزو الروم، وجعل فيه أبا بكر، وعمر، وسعد بن أبى وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم من شيوخ الصحابة، وأمّر على الجيش أسامة بن زيد، وهو لم يجاوز العشرين بعد.. وأمره

أن يوطىء الخيل تخوم (البلقاء) و(قلعة الدارو)، القريبة من (غزة) من بلاد الروم. وفيما كان الجيش يتجهز، مرض رسول الله ﷺ، ولما اشتد عليه المرض، توقف الجيش عن المسير انتظاراً لما تسفر عنه حال رسول الله ﷺ.

قال أسامة: (ولما ثقل على نبى الله المرض، أقبلت عليه وأقبل الناس معى، فدخلت عليه فوجدته قد صمت فما يتكلم من وطأة الداء، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على، فعرفت أنه يدعو لى) ثم ما لبث أن فارق الرسول ﷺ الحياة، وتمت البيعة لأبى بكر، فأمر بإنفاذ بعث أسامة. لكن فئة من الأنصار رأت أن يؤخر البعث، وطلبت من عمر بن الخطاب أن يكلم فى ذلك أبا بكر، وقالت له: فإن أبى إلا المضى، فأبلغه عنا أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة. وما إن سمع الصديق من عمر رسالة الأنصار، حتى وثب لها - وكان جالسا - وأخذ بلحية الفاروق وقال لا يكون ذلك. ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب.. استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه؟!

والله لا يكون ذلك. ولما رجع عمر إلى الناس، سألوه عما صنع، فقال: أمضوا ثكلتكم أمهاتكم، فقد لقيت ما لقيت فى سبيلكم من خليفة رسول الله.

ولما انطلق الجيش بقيادة قائده الشاب، شيعه خليفة رسول الله ماشيا وأسامة راكب، فقال أسامة، يا خليفة رسول الله: والله لتركبن أو لأنزلن. فقال أبو بكر: والله لا تنزل، ووالله لا أركب.. وما علىَّ أن أغبر قدمى [فى سبيل الله ساعة؟!...

ثم قال لأسامة: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وأوصيك بإنفاذ ما أمرك به رسول الله ﷺ، ثم مال عليه وقال: إن رأيت أن تعيننى بعمر فائذن له بالبقاء معى، فأذن أسامة لعمر بالبقاء.

مضى أسامة بن زيد بالجيش، وأنفذ كل ما أمره به رسول الله ﷺ، فأوطأ خيل المسلمين تخوم (البلقاء) و(قلعة الداروم) من أرض (فلسطين)، ونزع هيبة الروم من قلوب السملين، ومهد الطريق أمامهم لفتح ديار الشام، ومصر والشمال الأفريقى كله حتى بحر الظلمات.. ثم عاد أسامة ممتطيا صهوة الجواد الذى استشهد عليه أبوه، حاملا من الغنائم ما زاد عن تقدير المتدرين، حتى قيل: (إنه ما رئى جيش أسلم وأغنم من جيش أسامة بن زيد).

ظل أسامة بن زيد - ما امتدت به الحياة - موضع إجلال المسلمين وحبهم، وفاءً لرسول الله ﷺ، وإجلالاً لشخصه فقد فرض له الفاروق عطاءً أكثر مما فرضه لابنه عبدالله

بن عمر، فقال عبدالله لأبيه: (يا أبت، فرضت لأسامة أربعة آلاف وفرضت لى ثلاثة آلاف، وما كان لأبيه من الفضل أكثر مما كان لك، وليس له من الفضل أكثر مما لى) فقال الفاروق: هيهات.. إن أباه كان أحب إلى رسول الله من أبيك، وكان هو أحب إلى رسول الله منك.. فرضى عبدالله بن عمر بما فرض له من عطاء.

وكان عمر بن الخطاب إذا لقى أسامة بن زيد قال: مرحبا بأميرى... فإذا رأى أحدا أحدا يعجب منه قال: لقد أمّره علىّ رسول الله ﷺ.

رحم الله هذه النفوس الكبيرة، فما عرف التاريخ أعظم ولا أكمل ولا أنبل من صحابة رسول الله ﷺ.

التقويم

١- اذكر ما تعرفه عن مولد أسامة بن زيد.

٢- وضح مكانة أسامة بن زيد ومنزلته عند رسول الله ﷺ.

٣- اذكر بعض المواقف التى تدل على حب رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد.

٤- وضح شغف أسامة بن زيد رضى الله عنه للجهاد فى سبيل الله.

٥- وضح بعث أسامة إلى بلاد الشام وما تم فيه.

٦- أستخلص العبر والدروس المستفادة من دراسة مواقف أسامة بن زيد المختلفة.

٧- وضح ما تعلمته شخصياً من هذه العبر والدروس.

٨- ما الدروس التى يجب أن يتعلمها الشباب المسلم من دراسة شخصية سيدنا أسامة بن زيد رضى الله عنه.

الفصل السادس

الهدف العام

أن يعرف قيمة الحياة وسط مجموعة تعينه على طاعة الله

الأهداف المرحلية:

١- أن يوضح أهمية الصحبة الطيبة.

٢- أن يوضح مفهوم الأخوة فى الله وشرعيتها.

٣- أن يوضح فضائل الأخوة فى الله.

٤- أن يوضح شروط الأخوة فى الله.

٥- أن يوضح حقوق الأخوة فى الله.

٦- أن يوضح وسائل تعميق روح الأخوة.

● الهدف المرحلى الأول : أن يوضح أهمية الصحبة الطيبة :

الإنسان اجتماعى بفطرته، لا يعيش إلا فى مجتمع يتعامل ويتعاون معهم على أمور الحياة، فهو بمفرده عاجز على تحقيق الأهداف الاجتماعية والتكاليف الدينية والاحتياجات الاقتصادية، كما أن فطرته التى فطره الله عليها تفتقر إلى غيره، فهو يحتاج إلى الزواج وما أودع إليه فيه من حب النسل، وهو محتاج إلى من يصاحبه ويطمئن إليه ويأنس به حين تعتريه حالة من الضعف والخوف والعزلة والوحدة، وبالإضافة إلى الفطرة التى فطر الناس عليها. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣].

فإذا كان الأصل من الحياة تحقيق التقوى وعبادة الرحمن فى صحبة متعاونة على عبادته سبحانه وتعالى، لذلك بين لنا رسول الله ﷺ خطورة الصحبة حين قال ﷺ : « **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » رواه الترمذى عن أبى هريرة (٢٣٠٠) . فهذا الحديث يكشف لنا أهمية اختيار الصاحب قال عبد الله بن مسعود : أما من شئ أدل على شئ ولا الدخان على النار عن الصاحب على الصاحب، ولذلك قيل: « قل لى من تصاحب أقل لك من أنت » .

وكما قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه　　　فكل قرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم　　　ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

يقول علماء الاجتماع: « الطباع يسرق بعضها من بعض. ومن هنا يتأثر الإنسان بصاحبه دون أن يلحظ أو يتعمد ذلك، فإن دوام العشرة مع المحبة يؤدى إلى التعود على ما يفعله الصاحب، ثم قبوله ثم تقليده ثم فعله عادة » .

ولهذه الأهمية للصحبة فى إقامة الحياة على العبادة وشريعة الإسلام، فقد نبه الله عز وجل فى غير موضع مع القرآن الكريم على الالتزام بالصحبة الطيبة. قال تعالى ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾

[التوبة: ٧١] وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

كما نبه عن البعد عن الصحبة السيئة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وحديث رسول الله ﷺ حول هذا المعنى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك وإما أن تأخذ منه ريحًا منتنًا**» متفق عليه. وقال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**» رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى (٢٣١٨).

وجاء فى الأثر: «**عليكم بإخوان الصدق فإنهم زينة فى الرخاء وعصبة فى البلاء**».

روى الإمام البخارى: أن رجلاً من أهل البادية أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: «**ويلك ما أعددت لها؟** قال: ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله قال ﷺ: **إنك مع من أحببت**»

هكذا الصحبة الصالحة حرص عليها الإسلام وأمر بها أتباعه لما فيها من خير كثير.

ومع الصحبة المؤمنة تبرز الأخوة بين أفراد هذه الصحبة، وهى آصرة تنبت وتنمو بين المؤمنين بعضهم البعض، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وهو أسلوب حصر وقصر بمعنى حصر وجود الأخوة التى نعنيها بين

المؤمنين وقصرها عليهم. ولقد كان من أوائل الاعمال التى عمد إليها رسول الله ﷺ عند إقامته للدولة فى المدينة المنورة بعد هجرته، إقامة المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وصلت إلى الحد الذى يتوارثون فيه فيما بينهم، وظل الأمر كذلك حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] ونفصل فى الأهداف التالية أهم ما يتعلق بالأخوة فى الله.

* * *

الهدف المرحلى الثانى: أن يوضح مفهوم الأخوة فى الله ومشروعيتها(١)

الأخوة منحة قدسية وإشراقة ربانية ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل فى قلوب المخلصين من عباده والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه، قال تعالى فى سورة الأنفال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ وقال فى سورة آل عمران: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» حديث صحيح أخرجه السيوطى.

الأخوة هى روح الإيمان وباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لإخوانه حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من روح واحدة أو روح واحد حل فى أجسام متعددة. والأخوة تجمع على التحابب فى الله والتعاون على تنفيذ أوامر الله تعالى، والدعوة إليه وتحقيق العدل وإسداء المعروف عن رغبة فيه، والتباذل فى ذات الله والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الأنساب والأجناس، وتبادل الاحترام والحب والاستئناس بمشاهدة الأخ ومجاورته وزيارته إلى غير ذلك من فوائد. والإخاء الصحيح إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله لا إخاء المنافع الزائلة أو الغايات الدنيا .. لا يهبها الله عز وجل إلا لمن يأخذها بحقها.

* * *

(١) الأخوة الإسلامية أ/ عبد الله ناصح.

الهدف المرحلى الثالث : أن يوضح فضائل الأخوة فى الله[1]

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ- أن يوضح فضائل الأخوة فى الله فى الدنيا .

ب- أن يوضح الفضائل الأخروية للأخوة فى الله .

إن للأخوة فضائل جمة البعض منها عاجلة والأخرى ينال صاحبها الجزاء فى الآخرة .

أ- فضائل الأخوة فى الدنيا :

- الإحساس بشعور واحد تجاه مآسى المسلمين فى جميع أنحاء العالم .
- التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- التكافل والتناصح والتفاهم فيما بين الإخوان .
- التعاون على إقامة شرع الله فى الأرض .
- الحب والتعارف والإيثار بين الجماعة المتحابين فى الله .
- مجالسهم مرهونة بشرع الله لا خروج فيها مما يحدث فى كثير من المجالس من غيبة ونميمة وغير ذلك .
- التآلف بين القلوب فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
- توحد الرؤية والموازين والتصورات تجاه أحداث الدنيا .
- إن أصحابها هم المتذوقون حلاوة الإيمان لقول رسول الله ﷺ : **«ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف فى النار»** رواه الشيخان .

ب- الفضائل الأخروية :

١- إن وجوههم لنور :

قال رسول الله ﷺ : **«إن من عباد الله لأناسًا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله تعالى .** قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال : **هم قوم

(١) الإخوة الإسلامية أ. عبد الله ناصح .

تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»** رواه أبو داود .

٢- إنهم مغفورو الذنوب :

روى الطبرى عن رسول الله ﷺ : **«إن المسلم إذا لقى أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجر اليابسة فى يوم ريح عاصف»** .

٣- إنهم فى ظل عرش الرحمن :

روى مسلم عنه ﷺ أنه قال : **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»** .

٤- إنهم فى كنف المحبة الإلهية :

روى الإمام مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«قال تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى»** .

٥- إنهم فى جنة الرضوان :

لحديث الرسول ﷺ أنه قال : **«من عاد مريضًا أو زار أخًا فى الله نادى عليه مناد : بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة نزلاً»** [1] .

* * *

الهدف المرحلى الرابع : أن يوضح شروط الأخوة فى الله :

١- أن تكون الأخوة خالصة لله :

حتى يكتب لها الاستمرار والديمومة وقبض الروح عليها ، فهى تجرد المسلم من كل مصلحة ذاتية أو منفعة شخصية ، ويستطيع الإنسان بها أن يتخطى عقبات الحياة وأزمات الدنيا .

٢- أن تكون الأخوة مقرونة بالإيمان والتقوى :

قال تعالى : ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف : ٦٧] . ويقول النبى ﷺ : **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»** رواه أبو داود والترمذى . فإذا كانت الأخوة كذلك كانت أرسخ من الجبال وأقوى من البنيان المتطاول الأشم .

(١) رواه الترمذى .

٣- أن تكون الأخوة ملتزمة بمنهج الإسلام:

ولا يمكن للأخوة أن تكون كذلك حتى يتعاهد المتآخون على تحكيم شرع الله، ولهذا أشار النبى ﷺ فى الحديث: «**رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» أخرجه السيوطى عن أبى هريرة أى تعاهدا فى حال اجتماعهما على التزام شريعة الله، وفى حالة تفرقهما على العمل بشريعة الله. ورحم الله الإمام الشافعى حين قال: «لو لم ينزل من القرآن غير سورة العصر لكفت الناس».

٤- أن تكون الأخوة قائمة على النصح لله:

حتى تؤتى الأخوة ثمارها المرجوة من فضائل الأعمال لابد للمتآخين من النصيحة سواء بالثناء على السلوك الطيب، أو طلب من الأخ أن يتوب فى حالة النقص والخلل، قال النبى الكريم ﷺ: «**الدين النصيحة**. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». رواه مسلم.

٥- أن تكون الأخوة محققة للتعاون على السراء والضراء:

إن مشاركة الآخرين فى فرحهم وحزنهم شعيرة إسلامية نفيسة، فهى بين الأخوة ألزم وأوجب، لأن النبى ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». رواه الشيخان.

وقال ﷺ: «**من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**» أخرجه السيوطى عن أبى سعيد الخدرى وقال: حديث صحيح. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» رواه الشيخان.

***

الهدف المرحلى الخامس: أن يوضح حقوق الأخوة فى الله:

المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه «إن أعباء الدنيا جسام والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هذه الشدائد»، ولهذا وجدت حقوق على الأخ تجاه إخوانه لا بد من السعى لتحقيقها:

(أ) السعى لقضاء حوائج إخوانه:

لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» رواه مسلم.

والنماذج فى ذلك فى سير الصالحين أكثر من أن تحصى نذكر منها على سبيل المثال:

- قضى بن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه، فجاءه بهدية، فقال بن شبرمة: ما هذا؟ قال أخوه: لما أسديته إليّ من معروف. قال ابن شبرمة: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ لصلاة، وكبّر عليه أربع تكبيرات وعدّه في الموتى!!.

- فى عهد عمر رضى الله عنه أصاب الناس قحط وشدة، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلّت لعثمان رضى الله عنه، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة، فقال لهم: كم تعطوننى ربحًا؟ قالوا: خمسة فى المائة. قال: إن وجدت من يعطينى أكثر، فقالوا ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح، فقال عثمان: إنى وجدت من يعطينى على الدرهم سبعمائة فأكثر إني وجدت الله يقول: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة: ٢٦١]. أشهدكم يا معشر التجار أن القافلة وما فيها من بر ودقيق وزيت وسمن وثياب.. قد وهبتها لفقراء المدينة وأنها صدقة على المسلمين!!

(ب) أن تحب لأخيك النفع:

وتفرح لوصوله إليه، فإن ذلك قربة لله بأزكى الطاعات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم**». حديث حسن رواه ابن أبى الدنيا عن ابن عمر.

(ج) التناصر:

لا تناصر العصبيات العمياء ولكن تناصر المؤمنين لإحقاق الحق وإبطال الباطل وردع المعتدى وإجارة المظلوم.

(د) تسهيل الأمور الصعبة :

وهذا واجب عظيم يزداد تأكيداً إذا كنت ذا جاه فى المجتمع، أو صاحب منصب تحفه الرغبة والرهبة، إذ أن للجاه زكاة تؤتى كما تؤتى زكاة المال، فإن أديتها فقد قمت بالحق المفروض وألا فقد أضعت وجحدت النعمة .

(هـ) الوفاء والإخلاص :

والوفاء هو الثبات على الحب فى الله وإدامته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة وكلما انقطع الوفاء بداوم الحب شمت الشيطان .

(و) العفو عن الزلات والهفوات والتغاضى عن الأخطاء وستر العيوب وحفظ الغيبة :

هفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية، أو فى حقك بتقصير فى الأخوة، لذلك يقول أبو الدرداء رضى الله عنه : «إذا تغير أخوك وحاد عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **«لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»** رواه مسلم، وفى رواية **«من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة»** .

ولله در من قال :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب تارة ومجانبه

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

وهذا التغاضى عن زلة الأخ والعفو عن زلاته لا يمنع من نصحه على انفراد مراعياً آداب النصيحة، ولا يسقط واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا وقع فى الإثم، لأنه لا خير فى أخوة المتآخين فى الله إن لم يتواصوا بينهم بالحق، ولا وزن لهم عند الله إن لم يتناصحوا فى الله .

ورحم الله من قال :

تعمدنى بنصحك بانفرادى ... وجنبنى النصيحة فى الجماعه

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

(ز) من الحقوق العامة :

«إفشاء السلام – رد السلام – عيادة المريض – اتباع الجنائز – إجابة الدعوة – تشميت العاطس – إبرار القسم – نصرته ظالمًا أو مظلوماً – النصح له – التنفيس عن المكروب –التيسير على المعسر – الابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم» .

قال رسول الله ﷺ : **«حق المسلم على المسلم ست . قيل : ما هن يا رسول الله؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »** رواه مسلم . وفى حديث آخر يقول رسول الله ﷺ : **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»** رواه الترمذى . وفى حديث ثالث يقول رسول الله ﷺ : **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا»** رواه البخارى .

* * *

الهدف المرحلى السادس : أن يوضح الوسائل العملية لتعميق روح الأخوة بين المؤمنين :

١– أن يخبر الأخ بصدق عاطفته تجاهه إذا أحبه، ويقول له : إنى أحبك فى الله بلسان الحال والمقال . قال ﷺ : **«إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»** رواه أبو داود والترمذى .

٢– أن يطلب الأخ من أخيه الدعاء له إذا فارقه بظهر الغيب (لا تنسنا من دعائك) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فأذن لى وقال : **«لا تنسنا يا أخى من دعائك»** رواه أبو داود والترمذى .

٣– الابتسامة عند اللقاء : **«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»** رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه .

٤– المبادرة بالمصافحة : باليد مع الضغط عليها ضغطًا يشعره بالحب والعاطفة، لقول رسول الله ﷺ : **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»** رواه أبو داود عن البراء رضى الله عنه .

٥– مناداته بأحب الأسماء إليه والكنية (يا أبا فلان) .

٦– الإكثار من زيارته والسؤال عليه، لما روى مالك عن النبى ﷺ قال: «**قال الله تعالى: وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتباذلين فى**».

وأخرج الطبرانى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لأصحابه حين قدموا عليه: هل تجالسون؟ قالوا: لا نترك ذلك. قال: هل تزاورون؟ قالوا: نعم يا أبا عبد الرحمن، إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشى على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه. قال: لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك.

٧– تهنئته فى المناسبات السارة، قال ﷺ: «**من لقى أخاه بما يحب ليسره سره الله عز وجل يوم القيامة**».

٨– مشاركته ومواساته فى الأحزان.

٩– الاهتمام بقضاء حاجاته. قال ﷺ: «**والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه**» رواه الطبرانى.

١٠– تقديم الهدية إذا وجدت المناسبة، وبطريقة تشعره بالحب والتقدير. قال ﷺ: «**تهادوا تحابوا**» رواه الطبرانى.

١١– أن يفسح له فى المجلس.

١٢– الدعاء بظهر الغيب. لما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة. عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**».

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم.

كما أن الدعاء لأخيك فى مماته بمنزلة الهدية له فى حياته، لذلك قال بعض السلف: أين الأخ الصالح.. أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، ويدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

١٣– تنفيذ حقوق الأخوة كاملة (كما وردت فى الهدف المرحلى الخامس).

التقويم

١– وضح أهمية الصحبة الطيبة.

٢– وضح مفهوم الأخوة فى الله وشرعيتها.

٣– وضح فضائل الأخوة فى الله فى الدنيا.

٤– وضح الفضائل الأخروية للأخوة فى الله.

٥– وضح شروط الأخوة فى الله.

٦– وضح حقوق الأخوة فى الله.. مع ذكر أمثلة من حياة الصحابة والصالحين.

٧– وضح إلى أى مدى حققت حقوق الأخوة فى الله مع إخوانك.

٨– وضح الوسائل العملية لتعميق روح الأخوة فى الله بين المؤمنين.

المصادر:

١– الأخوة الإسلامية	أ/ عبد الله ناصح علوان
٢– الأخوة فى الله	أ/ محمد أحمد الراشد
٣– رسالة الأخوة فى الله	من سلسلة نحو جيل مسلم
٤– إحياء علوم الدين	للإمام / أبو حامد الغزالى
٥– كتيب عن الصحبة	الشيخ/ عبد الخالق الشريف.

الفصل السابع

الهدف العام

أن يهتم بأمر المسلمين ويتابع أحوالهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم

الأهداف المرحلية:

١- أن يوضح الدارس شرعية الاهتمام بأمور المسلمين وأهميته.

٢- أن يدرك الدارس ما يحاك من المؤامرات بالمسلمين «جذورها فى الماضى وشواهدها فى الواقع».

٣- أن يوضح الدارس مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين.

• الهدف المرحلى الأول : شرعية الاهتمام بأمور المسلمين وأهميته

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ – أن يوضح شرعية الاهتمام بأمور المسلمين.

٢– أن يوضح أهمية الاهتمام بأمور المسلمين.

١ – شرعية الاهتمام بأمور المسلمين:

إن الاهتمام بشئون المسلمين وأمورهم من أهم الأمور التى يقوم عليها الدين، فالرسول ﷺ يقول: «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» خرجه الطبرانى من حديث حذيفة بن اليمان. وقد قال بعض السلف: إن هذا الحديث هو ربع الدين .

وقال ﷺ : «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ومن لم يصبح ولم يمس ناصحًا لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فليس منهم**» رواه مسلم.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره – التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ﷺ، بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» رواه الشيخان.

وقال رسول الله ﷺ : «**من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» رواه مسلم.

وقوله ﷺ : «**والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه**». رواه الطبرانى.

يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله مؤكداً هذا المعنى:

ليس الإسلام رابطة تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق

التى تقرر العلاقة الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس وبعضهم، ومن ثم فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التى شرح الله بها صدورهم وجمع عليها أمرهم، وأن يولوا التعارف عليها ما هو جدير به من عناية وإعزاز ، وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى تؤلف بين أتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها، وتجعل منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة وحدة راسخة الدعامة، سامقة البناء لا تنال منها العواصف الهوج.

وهذه الأخوة هى روح الإيمان الحى ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لإخوانه، حتى أنه ليحيا بهم ويحيا لهم فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة أو روح واحد حل فى أجساد متعددة.

٢- أهمية الاهتمام بأمور المسلمين:

إن الأثرة الغالبة آفة الإنسان وغول فضائله، إذا سيطرت نزعتها على امرئ محقت خيره ونمت شره، وحصرته فى نطاق ضيق خسيس لا يعرف فيه إلا شخصه، ولا يهتاج بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير أو شر، أما الدنيا العريضة والألوف المؤلفة من البشر فهو لا يعرفهم إلا فى حدود ما يصل إليه عن طريقهم ليحقق آماله أو يثير مخاوفه...!!

من حق أخيك عليك أن تكره مضرته وأن تبادر إلى دفعها، فإن مسه ما يتأذى به شاركته الألم وأحسست معه بالحزن، أما أن تكون ميت العاطفة قليل الاكتراث لأن المصيبة وقعت بعيداً عنك فالأمر لا يعنيك، فهذا تصرف لئيم، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة الغامرة التى تمزج بين نفوس المسلمين فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»** رواه البخارى.

والتألم الحق هو الذى يدفعك دفعًا إلى كشف ضوائق إخوانك فلا تهدأ حتى تزول غمتها وتدبر ظلمتها، فإذا نجحت فى ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك.

إن أعباء الدنيا جسام والمتاعب تنزل بالناس كما يهطل المطر يهمر الخصب والجدب، والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هذه الشدائد، ولئن وقف إنه لباذل من

الجهد ما كان فى غنًى عنه، لو أن إخوانه هرعوا لنجدته وظاهروه فى إنجاح قصده، وقد قيل: «المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه».

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهر له فى السراء والضراء، وأن قوته لا تتحرك فى الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها، قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»** رواه البخارى.

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة المضاعفة لا نعمة التجانس الروحى فحسب بل نعمه التعاون المادى كذلك، وقد كرر الله عز وجل ذكر هذه النعمة مرة ومرة فى آية واحدة: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن القاعدة التى تسوى بها الصفوف تسوية ترد المتقدم إلى مكانه وتقدم المتأخر عن أقرانه هى الأخوة، فإذا نشب نزاع أو حدث هرج ومرج طبقت قوانين الإخاء على الكافة ونفذ حكمها، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠]

والاتحاد ليس فى شئون الناس فقط، إنه قانون من قوانين الكون، فالخيط الواهى إذا انضم إليه مثله أضحى حبلاً متينًا يجر الأثقال، وهذا العالم الكبير ما هو إلا جملة ذرات متحدة!.

وقد شرح حكيم لأولاده هذا المعنى عند وفاته ليلقنهم درسًا فى الاتحاد، قدّم إليهم حزمة من العصى قد اجتمعت عيدانها فعجزوا عن كسرها، فلما انفك الرباط وتفرقت الأعواد كسرت واحداً واحداً.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا — وإذا افترقن تكسرت آحادا

ولو عقل المسلمون أحوالهم فى هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم لأحسوا أن ما لحقهم من عار يعود إلى انحلال عراهم وتفرق هواهم.

إن الهجوم الصليبى المعاصر والهجوم الصهيونى الذى جاء فى أذياله لم ينجحا فى ضعضعة الدولة الإسلامية وانتهاب خيرها إلا عقب ما مهدا لذلك بتقسيم المسلمين

شيعًا منحلة واهية دويلات متدابرة، يثور بينها النزاع وتتسع شقته لغير سبب، وسياسة الغرب فى احتلال الشرق وتسخيره تقوم على قاعدة (فرق تسد).

إن الإسلام حريص على سلامة أمته وحفظ كيانها، وهو لذلك يطفىء بقوة بوادر الخلاف، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من وطرات الشقاق، وأعداء الإسلام يودون أن يضعوا أيديهم على شخص واحد ليكون طرفًا ناتئًا يستمكنون منه ويجذبون الأمة كلها عن طريقه. (خلق المسلم - للشيخ محمد الغزالى).

- كما أن الاهتمام بأمر المسلمين والتراحم فيما بينهم من لوازم الإيمان، فإن من أهم صفات المؤمنين (رحماء بينهم): يقول الحق سبحانه وتعالى واصفًا ذلك الطراز الربانى سيدنا محمد ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم جميعًا: **﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾** [الفتح: ٢٩].

والرحمة بين المؤمنين ليست وليدة أمزجة أو موروثات عصبية أو اجتماعية، ولكنها وليد الإيمان الذى يوجه المشاعر والعواطف، ويعلم الشخص الواحد متى يكون شديدًا ومع من؟ ومتى يكون رحيمًا ومع من؟.

كما تتبوأ الرحمة مكانة عليا فى أخلاق الإسلام، وهى كذلك فى خلق الفرد وحياة الجماعة، فهى صفة لن يتم الإيمان إلا بها فعنه ﷺ قال: **«لن تؤمنوا حتى تراحموا»** رواه الطبرانى، وهى طريق إلى رحمة الله: **«من لا يرحم لا يُرحم»** رواه البخارى، وفى رواية: **«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»** رواه الطبرانى. وفى الحديث المشهور: **«ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»** رواه الترمذى، وغيابها طريق الشقاء **«ما نزعت الرحمة إلا من شقى»** رواه الحاكم والبخارى وأبو داود والترمذى.

التقويم

١- وضح شرعية الاهتمام بأمور المسلمين.

٢- اذكر بعض (الآيات القرآنية والأحاديث النبوية) التى تحث المسلم على الاهتمام بأمر المسلمين.

٣- اسرد بعض المواقف من سيرة وحياة الصالحين على مر العصور التى تظهر اهتمامهم بأمور المسلمين.

٤- اذكر بعض المواقف التى عايشتها والتى رأيت فيها اهتمام أصحابها بأمور المسلمين.

٥- وضح أهمية الاهتمام بأمور المسلمين.

٦- اذكر موقفًا عمليًا يوضح اهتمامك بأمور المسلمين والأثر الذى ترتب على هذا الموقف.

• الهدف المرحلى الثانى : أن يدرك ما يحاك من المؤامرات بالمسلمين «جذورها فى الماضى وشواهدها فى الواقع»

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١- أن يوضح الدارس جذور الصراع (المؤامرة ضد الإسلام) .

٢- أن يوضح الدارس الصراع بين رسل الله والمكذبين من أقوامهم .

٣- أن يوضح الدارس صورة المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام فى حياة النبى ﷺ .

٤- أن يوضح الدارس صورة المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام بعد عهد النبوة إلى العصر الحديث .

٥- أن يوضح الدارس الدور المطلوب منه تجاه هذا الصراع . (حلقة نقاشية وورشة عمل) .

يدمى قلب كل من يتابع أخبار المسلمين فى هذا العصر فما من بقعة فى الأرض إلا وتتفجر بدمائهم وتزهق فيها أرواحهم، وتنتهك حرماتهم بلا هوادة، وما أصدق الشاعر وهو يصف هذه الحال باكيا :

فأنى التفت فحق سليب ... وأنى أصخت فرجع نحيب
وأنى سريت فدرب مريب ... وصد عجيب ولؤم رهيب
أسير رهين صروف الزمان ... وأشعر أنى وحيد غريب

وما أبلغ الشاعر الآخر وهو يؤكد أن هذا الحال أمسى وقفًا على المسلمين وحدهم دون سواهم فيقول :

قد استرد السبايا كل منهزم ... ولم تبقَ فى أسرها إلا سبايانا
وما رأيت سياط الذل دامية ... إلا رأيت عليها لحم أسرانا

ورغم كل هذا فإن المسلمين يوصفون فى عالم اليوم بأنهم (محور الشر) ، و(مصدر الإرهاب) ، وأس البلاء، ومظنة كل ريبة على أحسن تقدير!! مفارقة عجيبة لا تخطئها

عين تشير إلى صراع مرير بعضه ظاهر وأكثره خفى - مثل جبال الثلج العائمة - ولا عجب فى ذلك فهو الصراع الأزلى الأبدى بين الحق والباطل . . طرفاه هما :

حزب الله : وهم عباد الرحمن وأولياؤه بقيادة الرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام .

قال الله عز وجل عنهم : ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وحزب الشيطان : وهم عباد الشياطين وأولياؤهم بقيادة إبليس عليه لعنة الله .

قال الله عز وجل عنهم : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] .

١- بداية الصراع (جذور المؤامرة) :

ففى الملأ الأعلى بدأ الصراع مبكرًا حين استكبر إبليس لعنه الله عن السجود لأبينا آدم فطرده الله من رحمته، فأقسم بعزة الله ليغوينه وذريته قال تعالى على لسان إبليس لعنه الله : ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٤- ١٧] . فالصراع بين الكفر والإيمان صراع قديم قدم البشرية، وطويل طوال الحياة وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وصراع مرير لأنه صراع الأضداد ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد : ١٦] .

وعلى مر العصور وفى كل قوم يتخذ الشيطان لنفسه أولياء من بعض الإنس والجن، يجندهم ويشكل منهم جيشه الذى يهاجم بهم المؤمنين ويجهزهم بأساليبه وحيله، قال

سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

٢- صراع الرسل وأتباعهم مع المكذبين من قومهم:

وقد تحدث عنه القرآن الكريم فى حوالى ثلث آيات القصص مما يشير بقوة إلى أهمية الوعى بتاريخ ذلك الصراع وخطورته وسننه قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو قومه إلى الهدى وإلى نبذ عبادة الأوثان ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وهذا موسى عليه السلام يتحدى فرعون بالحق، لا يبالى بالموت ما دام فى سبيل الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر: ٢٣- ٢٥].

وهكذا كان شأن الكافرين من أنبياء الله ورسله أجمعين، جاء وصفهم فى القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. [قوارب النجاة، أ. فتحى يكن].

٣- الصراع ضد الإسلام فى حياة النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم:

ظهرت دعوة الإسلام فى عالم يتنازعه قوى عظمى: الفرس فى الشرق والروم فى الغرب، كما ظهرت فى مجتمع كانت الولاية فيه لغير الله، إنما يدين بالولاء للأصنام والكهان والقوة. وجاء الإسلام ليعلن الولاية لله الحق فوقفت (قريش) حجر عثرة فى الطريق وحاولت حصار الدعوة فى مهدها وأنزلوا بالمؤمنين أشد ألوان الابتلاء.

أ- قبل الهجرة:

كانت المؤامرة على الإسلام مقتصرة أو محصورة فى مشركى قريش، واستمر على مدى ثلاثة عشر عاماً. ومن صور هذا الصراع:

١- **السخرية والاستهزاء:** قصدوا به تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية فرموا النبى ﷺ بتهم هازلة وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. ويصمونه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]. وقال تعالى أيضًا: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]. كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

٢- **المساومات والمفاوضات:** التى حاولوا بها أن يلتقى الإسلام والجاهلية فى منتصف الطريق فكان الرد عليهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون]. وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

٣- **التشويه وإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة:** فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

وقالوا عن الرسول ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨].

٤- **المقاطعة والحصار الاقتصادى:** حيث اجتمعت قريش فى خيف بنى كنانة من وادى المحصب فتحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم

رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق [ألا يقبلوا من بنى هاشم صلحًا أبدًا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل]. واستمر حصار المسلمين فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع. [الرحيق المختوم].

٥- الإيذاء والإخراج من الأرض: قال سبحانه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٦].

٦- التربص بالمسلمين ومحاولة الوقيعة بينهم وبين من يؤونهم خارج مكة: كما حدث فى هجرة الحبشة الأولى والثانية عندما أرسل مشركو مكة عمرو بن العاص - رضى الله عنه- لتأليب النجاشى على المسلمين وتسليمهم لقريش.

٧- التنكيل ومحاولات القتل: قال عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ويكفى هنا ما رواه البخارى عن الخباب بن الأرت رضى الله عنه أنه يقول: أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

ب- وبعد الهجرة:

أما بعد الهجرة فقد اتسعت دائرة الصراع، وتنوعت صوره ودخلت فيه قوى متعددة كلها كارهة للإسلام وهى:

- **اليهود:**

وعداوتهم السافرة للإسلام والمسلمين وللرسول ﷺ خاصة لا مثيل لها، نكشف عنها فى الحديث الذى دار بين حيى بن أخطب زعيم يهود بنى النضير وأخيه أبى ياسر عندما شاهدا الرسول ﷺ أول وصوله إلى المدينة:

قال أبو ياسر لحيى بن أخطب: أهو هو؟ (يقصد هل تأكدت من صفاته كما وردت فى التوراة).

قال حيى: نعم. قال أبو ياسر: فما نويت فيه؟ قال حيى: عداوته ما بقيت !!!!

بالإضافة لدورهم المحورى فى تأليب المشركين والأعراب على المسلمين فى غزوة الأحزاب، فقد خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بنى النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا، فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد على قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب وكانت غزوة الأحزاب. وقد تواصلت مؤامراتهم فى بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر [يشار إلى مزيد من المواقف عند دراسة السيرة المطهرة بالتفصيل].

بالإضافة إلى الفتن التى أشعلوها بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودى، الذى تظاهر بالإسلام وقاد الصراع الماكر ضد الإسلام فى عهد سيدنا عثمان وسيدنا على بن أبى طالب، مما أدى إلى قتلهما غدرًا، وتقاتل المسلمون وانفتحت أبواب الفتن والفرقة والخلافات على مصارعها على المسلمين والتى لا زالت تعصف بالمسلمين حتى اليوم.

- **المنافقون:**

ففى حياة الرسول ﷺ كان المنافقون لا يألون جهداً ولا يتركون فرصة للإيقاع بالمسلمين إلا اهتبلوها واستغلوها، حتى أن القرآن الكريم اختصهم بسورة من سوره (سورة المنافقون) ليلفت المؤمنين إلى شدة خطرهم على الجماعة المسلمة، وبرز دورهم المثبط المتآمر بعد غزوة بدر فى مواطن كثيرة من أخطرها: غزوة أحد - بنو النضير - غزوة الأحزاب - بنو المصطلق - (حادث الإفك) - غزوة تبوك - مسجد الضرار.

- **الأعراب:**

الذين أحسوا بخطورة وجود دولة الإسلام القائمة على الحق والعدل مما يشكل تهديداً لسلطانهم القائم على السلب والنهب، فقادوا الصراع ضد الإسلام فى مواطن كثيرة منها: بعث الرجيع - بئر معونة - غزوة الأحزاب - غزوة حنين.

- **القوى الخارجية :**

متمثلة فى الفرس والروم، وقد أحسوا بخطورة الإسلام على سلطانهم القائم على العبودية لغير الله، فقادوا المؤامرة ضد الإسلام فى : غزوة مؤتة – غزوة تبوك .

- **خطر مشركى مكة :**

الذى ظل قائمًا حتى تم فتح مكة بعد أن قادوا المؤامرة ضد الإسلام فى : غزوة بدر – أحد – الأحزاب – الحديبية .

٤- الصراع ضد الإسلام بعد عصر النبوة إلى العصر الحديث :

بعد انتصارات باهرة للإسلام فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين وصدر الدولة الأموية، وانطلاق المسلمين فى شرق العالم وغربه، وتحرير شعوبه من العبودية لغير الله ودخول أهل هذه البلاد فى الإسلام طواعية – ومعظمها مستعمرات رومانية سابقة – لما وجدوا فى الإسلام من مساواة وحرية وعدل وتوازن وتوافق مع الفطرة وقيم إنسانية رفيعة بالإضافة لحسن معاملة الفاتحين لهم حتى عن لغاتهم وثقافتهم وذابت جميعها فى حضارة الإسلام . . لما حدث ذلك اعتبرت الجاهلية الشرقية والغربية هذا خسارة كبيرة يستحق عليها الإسلام كل حقد وكراهية، فجابهت الإسلام فى أحداث كبرى عظيمة الدلالة عميقة الأثر على طريق الصراع بين الحق والباطل هى :

- **الحروب الصليبية :**

لم تكن الحروب الصليبية كما يحب أن يصورها مزورو التاريخ ناشئة عن مجرد أطماع اقتصادية فى الشرق العربى (الأرض التى تفيض بالعسل واللبن) كما يحلو لهم أن يسموها . .

ولكن كانت حربًا دينية فى المقام الأول تهدف لضرب الإسلام ووقف انتشاره تحت راية الدين المسيحى وتحت شعار الصليب، متخذة من دعوى اضطهاد الحجاج المسيحيين فى أرض الإسلام وإنقاذ المدينة المقدسة حجة زائفة أو (حربًا عادلة) كما يحبون أن يسموها، فقد كان السيف الذى يحمله الصليبى مباركًا من الكنيسة باعتباره جنديًا فى جيش المسيح .

لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية فى السابع والعشرين فى شهر نوفمبر سنة

١٠٩٥م بالخطبة التى ألقاها البابا (إربان الثانى) ١٠٨٨ – ١٠٩٩م . وكانت الدعوة التى وجهها بشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين فى فلسطين بزعم حماية الحجاج المسيحيين للقدس من بطش المسلمين الذين صورتهم الدعاية الكنسية فى صورة الكفار المتوحشين فيقول : «لست أنا ولكن الرب هو الذى يحثكم باعتباركم قساوسة المسيح، أن تسارعوا لاستئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا» ويقول أيضًا : «إنه سوف يتم غفران ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك سواء فى مسيرتهم على الأرض أو فى خضم قتالهم ضد الوثنيين «المسلمين» . .» .

وعلى الرغم من الفشل النهائى الذى منيت به الحركة الصليبية إلا أنها تحولت بمرور الوقت تحت تأثير وسائل الإعلام الاستعمارية إلى مثال براق يوحى بالشجاعة والتضحية بالنفس فى سبيل المثل الأعلى .

لقد كانت الحروب الصليبية سببًا رئيسيًا من أسباب تعطل قوى الإبداع والنمو فى الحضارة العربية والإسلامية، فبعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية فى منحنى التدهور والأفول الذى ابتدأ بتوقف النمو العلمى والحضارى فى نهايات العهد العثمانى، ثم انتهى هذا التوقف الحضارى إلى نهايته المحتومة التى أدت إلى حالة الاستعمار والتبعية التى لا نزال نعانيها حتى اليوم، إذ أن أحدًا لا يمكن أن يتجاهل أن الحملات الصليبية ضد الشرق العربى الإسلامى كانت أول المشروعات الاستعمارية الأوروبية التى سبقت مرحلة الاستعمار الحديث، فضلاً عن أنها كانت إلهامًا للتجربة الصهيونية ذات الأهداف الاستيطانية العنصرية المتمثلة فى إقامة دولة إسرائيل .

- **غزو التتار :**

فى أواخر القرن الثانى عشر انطلقت قبائل المغول البربرية بقيادة أحد زعماء قبائلها الذى أسمى نفسه باسم جنكيز خان لتعيث فى الأرض فساداً .

يقول الشهيد سيد قطب : «عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين فى بغداد وقعت المأساة الدامية التى سجلتها الروايات التاريخية والتى نكتفى فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير فيما رواه من أحداث عام ٦٥٦هـ : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس فى الآبار، وأماكن الحشوش ، وقنى الوسخ،

وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعلى الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجرى الميازيب من الدماء فى الأزقة – فإنا لله وإنا إليه راجعون – كذلك فى المساجد والجوامع والربط. ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم [ذلك أن اليهود والنصارى من أهل الذمة ! كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الخلافة والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها، وممن دلوا على عورات المدينة، وشاركوا مشاركة فعلية فى هذه الكارثة، واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب، ليقضوا لهم على المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية].

« وقد اختلف الناس فى كمية من قتل ببغداد من المسلمين فى هذه الواقعة، فقيل ثمانمائة ألف. وقيل: ألف ألف. وقيل: بلغت ألفى ألفى نفس – فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. »

« ولما انقضى الأمر المقدر، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد من الناس، والقتلى فى الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وانتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء على بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ».

هذه صورة من الواقع التاريخى، حينما ظهر المشركون على المسلمين فلم يرقبوا فيهم إلاً ولا ذمة. فهل كانت صورة تاريخية من الماضى البعيد الموغل فى الظلمات، اختص بها التتار من ذلك الزمان؟ (كما يزعم أبواق الأعداء من بنى جلدتنا).

كلا ! إن الواقع التاريخى الحديث لا تختلف صوره عن هذه الصورة!

– **سقوط الأندلس:**

يقول الأستاذ الدكتور / عبد الحليم عويس فى كتابه « أربعون سببًا فى سقوط الأندلس »: « مضت خمسمائة سنة ميلادية الآن (١٤٩٢ – ١٩٩٢) على سقوط غرناطة، وعلى طرد المسلمين من سائر شبه جزيرة أسبانيا (الأندلس الإسلامية) ولم يلتفت المسلمون إلى معطيات هذا الدرس.. بل لم يقفوا عنده!!.

– والدرس كله منذ فتح أسبانيا على يد المسلمين بربرًا وعربًا سنة ٩٣هـ (٧١٠م) وحتى سقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) لم يدرس وفق سنن الله الكونية والاجتماعية فى قيام الأمم وسقوطها، بل حوله العرب – بخاصة – والمسلمون – بعامة – إلى صفحة من المجد والازدهار يتغنون بأمجادها فى كتب التاريخ المدرسى التى يغلب عليها الابتسار والتلفيق!!...

– وكان من نتيجة هذا الضعف ظهور تلك العوامل العامة التى رصدها العلامة المؤرخ أبو عبد الله محمد جعفر الكتانى فى كتابه (نصيحة أهل الإسلام) فوقع اختلاف كلمة المسلمين فيما بينهم، وتشيعوا أحزابًا فى داخل الأندلس المسلمة المحاطة بالأعداء، وأهملوا الاستعداد الحربى بل تركوا الجهاد كله، وأصبحت المعارك بعيدة عن معانى الجهاد، فهى فى الخارج معارك دولة لا دعوة، وهى فى الداخل صراع على السلطة، أو معارك للاستعلاء العنصرى. وقد أسندت الأمور إلى غير أهلها فى شئون الدين والدنيا، ووضع أهل الولاء والثقة فى المناصب بدلاً من أهل الكفاية والأمانة، وقد وقعت الموالاة للكفار والمعاداة للمسلمين خضوعًا للمصالح والأهواء، واتبعت عوائد الكفار وتقاليدهم وقوانينهم حذو النعل بالنعل، وأصبح الحكام وبطانتهم وعمالهم جبابرة ظالمين فانهارت الشورى وانهارت العدالة، وكثر الاشتغال باللهو والطرب وتبديد الأموال وبناء القصور، وأصبح التجاهر بالمنكرات شائعًا، كما خفت صوت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأصبح القرآن والسنة الشريفة غريبين عن أهل الأندلس، فابن عذارى المراكشى يحكى لنا صورة من صور عصر الطوائف – أى على مشارف القرن الخامس الهجرى وقبل أن تسقط الخلافة الأموية سقوطًا رسميًا – يذكر فيها أن أهل قرطبة بلغ من استخفاف بعضهم بالإسلام فى الفتنة التى وقعت أيام ابن عبد الجبار – أن رجلاً نصرانيًا وقف فى أعظم شوارع قرطبة فنال من النبى ﷺ بألفاظ نابية، فلم يكلمه أحد من المسلمين بكلمة، فقال رجل من المسلمين غيرة للنبى: ألا تنكرون ما تسمعون؟ أما أنتم مسلمون؟!! فقال له جماعة من أهل قرطبة: امش لشغلك ».

– وهكذا أثمرت الشجرة الخبيثة ثمارها المرة.. شجرة الانفلات من الإسلام، والذهول عن سنن الله فى بقاء الأمم.. وانتهت الأمور على غايتها، فتداعت الأندلس منذ عصر الطوائف وسقوط طليطلة، وحتى سقوط غرناطة التى بقيت هذه الفرق تقاوم السقوط بعظمة الإسلام وجهاد بقية من الصالحين حتى حقت كلمة ربك على الأندلس حقًا وعدلاً.. وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم.. ولله عاقبة الأمور ».

– الصراع ضد الإسلام فى العصر الحديث :

واستمراراً لمسلسل هذا الصراع ومع وجود الأعداء أنفسهم (الشيطان واليهود والمنافقون ...). ومن رحم اليهودية الحاقدة خرجت مبادئ وأفكار معادية للإسلام (كالصهيونية والماسونية والروتارى والليونز....) ، وولدت فرق هدامة للإسلام (كالبابية والبهائية والقاديانية ...)، وفى كنف النصرانية المشوهة ترعرعت (العلمانية والاستشراق والتغريب...) . وإن تنوعت أساليب المؤامرة وصورها، وازدادت شراسة المؤامرة واتسعت مجالاتها وتطورت أساليبها، وفاقت كل أساليب الصراع ضد الإسلام فى جميع العصور السابقة خبثًا وتعقيداً وخفاءً وتطوراً، كشأن كل شيء فى هذا العصر. وإن اختلفت تلك المسميات ، وتعددت تلك الفرق إلا أنها يجمعها شأن واحد، هو المعاداة للإسلام والسعي للقضاء عليه وتشويه صورته بشتى الأساليب والهيمنة على مقدرات المسلمين وإذلالهم ، قال تعالى : ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة : ٢١٧] . وقال سبحانه وتعالي : ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران : ١١٨] . وقال سبحانه وتعالى أيضًا : ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة : ١١٢] .

ودار الصراع فى خمسة مجالات رئيسية وهى :

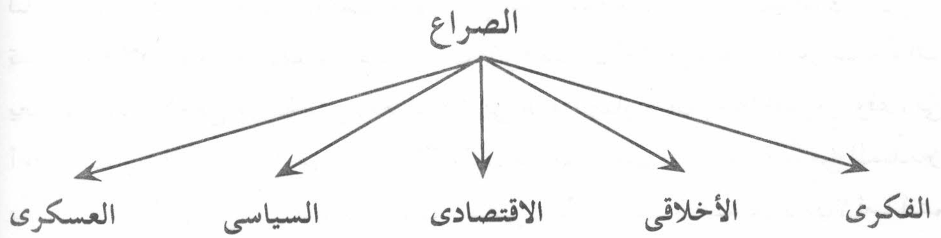

أخبثها وأعمقها أثراً (الصراع الفكرى) .

وأظهرها وأعلاها صوتاً (الصراع العسكرى) .

وبينهما تدور رحا حرب ضروس (أخلاقيًا واقتصاديًا وسياسيًا) .

﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف : ٢١] .

أولاً : الصراع الفكرى :

نقطة تحول كبرى فى تاريخ الصراع :

فبعد أن قهر المسلمون أشرس الغزاة وأخطر التحديات العسكرية من :

الصليبيين الحاقدين بعد صراع استمر قرابة مائتى عام (٤٨٩ حتى ٦٩٠هـ) أو (١٠٩٦ حتى ١٢٩١م) .

والتتار الذين كسر المسلمون شوكتهم فى (عين جالوت) ثم هداهم الله للإسلام فأصبحوا قوة ضاربة مدافعة عن الإسلام والمسلمين فى وسط آسيا وشرقها [ووجود الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثًا عن روسيا وتركستان الشرقية المسلمة فى الصين دليل على جهودهم] وحيث إن المواجهة السافرة مع المسلمين فى الميدان العسكرى لم تفت فى عضد الإسلام والمسلمين حيث كانت صيحة (وا إسلاماه) تجد الاستجابة فى كل الديار فى العالم الإسلامى، فكر قادة الغرب الصليبى فى نقل الصراع مع المسلمين من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر [نسب هذا القول إلى لويس التاسع ملك فرنسا قائد الحملة الصليبية السابعة والأخيرة بعد أسره فى دار ابن لقمان بالمنصورة] فبدأت الدوامة الخبيثة : (الاستشراق – التبشير (التنصير) – الاستعمار – التغريب – التبعية – العولمة .....) بهدف إبعاد المسلم عن دينه نهائياً، وزعزعة العقيدة فى نفسه وتنحية سلطان الدين عن المجتمع، وتشرذم الأمة كلها ليمكن التغلب عليها بتجزئتها وأكلها قطعة قطعة بسهولة وهذا ما نجنى ثماره المرة الآن!!

وكان لهذا الصراع أهداف واتخذ فى سبيل تحقيقها وسائل متنوعة نكتفى هنا بالإشارة إليها إجمالاً :

أهداف الصراع الفكرى	أخطر وسائله
تشويه الإسلام	١– التعليم .
تزوير التاريخ	٢– الإعلام (الصحافة والمجلات والإذاعة والتليفزيون ..)
تزوير الواقع	٣– الفنون والثقافة (الكتاب – السينما)
القضاء على وحدة الأمة الفكرية والثقافية	٤– الاستشراق والتبشير .

ثانياً : الصراع الأخلاقى :

قام الصراع الأخلاقى بين الإسلام والغرب على أساس من تشويه الإسلام وحضارته – التى سعدت بها الدنيا قرابة ألف عام، وإلصاق كل نقيصة بها وسلب كل ميزة فيها، وفى المقابل تعظيم حضارة الغرب المادية ومحاولة فرض عاداته وتعاليمه على عالمنا الإسلامى، تلك الحضارة التى سخرت كل شىء فى كل سبيل المتع والشهوات على حساب القيم الروحية والأخلاقية. وأسوأ ما فى هذه الحضارة اللاأخلاقية هو ازدواج المعايير والكيل بمكيالين، يبدو هذا بوضوح عند مقارنة تعامل الغرب مع قضاياه وقضايا العالم الإسلامى أو العالم الثالث.

● فمثلاً نجد الغرب يقيم الدنيا ولا يقعدها على هدم أصنام أفغانستان ولا يعبأ بقصف ٨٠٠ أثر إسلامى فى البوسنة، وما يفعله (حراس الهيكل) من جمع تبرعات (بابرى) ولا يعبأ بموت ٤٠٠ طفل يوميًا من البرد فى أفغانستان ولا تبديدها طوال عشرين عامًا من الحروب وزرعها بالمخدرات ثم يولول على أصنام أفغانستان!! ثم لا يعبأ بضرب الآلاف من المدنيين العراقيين وقتل الأطفال والنساء بالقنابل العنقودية فى حرب الأمريكيين على العراق (فى حين نجد العالم الفارغ أصبح مهمومًا بكل مشاكل انقراض وحيد القرن وحيوان (اللاما) والفيل الأبيض ودب (الباندا) وتجمد المياه حول الحيتان ...).

● هذه الحضارة الطامعة التى أخمدت فى الشعوب نيران حربين عالميتين حركتهما الأطماع غير المشروعة فى بلدان الآخرين، وهى حضارة لها معطيات تتناقض مع القيم الخلقية فى كل دين، كالربا وإباحة شرب الخمر وإباحة الزنا والشذوذ بنصوص القوانين أو بالأعراف. هذه الحضارة المريضة تريد أن تهيمن بقيمها (وأخلاقها) على العالم خصوصًا الإسلامى.

*** من صور الصراع الأخلاقى :**

– **إشاعة مناخ من الإثارة الغريزية** : لشغل الشباب واستنفاد طاقته وتصريف انفعالاته وهمته بعيداً عن أى قضايا جادة، ليبقى خارج الصراع على أقل تقدير من خلال [التليفزيون والمسرح والصحافة والمجلات ....].

– **تشجيع الاختلاط غير المنضبط** : وترسيخه فى عقول ووجدان الشباب والبنات

وكأنه حق مكتسب لابد أن يغتنموا نصيبهم فيه.

– **هدم مقومات الشخصية القوية فى الشباب** : بإشاعة قيم انعدام الطموحات – السلبية – الخوف – الأنانية – السطحية – الهزلية – عدم الانتماء.

– **إشاعة روح اليأس والإحباط** .. من خلال :

● إبراز رموز فنية ورياضية تافهة – على أقل تقدير – لتكون قدوات للشباب.

● حرمان الشباب من الممارسة السياسية الجادة لأى دور حقيقى إلا إذا كان مؤيدًا مرضيًا عنه فى رسالة مؤداها (قولوا ما تشاءون وسنفعل نحن ما نشاء).

ثالثًا : الصراع الاقتصادى :

هدفه : السيطرة على المقدرات الاقتصادية للعالم الإسلامى بكل صورها الأولية والصناعية والحيوانية والزراعية و... حتى المياه العذبة، بحيث يظل العالم الإسلامى فى حاجة إلى الغرب لتوفير حاجاته المادية ليعيش بالتالى فى ذلة وعجز من أن يقوم بأمر نفسه فى هذه الضروريات الحياتية، فضلاً عن السلاح الذى يقاوم به عدواً معتدياً. بحيث يسهل فرض القرار السياسى عليه والتحكم فى إرادة الأمة بأسرها بعد ذلك.

إن سياسة الغرب هى أن تمنع العالم الإسلامى بكل الوسائل – الظاهر منها والخفى – من أن ينتج ما يكفيه أو يجعله غير محتاج للغرب ويبقى فقط سوقًا كبيراً للإنتاج الغربى.

رابعًا : الصراع السياسى :

ويهدف إلى منع قيام أى نظام حكم يتخذ من الإسلام منهجًا، ومن شريعته قانونًا ويحاربونه – لو قام – بكل ما أوتوا من قوة من ممارسة الحكم بالإسلام فى ظل ظروف عادية، حتى لا تتاح للنظام الإسلامى فرصة النجاح فى أى مكان.

ومن وسائلهم فى ذلك :

أ – إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين :

وتصوير الإسلام على أنه الخطر الأكبر الداهم الذى يهدد الغرب وحضارته، ويوشك أن يقتلع الاستقرار والأمن من العالم كله، والملحظ الهام الجدير بالتأمل أن هذه التهمة للإسلام توظف حيث يريد الغرب أن يحقق مصالحه ومصالح إسرائيل.

ب - التعاون الوثيق بين الصليبيين الجدد والصهيونية لضرب الإسلام والمسلمين:

إذ المعروف بين الناس أن الصليبيين واليهود بينهم عداوات تقليدية قديمة، وكثيراً ما اصطدموا، غير أنهم دائمًا يتحالفون ويتعاونون ويتقاربون كلما كان العدو المشترك بينهم هو الإسلام والمسلمين. إن تاريخنا وتاريخهم شاهد صدق على ذلك فى عديد من المواقف فى التاريخ القديم والوسيط والحديث. وأوضح ما يكون هذا التعاون بين اليهود والصليبيين ما هو واقع اليوم من إنشاء إسرائيل فى فلسطين، ومدها بالمال والسلاح المطور والخبراء، ويشير إلى هذا التعاون ما جاء فى لقاء (رابين وكلينتون) فى (واشنطن) بأن إسرائيل سوف تقوم بالنيابة عن الغرب -كأن الغرب بعيد عن المنطقة العربية بنفوذه وقواعده العسكرية - بصد تيار الأصولية الإسلامية عن العالم كله بوصفها هجمة بربرية جائحة لو تركت لقضت على العالم كله. وذلك نوع من البحث لإسرائيل عن وظيفة بديلة عن وظيفتها السابقة التى كانت تدعيها دول الغرب وهى صد تيار الشيوعية يوم كانت هناك شيوعية.

ج - العمل على تجفيف منابع العمل الإسلامى:

والمقصود بالمنابع كل ما له علاقة بتنمية الوعى أو الحركة أو الصحوة أو التمسك بمنهج الإسلام فى الحياة مثل المدارس الإسلامية، الجمعيات الخيرية، والمستوصفات الخدمية، وخطباء المساجد المؤثرين، الكتاتيب الإسلامية.. وغيرها فهم يحاولون القضاء على هذه المنابع تحت شعاراتهم المملة مثل: الأصولية الإسلامية، والتطرف الإسلامى، والإرهاب الإسلامى، وأكثرهم يعلم أن الإسلام لا يمكن أن يوصف بهذه الأوصاف، وكل ذلك حتى لا يؤدى العمل للإسلام فى يوم من الأيام لقيام حكم إسلامى.

خامسًا: الصراع العسكرى:

لقد هان دم المسلم وعرضه فى شتى بقاع الأرض، فهناك تصفية جسدية للمسلمين -أفراداً وجماعات- وهناك مصادرة للثروة وتطبيق سياسة الحصار والإفقار والحرمان، وهناك هدم المساجد وإغلاق الكتاتيب ومنع التعليم الدينى، وهناك الصلب على جذوع الأشجار وإشعال النار فى الكبار والصغار، وحرق قرى وأحياء كاملة بما فيها من الإنسان والحيوان، كما يحدث فى الهند إلى اليوم حتى هذه اللحظة.. وما يحدث فى الفلبين وكشمير والشيشان وفلسطين من إبادة للمسلمين أمام كل ذى عينين.

وفى العصر الحالى يتخذ الصراع العسكرى شكلاً آخر..

● اصطناع الخلافات والحروب بين البلدان الإسلامية واتهام بعضها بالإرهاب لضربها عسكريًا، وتلك خطة قديمة فى الحروب الصليبية، وإلى أن تحالفوا حديثًا مع اليهود وعملوا على إسقاط دولة الخلافة فى تركيا، ثم تعاونوا على إنشاء إسرائيل على أرض فلسطين، ولا يزالون يصطنعون هذه الخلافات وتلك الحروب ويرددون تهم الإرهاب.

وهم يحققون من وراء ذلك أرباحًا ومكاسب نشير إلى بعضها فيما يلى:

أولاً: تفريق كلمة المسلمين وإضعاف شوكتهم.

ثانيًا: تشويه صورة الإسلام والمسلمين الذين يتعادون لأتفه الأسباب.

ثالثًا: تسويق أسلحتهم بأموالنا والمضى فى تطويرها والسيطرة على اقتصادنا.

رابعًا: التمكين لمخططاتهم المعادية فى بلدان العالم الإسلامى بأيدينا وبأموالنا!!.

● **قضية فلسطين:**

هى القضية المحورية للصراع فى هذا العصر الذى نعيش فيه، وهى قضية المسلمين جميعًا، أرض المسلمين (فلسطين) ومقدسات المسلمين (المسجد الأقصى) أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ، يعيث فيها اليهود أعداء الإنسانية فساداً وخراباً ودماراً وتدنيساً، ولهذه القضية تاريخ طويل مرير نعرج عليه سريعًا:

تبنت بريطانيا المشروع الصهيونى فأصدرت فى نوفمبر ١٩١٧م وعد بلفور لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وتمكنت من إتمام احتلالها لفلسطين فى سبتمبر ١٩١٨م وتنكرت لوعودها للعرب - أثناء الحرب العالمية الأولى - بالحرية والاستقلال، وقسمت دوائر النفوذ فى بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا وفق اتفاقيات سيكس بيكو مايو ١٩١٦م التى خططت لجعل فلسطين منطقة دولية، ثم إن بريطانيا استأثرت بفلسطين وفق اتفاقيات سان ريمو أبريل ١٩٢٠م، وتمكنت من إدماج وعد بلفور فى صك انتدابها على فلسطين الذى قررته عصبة الأمم فى يوليو ١٩٢٢م.

فتحت بريطانيا خلال احتلالها لفلسطين ١٩١٨م حتى ١٩٤٨م الأبواب للهجرة اليهودية، فتضاعف عدد اليهود من ٥٥ ألفًا سنة ١٩١٨م إلى ٦٤٦ ألفًا سنة ١٩٤٨م أى من ٨٪ من السكان إلى ٣١٪، كما دعمت تملك الأراضى فتزايدت ملكية اليهود

للأرض من ٢٪ إلى ٦,٧٪ من أرض فلسطين، تسربت إلى اليهود فى الغالب من الحكم البريطانى أو من أيدٍ غير فلسطينية، وتمكن شعب فلسطين رغم قسوة الظروف والمعاناة من الصمود فى أرضه طوال ثلاثين عامًا محتفظًا بأغلبية السكان ٦٩٪ وبمعظم الأرض ٩٣,٣٪. وقد تمكن اليهود تحت حماية الحراب البريطانية من بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية، وفى سنة ١٩٤٨م كانوا قد أسسوا ٢٩٢ مستوطنة، وكونوا قوات عسكرية من الهاجاناه والأرجون والشتيرن يزيد عددها على ٧٠ ألف مقاتل واستعدوا لإعلان دولتهم.

رغم أن المؤامرة على فلسطين كانت أكبر بكثير من إمكانات الشعب الفلسطينى إلا أنه رفض الاحتلال البريطانى والمشروع الصهيونى، وطالب بالاستقلال وقامت التيارات الوطنية والإسلامية بزعامة الشيخ أمين الحسينى بالتعبئة الشعبية والثورات العارمة، فكانت ثورات القدس ١٩٢٠ ويافا ١٩٢١ والبراق ١٩٢٩ وأكتوبر ١٩٣٣ وحركة الجهاد بقيادة الشيخ عز الدين القسام ومنظمة الجهاد المقدس...

وتحت ضغط الثورة الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ اضطرت بريطانيا فى مايو ١٩٣٩ - بسبب بدء الحرب العالمية الثانية وحاجتها لمساعدات العرب فى الحرب - أن تتعهد بقيام الدولة الفلسطينية خلال عشر سنوات، وأن توقف بيع الأرض لليهود بعد خمس سنوات، ولكنها تنكرت لالتزاماتها فى نهاية ١٩٤٥ - عند انتهاء الحرب العالمية الثانية - وعادت الحياة للمشروع الصهيونى من جديد ولكن برعاية أمريكية.

فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية (نحو ٥٤٪ للدولة اليهودية، و٤٥٪ للدولة العربية، و١٪ منطقة دولية «منطقة القدس»). وقرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة حتى ضمن مواثيق الأمم المتحدة نفسها. والقرار نفسه مخالف للأساس الذى قامت عليه الأمم المتحدة، وهو حق الشعوب فى الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ثم إن الشعب الفلسطينى المعنى أساسًا بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاؤه. فضلاً عن الظلم الفادح فى إعطاء الأقلية اليهودية الدخيلة المهاجرة الجزء الأكبر والأفضل من الأرض.

إعلان قيام الدولة الغاصبة:

أعلن الصهاينة دولتهم «إسرائيل» فى مساء يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ وتمكنوا من هزيمة

الجيوش العربية التى مثلت نموذجًا لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخبرة، ووقوع عدد منها تحت النفوذ الاستعماري، واستولى الصهاينة على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشردوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطينى خارج المنطقة التى أقاموا عليها كيانهم من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون فى هذه المنطقة، ودمروا ٤٧٨ قرية فلسطينية من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة فى المنطقة المحتلة، وارتكبوا ٣٤ مجزرة. أما بالنسبة لما تبقى من فلسطين فقد قامت الأردن بضم الضفة الغربية رسميًا إليها «٥٨٧٨كم٢» تحت إدارتها، وقد وافقت الأمم المتحدة على دخول الكيان الصهيونى «إسرائيل» فى عضوية الأمم المتحدة بشرط السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين وهو ما لم يفعله الكيان الصهيونى مطلقًا.

سادت شعارات «قومية المعركة» و«الوحدة طريق التحرير» فى الفترة بين (١٩٤٨ - ١٩٦٧) غير أن الأنظمة العربية افتقدت المنهجية الصحيحة والجدية والإرادة الحقيقية للقتال، وتبنت المقاومة الفلسطينية لأسباب تكتيكية مرحلية، وليست ضمن خطة استراتيجية شاملة، وانشغلت بدغدغة عواطف الجماهير بدلاً من إعدادها للمعركة، بينما كان الكيان الصهيونى «الغض» يشتد ويزداد قوة ورسوخًا.

حتى كانت حرب يونيو ١٩٦٧ هزيمة مرة للأنظمة العربية، ففى بضعة أيام ضاع باقى فلسطين، فسقطت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة وتم تشريد ٣٣٠ ألف فلسطينى، كما سقطت الجولان السورية (١١٥٠كم٢) وسيناء المصرية (٦١١٩٨كم٢) وجنوب لبنان ومزارع شبعا.

وواصل الكيان الصهيونى تهويد أرض فلسطين بشكل حثيث وسعى لاجتثاث هويتها الإسلامية، وقد صادرحوالى ٩٧٪ من الأرض التى احتلها سنة ١٩٤٨م ومعظم الأوقاف الإسلامية والكثير من الأراضى التى بقى فيها العرب هناك. وبنى الصهاينة ٧٥٦ مستوطنة فى الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨م، وفتحوا أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين فهاجر إليها أكثر من مليونين وثمانمائة ألف يهودى خلال الفترة من ١٩٤٩م حتى ٢٠٠٠م ليبلغ العدد الكلى لليهود حوالى ٥ ملايين فى فلسطين. وتستكمل حلقات الكيد والمؤامرة بمؤتمرات السلام المزعوم مرورًا بأوسلو وشرم الشيخ حتى مجازر جنين ونابلس واحتلال مدن الضفة الغربية جميعها والحصار والتجويع والتشريد والإبادة وطرد عائلات الاستشهاديين ومحاولات تفريغ الضفة الغربية وضرب غزة بالطائرات الأمريكية

واغتيال قيادات المقاومة الإسلامية من حماس والجهاد وغيرهم، كل ذلك يتم فى ظل صمت عربى وتخاذل دولى (والله من ورائهم محيط).

ركز الصهاينة على تهويد مدينة القدس وملئها بالمهاجرين اليهود (٤٥٠ ألف يهودى مقابل ٢٠٠ ألف فلسطينى) وأعلنوا أن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيونى وصادروا الحائط الغربى للمسجد الأقصى (حائط البراق) ودمروا حى المغاربة المجاور له وصادروا أرضه، وحفروا أربعة أنفاق بشكل يهدد بانهيار المسجد فى أى لحظة وتشكل نحو ٢٥ تنظيمًا إرهابيًا يهوديًا يهدف إلى تدمير الأقصى وإقامة الهيكل اليهودى مكانه. فهل يفلحون ؟ نعوذ بالله من أن يكون ذلك..

وأخيراً..

إن الإسلام لا يزال يقاتل **«لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون»** إن الواقع يشهد أن المعركة لا زالت دائرة، وأنها تشتد ضراواتها مع الأيام حتى يأذن الله بالنصر المبين **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف : ٢١].

٥- ما دورنا تجاه تلك المؤامرات ؟

تجرى حلقات نقاشية وورش عمل حول: مجالات الصراع (المؤامرة) فى العصر الحديث [الأهداف والوسائل فى كل مجال، ودور كل منا تجاه هذه المؤامرات] ثم نخرج بواجبات عملية عن دورنا تجاه المؤامرات.

- ويمكن التواصى بعمل بحوث عن (إحدى الفرق المعادية للإسلام - الحروب الصليبية - غزو التتار لبلاد المسلمين) - أو قراءة كتاب - أو مشاهدة شريط فيديو أو CD عن مذابح أو مآسى المسلمين فى فلسطين والشيشان وكشمير وغيرها، ثم المناقشة معًا حول (ما دورنا - وكيف ننصرهم عمليًا).

التقويم

١- وضح جذور الصراع (المؤامرة ضد الإسلام).

٢- اكتب الآيات التى توضح عداء الشيطان للإنسانية منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

٣- اذكر بعض الآيات التى تدل على الصراع بين رسل الله والمكذبين من أقوامهم.

٤- وضح صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام فى حياة النبى ﷺ.

٥- وضح صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام بعد عهد النبوة إلى العصر الحديث.

٦- حدد صور الصراع فى العصر الحديث. ثم وضح (أهداف ووسائل) كل صورة من هذه الصور.

٧- (وفى العصر الحالى يتخذ الصراع العسكرى شكلاً آخر) وضح ذلك.

٨- اكتب نبذة مختصرة عن تاريخ القضية الفلسطينية - موضحًا بعدها الدور المطلوب منك تجاه هذه القضية.

٩- وضح الدور المطلوب منك تجاه هذا الصراع (الفكرى - الأخلاقى - الاقتصادى - السياسى - العسكرى).

● الهدف المرحلى الثالث: أن يوضح الدارس مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١- أن يحدد الدارس بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٢- أن يوضح الدارس بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٣- أن يوضح الدارس دوائر الاهتمام بأمور المسلمين ومظاهر الاهتمام بكل دائرة.

٤- أن يقوم الدارس مدى اهتمامه بأمور المسلمين.

١، ٢- من المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين:

أ- **التأثر لحال المسلمين**: فهذا أهم وأول واجبات (الجسد الواحد) كما أشار الحديث الشريف، وهى صفة كان ابن عباس يعتز بها، فقد نال منه رجل يومًا فقال له: «إنك لتشتمنى وفى ثلاث خصال: إنى لآتى على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأفرح ولعلى لا أقاضى إليه أبداً [أى لا أقف أمامه فى قضية]. وإنى لأسمع أن الغيث [المطر] قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ومالى به من سائمة [أى دابة ترعى فيه].» حياة الصحابة ٣/ ١٤٥.

ويصور الإمام البنا -رحمه الله- حاله وبعض إخوانه فيقول: «ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالى كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه فى مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء ونفكر فى العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما و صلنا إليه إلى حد البكاء...» رسالة المؤتمر الخامس.

فأين نحن من هذا الشعور؟ إن أعداداً هائلة من المسلمين لم تصل إلى إيجابية (النملة) التى هتفت لتحذر أخواتها من جيش سليمان عليه السلام! وأعداداً أخرى تكتفى «بمصمصة الشفاه» أو ترديد بعض عبارات التنديد، إن التأثر المطلوب عمل إيجابى يدفع صاحبه - ويلح عليه - إلى مشاركة ذوى الآلام والمصائب فى محنتهم بالنفس والمال والجهد ونشر الوعى بقضاياهم، ومقاطعة أعدائنا وأعدائهم، وأن نخلفهم فى أهليهم، وأقل ما يجب الدعاء الصادق. (الطراز الربانى أ/ نبيل حامد المعاز).

ب- نصرة المظلومين والمستضعفين:

والرحمة التى بين المسلم وأخيه المسلم تستلزم أن يشارك كل منهم الآخر فى آلامه وآماله، وأن يدفع كل منهما عن أخيه غوائل الشر وأنواع الضرر، وأن يأخذ بيد أخيه لينقذه من أى خطر يتهدده، ولذلك أوجب الإسلام على جميع أهل البلد من رجال ونساء أن يذودوا عن بلدهم إن هاجمه عدو، أو باغت من فيه، ولم تكن قوة الحماية من الرجال كافية، وفرض على المسلمين أن يهبوا لنجدة من يستغيث بهم، ويطلب منهم العون والمساعدة سواء كانت مساعدة من إغاثة من غرق أو حريق أو وحش أو عدو.

والإسلام لم يترك أمر النصرة مبهمًا غامضًا، بل أوضحه ونظمه وجعل له قوانين أوجب على المسلمين اتباعها والعمل بها، فإن لم يفعلوا فهم آثمون مذنبون فى حق أخيهم، والذى يقرأ الكتاب والسنة يجد من ذلك الكثير.

فمن أخذ ماله سرقة أو غصبًا وجب على المسلمين فى شخص حاكمهم أن يردوا الحق إلى صاحبه، ويعاقبوا السارق بقطع يده والغاصب بما يناسبه ويوازى جريمته.

ومن قطع طريق الناس أو تسلط عليهم بالسطو والهجوم على منازلهم وممتلكاتهم فأخذ الأموال واعتدى على النفوس وأخاف الآمنين فإنما جزاءه أن يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف.

ومن أثقلته الديون ولا يستطيع سدادها فله الحق فى مال الزكاة، يعطى منه ما يوفى دينه، وكذلك من عضه الفقر وأقعده العجز عن العمل.. وكل ذلك نصرة وإغاثة وإعانة و اجبة للمسلم لإخوانه المسلمين.

وأولى بالنصرة وأحق بها من أسره العدو ولم يستطع فكاكًا، فإن من حقه على المسلمين أن يبذلوا كل ما فى قدرتهم حتى ينقذوا الأسرى ولو بدفع كل أموالهم فى سبيل ذلك. قال القرطبى: قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.. وردت الآثار عن النبى ﷺ أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين، وانعقد به الإجماع أنه يجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين [من تفسير القرطبى ج٢ ص٢٢].

وقد جاءت فى أحاديث كثيرة بيان حق المسلم على أخيه المسلم، ومن هذه الحقوق «نصرة المظلوم» ففى قول رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**» أى لا

يسلمه لأعدائه، ولا يخذله فى موضع يحتاج فيه إلى من ينصره، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدى الكفار أحب إلى من جزيرة العرب» [أخرجه ابن أبى شيبة فى كنز العمال]. [السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب].

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدى وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده فى معترك بل لابد من الوقوف بجانبه على أى حال لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول والدفع عنه إن هوجم، والقتال معه إذا استبيح، وذلك معنى التناصر الذى فرضه الإسلام، قال ﷺ: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**. قال: أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: **ترده عن ظلمه فذلك نصره»** البخارى.

إن خذلان المسلم شيء عظيم وهو – إن حدث – ذريعة خذلان المسلمين جميعًا إذ سيقضى على خلال الإباء والشهامة بينهم، وسيخنع المظلوم طوعًا أو كرهًا لما وقع به من ضيم، ثم ينزوى بعيداً وتنقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه.

وقد هان المسلمون أفراداً وهانوا أممًا يوم وهنت أواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ ينتقص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضى لشأنه وكأن الأمر لا يعنيه.

إن هذا التخاذل جر على المسلمين الذلة والعار، وقد حاربه الإسلام حربًا شعواء، ولعن من يقبعون فى ظلاله الداكنة الزرية، قال ﷺ: **«لا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه»** الطبرانى.

فإذا رأيت إساءة نزلت بأخيك أو مهانة وقعت عليه فأره من نفسك الاستعداد لمظاهرته والسير معه حتى ينال بك الحق ويرد الظلم، روى عن النبى ﷺ: **«من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام»** الأصبهانى. [خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى].

وأخطر أنواع النصرة وأكبرها دلالة على صدق الإيمان أن تنصر أخاك المسلم على نفسك، وأن تنتصف له منها حتى يستوفى حقه منك أو يسامحك. فإن لم تبدأ بنفسك فلا خير فيك لغيرك. [السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب].

جـ- قضاء حوائج المحتاجين:

من الاهتمام بأمور المسلمين أن يكون المسلم حريصًا على قضاء حوائج إخوانه، خفيفًا فى خدمتهم موقنًا أنها تفضل كثيراً من القربات والطاعات، روى البخارى ومسلم عن أنس أن النبى ﷺ خرج فى سفر وكان من أصحابه الصائم والمفطر، فأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئًا و أما الذين أفطروا فبعثوا الركاب [أى أثاروا الإبل لخدمتها وسقيها وعلقها] وامتهنوا وعالجوا [وفى رواية: فضربوا الأخبية وسقوا الركاب] فقال ﷺ: **«ذهب المفطرون اليوم بالأجر»**.

وبهذا الفهم يترك ابن عباس رضى الله عنهما الاعتكاف فى مسجد رسول الله ﷺ حيث يضاعف الأجر ليمشى مع مسلم مهموم حزين ليقضى حاجته [خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى].

وهذا الواجب العظيم يزداد تأكيداً إذا كنت ذا جاه فى المجتمع، أو صاحب منصب تحفه الرغبة والرهبة. إن للجاه زكاة تؤتى كما تؤتى زكاة المال، فإذا رزقك الله سيادة فى الأرض أو تمكينًا بين الناس فليس ذلك لتنتفخ بعد انكماش أو تزدهى بعد تواضع، إنما يسر الله لك ذلك ليربط بعنقك حاجات لا تقضى إلا عن طريقك، فإن أنت سهلتها قمت بالحق المفروض، وأحرزت الثواب الموعود، وإلا فقد جحدت النعمة وعرضتها للزوال، روى عن رسول الله ﷺ: **«إن لله عند أقوام نعمًا أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم»** الطبرانى.

وبعض الموظفين يستهينون بوقوف الناس على أبوابهم ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، يقول ﷺ: **«من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»** [رواه أبوداود والترمذى].

فسر المفسرون «الماعون» فى قوله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾** [الماعون: ٤-٧]. بتفسيرات كثيرة أهمها ما ذكره ابن عباس ترجمان القرآن أن الماعون هو المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم،وقال ابن مسعود: الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالفأس والقدر والنار وما أشبه ذلك، وذكر الزجاج وأبوعبيدة والمبرد أن الماعون فى الجاهلية كل ما فيه منفعة، حتى الفأس والقدر والدلو والقداحة، وكلها آراء متقاربة يفهم منها أن الماعون الذى

يستحق مانعه العذاب والويل هو المنفعة التى يقدر المسلم عليها ويكون أخوه محتاجًا إليها.

وقال تعالى فى سبب عذاب الكافر يوم القيامة: **﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الحاقة: ٣٣، ٣٤]، وعدم الحض موقف سلبى لا يرضاه الله تعالى من مسلم يعلم شدة حاجة أخيه المسلم، فلا يقوم هو بحاجته، ولا يدعو غيره للقيام بها. وليس المقصود هنا هو الإطعام فقط، فإن العارى من الثياب ومن الغطاء فى شدة الحر والبرد لا يقلب حاجة عن طالب الطعام، فقد يجمده البرد ويقتله، وقد تشويه الشمس وتضربه ضربة تقضى عليه، ومثله المجروح والمريض والعاجز.

د- الإصلاح بين الناس:

وقد بيّن الله تعالى أن الإصلاح بين الناس من خير الأعمال وأفضلها، قال تعالى: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤].

والإصلاح بين الناس هو إزالة ما بينهم من النفرة والخصام. قال تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال: ١]. وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الحجرات: ١٠].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى. قال: **إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة** (المصيبة التى تهلك وتستأصل)» رواه أبوداود والترمذى. [السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب].

من الآيات والآحاديث السابقة يجب على المسلمين أن يعملوا - كما أمرهم الله تعالى - على الإصلاح بين المسلمين، وإزالة أسباب الفرقة والنزاع والخصام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لأنه ليس أضر على المسلمين من وجود النزاع والخصام والشقاق والفرقة، قال تعالى: **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال: ٤٦].

هـ- حب الخير للمسلمين:

الوحدة بين المسلمين هدف إسلامى من أهم الأهداف، حتى أن القرآن اعتبرها أمرًا

بدهيًا وتلقائيًا بين الصادقين فى الإيمان حيث قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** [الحجرات: ١٠]. وحث عليها رسول الله ﷺ حيث قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»** [رواه البخارى ومسلم]. ومن أعظم أصول هذه الوحدة وأسبابها حب الخير للمسلمين، بل إن محبة الخير لكل مسلم أمر واجب ولازم لصدق الإيمان، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [رواه البخارى ومسلم]. وأنت ترى أن الحديث صريح فى نفى تمام الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وورد فى سبل السلام للصنعانى جـ ٤ ص١٦٥ عن هذا الحديث: «لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه من الخير كما يحب لنفسه من ذلك الخير، وكلمة «الخير» جاءت مصرحًا بها فى رواية النسائى لذلك الحديث». والفرق واضح بين حب المؤمن لذات أخيه المؤمن لوجه الله تعالى، وهذه منزلة عالية ودرجة سامية عند الله تعالى، وبين حب الخير لأخيه المؤمن، وهذه درجة أقل. [السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب].

٣ - دوائر الاهتمام بأمور المسلمين ومظاهر الاهتمام بكل دائرة:

ونحب أن ننوه أن الاهتمام بأمر المسلمين لا يقف عند حدود دائرة واحدة من المسلمين، نوجه لها كل الاهتمام فى حين نغفل باقى الدوائر بل ويتناقض سلوكنا معهم مع ذلك الاهتمام الذى أوصى به الرسول ﷺ.

بمعنى تحديد الأولويات فى التعامل مع دوائر المسلمين المتعددة المحيطة بالإنسان المسلم فى توازن وتتابع بدءاً من الأقرب فالأقرب، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ كالآتى:

أولا: الوالدان: وهم أولى الناس بالاهتمام وأقرب الأقربين وأعظم أصحاب الحقوق على الإنسان، قال الله تعالى: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾** [لقمان: ١٤].

ومن الاهتمام بهم: برهم وأداء حقوقهم وحسن معاملتهم والمسارعة إلى قضاء حاجاتهم.

ثانيًا: الأشقاء: وواجب المسلم نحوهم: رحمة الصغير ومساعدته، وتوقير الكبير وخدمته، وحسن عشرة الجميع.

ثالثًا: الإخوة فى الله: وهم العدة على الأعداء والزينة فى الرخاء (ورب أخ لك لم تلده أمك) [يمكن الرجوع للهدف الخاص بالأخوة ضمن المحتوى].

رابعًا: ذوى القربى والأرحام: قال تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**﴾ [الإسراء: ٢٦] وقال: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١].

ومنهم الأجداد والجدات، والأعمام والعمات وأبناؤهم، والأخوال والخالات وأبناؤهم.

ومن الاهتمام بهم: صلة الرحم (التزاور ومساعدة المحتاج والنصح والدعوة..).

خامسًا: الجيران: قال رسول الله ﷺ: «**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»، مع العلم بأن الجار أربعون من كل اتجاه، كما ورد ذلك فى حديث الرسول ﷺ. وهم جيران المنزل أولاً، جيران المنازل المجاورة فى نفس الشارع، أهل مسجد الحى، جيران الحى من غير أهل المسجد، زملاء العمل ورفقاء الطريق.

ومن الاهتمام بهم: كف الأذى عنهم.. والتكافل معهم.. قضاء الحاجات لهم.. التزاور.. النصح والدعوة.

سادسًا: أهل القرية أو الموطن:

ومن الاهتمام بهم: حسن المعاملة.. والمشاركة فى الأفراح والأتراح والمناسبات العامة، والتعاون على البر والتقوى والتكافل والنصح والدعوة.

سابعًا: أبناء الوطن: الذى نشأ فيه المسلم وتربى وتعلم وحمل اسمه ونهل من خيراته.

ومن الاهتمام بالوطن: العمل على رفعته وصيانته من كل سوء بإيجابية واعتزاز، فإن (حب الوطن من الإيمان) والرسول ﷺ حينما خرج من مكة قال: «**اللهم إنك أحب بلاد الله إلى.. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**».

ثامنًا: أبناء الأمة الإسلامية فى كل مكان: الذين تجمعهم قبلة واحدة وكتاب واحد ورسول واحد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ومن الاهتمام بهم:

١ – الدعاء يوميًا فى السر والعلن خصوصًا أهل البلاء والاضطهاد منهم وما أكثرهم.

٢ – متابعة أخبارهم يوميًا.

٣ – التعريف بقضاياهم لكل من حوله، وبحث السبل العملية لنصرتهم.

٤ – المشاركة فى الأعمال التى تدعو إلى نصرتهم ودعمهم (المؤتمرات والندوات..).

٥ – مقاطعة أعداء المسلمين ومنتجاتهم.

٦ – انشغال الذهن للعمل لخدمة الإسلام.

٧ – تفريغ الوقت للعمل للإسلام.

٨ – تحديث النفس أسبوعيًا بالغزو فى سبيل الله وسؤال الله الشهادة يوميًا.

٤ – أن يقوِّم الدارس مدى اهتمامه بأمور المسلمين:

استبانة يستعين بها الدارس فى تقويم مدى اهتمامه بأمور المسلمين.

من المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين	درجة تحقيقك لهذه المظاهر			
	جيد جداً (٤)	جيد (٣)	مقبول (٢)	ضعيف (١)
١ – التأثر لحال المسلمين المضطهدين والمستضعفين.				
٢ – نصرة المظلومين والمستضعفين: (كيف ننصرهم عمليًا؟):				
أ – الدعاء يوميًا فى السر والعلن.				
ب – متابعة أخبارهم يوميًا.				
جـ – التعريف بقضاياهم لكل من حوله.				
د – المشاركة فى الأعمال التى تدعو إلى نصرتهم ودعمهم (المؤتمرات والندوات..).				
هـ – مقاطعة أعداء المسلمين ومنتجاتهم.				
و – تحديث النفس أسبوعيًا بالغزو فى سبيل الله وسؤال الله الشهادة يوميًا.				
ز – دعمهم ماليًا والتبرع لهم ببعض ماله.				

من المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين	درجة تحقيقك لهذه المظاهر			
	جيد جداً (٤)	جيد (٣)	مقبول (٢)	ضعيف (١)
٣ – أن تنصر أخاك المسلم على نفسك.				
٤ – قضاء حوائج المحتاجين.				
٥ – الإصلاح بين الناس.				
٦ – حب الخير للمسلمين.				
٧ – تفقد الغائب.				
٨ – النصح للمسلمين.				
(الدرجة العظمى = ٤ × ١٤ = ٥٦)				

حيث يقوم الدارس بحساب درجاته أمام كل مظهر من المظاهر، فإذا كان مجموع درجاته الكلية أقل من (٣٠) درجة، فليسارع بتدارك حاله وضعف اهتمامه بأمور المسلمين، فهذا دليل على خلل وضعف فى إيمانه، فعليه أن يأخذ بالأسباب فى علاج ذلك الضعف مستعيناً بالله تعالى على ذلك، وإذا وجد أن درجاته مرضية بصدق فليحمد الله عليها وليسأل الله أن يتقبل منه هذا الاهتمام بأمور المسلمين، وليداوم على ذلك الخير وليستزد ما استطاع سائلاً الله دوام العون والسداد.

التقويم

١ – حدد بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٢ – وضح بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٣ – وضح دوائر الاهتمام بأمور المسلمين ومظاهر الاهتمام بكل دائرة.

٤ – اذكر بعض المواقف التى قمت بها توضح مدى اهتمامك بأمور المسلمين حولك.

٥ – قوِّم مدى اهتمامك بأمور المسلمين.

المصادر

١ – السلوك الاجتماعى فى الإسلام – للشيخ حسن أيوب.

٢ – خلق المسلم – للشيخ محمد الغزالى.

٣ – الطراز الربانى – أ. نبيل حامد المعاز.

٤ – التبعية الثقافية – د. عبد العظيم الديب.

٥ – الغزو الصليبى للعالم الإسلامى – د. على عبد الحليم محمود.

٦ – أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية – د. عبد الودود شلبى.

٧ – فلسطين بلادنا الحبيبة – د. محسن صالح.

* * *

الفصل الثامن

الهدف العام

أن يبدى استعداداً لترك الخلاف حرصاً على علاقته مع الآخرين

الأهداف المرحلية:

١- أن يدرك طبيعة الخلاف بين الناس وأسبابه.

٢- أن يدرك أهمية العلاقة الطيبة مع الآخرين.

٣- أن يوضح مفاسد الخلاف بين الأفراد.

٤- أن يدرب نفسه على ترك الخلاف والالتزام بأدب الحوار.

● الهدف المرحلى الأول : أن يدرك طبيعة الخلاف بين الناس وأسبابه

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ - أن يوضح الدارس طبيعة الخلاف بين الناس.

ب - أن يوضح الدارس أنواع الخلاف وأسبابه.

أ- طبيعة الخلاف بين الناس :

الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر فى حاله أو فى قوله. فيطلق الخلاف على المغايرة فى القول أو الرأى أو الحالة أو الهيئة أو الموقف.

قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم : ٢٢] وكل تلك الأمور تفضى إلى تعداد الآراء والأحكام وتختلف باختلاف قائليها.

وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك، ودليل من أدلة قدرته البالغة. وإن إعمار الكون وازدهار الوجود، وقيام الحياة لا يتحقق أى منها لو أن البشر خلقوا سواسية فى كل شىء، وكل ميسر لما خلق له ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود:١١٨، ١١٩].

فقد شاء الله أن تتنوع استعدادات الإنسان واتجاهاته، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه وأن يختار هو طريقه ويحمل تبعة الاختيار..

فكان من مقتضى هذا أن يكون الناس مختلفين، وأن يبلغ هذا الاختلاف حتى أن يكون فى أصول العقيدة إلا الذين أدركتهم رحمة الله. (فى ظلال القرآن).

هذا.. وقد يؤدى الاختلاف بين الناس فى القول إلى اشتداد واعتداد أحد المخالفين أو كليهما بما هو عليه من قول أو رأى أو موقف، ومحاولته إقناع الآخرين وحملهم عليه

ويسمى ذلك بالجدل. فالجدل يعنى المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

فإذا اشتدت خصومة المتجادلين وآثر كل منهما الغلبة بدل الحرص على ظهور الحق ووضوح الصواب، وتعذر أن يقوم بينهما تفاهم أو اتفاق سميت تلك الحالة (الشقاق)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥] أى: خلافا حاداً يعقبه نزاع يجعل كل واحد منهما فى شق غير شق صاحبه.

إن الاختلاف الذى وقع فى سلف هذه الأمة - ولا يزال واقعاً - جزء من هذه الظاهرة الطبيعية، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزمت الأمة بآدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد.

ب- أنواع الخلاف وأسبابه:

١- اختلافات أسبابها خلقية ونفسية:

وهى معروفة للعلماء والمربين الذين يتدبرون دوافع الأحداث والمواقف، ولا يكتفون بالنظر إلى ظاهرها دون أن يغوصوا فى أعماقها ومن هذه الأسباب:

- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأى.
- سوء الظن بالغير والمسارعة إلى اتهامه بغير بينة.
- حب الذات واتباع الهوى ومن آثاره: الحرص على الزعامة أو الصدارة أو المنصب.
- التعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب.
- التعصب لبلد أو إقليم أو حزب أو جماعة.

وهذه كلها رذائل أخلاقية والاختلاف الذى ينشأ عنها أو بسببها اختلاف غير محمود.

٢- اختلافات أسبابها فكرية:

ومردها إلى اختلاف وجهات النظر فى الأمر الواحد سواء كان أمراً علمياً؛ كالخلاف فى فروع الشريعة وبعض مسائل العقيدة التى لا تمس الأصول القطعية، أم كان أمراً عملياً كالخلاف فى المواقف السياسية واتخاذ القرارات بشأنها نتيجة الاختلاف فى زوايا الرؤية

وفى تقدير النتائج، تبعًا لتوافر المعلومات عند طرف ونقصها عند طرف آخر، وتبعًا للاتجاهات المزاجية والعقلية للأطراف المتباينة وتأثيرات البيئة والزمن عليها سلبًا وإيجابًا.

ولذلك كان طبيعيًا أن نجد الاختلاف فى عهد النبوة والخلافة الراشدة بين عديد من الصحابة لأسباب لم تكن تخرج عن تباين فى فهم النص لأسباب لغوية أو اجتهادية. ثم فى عصر الفقهاء لأسباب: منها ما يعود إلى اللغة وما يترتب عليه من اختلاف فى المراد من الألفاظ وحملها على المعنى الحقيقى أو المعنى المجازى، وأيضًا من الأسباب ما يعود إلى رواية السنن، ومنها ما يرجع إلى القواعد الأصولية وضوابط الاستنباط.

وهذا الخلاف الفكرى يجب أن يكون فى إطار الخلاف المحمود، وألا يؤدى إلى تفرق مذموم، بل يستغل هذا الخلاف الفكرى فى إثراء الآراء النافعة وتعددها، حتى ينتفع بكل الجهود والآراء فيما فيه صالح الفرد والمجتمع والأمة بأسرها. وإلى هذا يشير قول القائل: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه» و«الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية».

التقويم

١ - وضح طبيعة الخلاف بين الناس.

٢ - وضح أنواع الخلاف وأسبابه. ثم وضح متى يكون الخلاف مذمومًا ومتى يكون مقبولاً.

● الهدف المرحلى الثانى: أهمية العلاقة الطيبة مع الآخرين

الأهداف الإجرائية السلوكية:

● أن يوضح الدارس أهمية العلاقة الطيبة مع الآخرين على الرغم من وجود خلاف.

* * *

«ما دام الناس فى اختلاف نظرًا لما بيناه سابقًا، وما دام الاجتماع على أمر فرعى متعذرًا ومطلبًا مستحيلاً بل هو يتنافى مع طبيعة الدين. إذًا لابد أن يكون هناك أصل يلتقى عليه الناس ينزلون عليه لما فيه من مصلحة الاجتماع خير لهم من الفرقة والتشتت. فما هو هذا الأصل الذى يجب أن يلتقى عليه الناس ويسعهم أجمعين؟ إنه سلامة الصدر مع كل المخالفين وإصلاح ذات البين، إذ لا يكون الخلاف حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا ومن يخالفنا الرأى معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته، ألسنا مسلمين وهم كذلك؟ ألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ ففيم الخلاف إذا؟ ولماذا لا نتفاهم فى جو من الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟

فينبغى أن نقترب أكثر ممن يخالفنا فى الرأى ولا نبتعد عنه؛ طمعًا فى أوبته وإحسانًا لمعاملته، واحترامًا لوجهة نظره، فإذا كان للخلاف مساحة محدودة فإن مساحة التعامل بجوانبها الإنسانية كثيرة ومتعددة، وعندما نحسن استغلال هذه الجوانب ستضيق مساحات الخلاف وستقتصر على حدود وجهات النظر وليس الخلاف القلبى، وستصفو النوايا وتسلم الصدور.

قال تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[الأنفال: ١] نزلت هذه الآيات لما اختلف المسلمون فى شأن الأنفال وكادت تسوء أخلاقهم، فنزعها الله منهم وجعلها لله ولرسوله، وردهم إلى ما هو أعلى من ذلك وأعز من الحب وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله، فليشملنا ما شمل أصحاب رسول الله من معانى الإسلام الحية.

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً يقرأ آية سمعت النبى ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبى ﷺ فذكرت ذلك فعرفت فى وجهه الكراهة وقال: **«كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**.

وما أمر بدر عنا ببعيد حين استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا فى أسرى بدر فقال أبو بكر: يا رسول الله: «هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإنى أرى أن نأخذ منهم الفدية. فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً»، فقال رسول الله ﷺ: **«ما ترى يا ابن الخطاب؟»** قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننى من فلان – قريب عمر – فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان – أخيه – فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقاداتهم، فنزل رسول الله ﷺ على رأى أبى بكر ونزل القرآن مؤيداً رأى عمر مع الوعيد الشديد. فبكى رسول الله ﷺ وأبو بكر فلما رآهما عمر رضى الله عنه قال: ما يبكيكما فأبكى لبكائكما وإلا تباكيت» رواه مسلم. هذا يدل على وحدة المشاعر والوجدان لا التشفى والعصبية.

بل كان البعد عن الخلاف هو الأصل فى كل عصر من العصور: ففى عصر التابعين صلى الشافعى – رحمة الله – الصبح قريباً من مقبرة أبى حنيفة – رحمه الله – فلم يقنت والقنوت عنده سنة مؤكدة. فقيل له فى ذلك فقال: «أخالفه وأنا فى حضرته؟!» ما أفقه علماء الإسلام! حتى بعد الممات كانوا يؤثرون عدم الخلاف.

وفى العصر الحديث عندما وضع د. طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» ضمنه آراء ينادى بها بأن تتجه الثقافة فى مصر إلى الغرب.. يقول الإمام الشهيد حسن البنا: «اتصل بى بعض أصدقائنا الغيورين وطلبوا إلىّ أن أنقد الكتاب وفى الموعد المحدد ذهبنا إلى دار الشبان المسلمين فوجدتها – على غير عادتها – غاصة والحاضرون هم رجالات العلم والأدب والتربية فى مصر ليس من دون هذا المستوى، ووقفت على المنصة واستفتحت بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وبجانبى الدكتور الدرديرى السكريتر العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعًا فى خاطرى بعلاماتى التى كنت أعلّم عليها بالقلم الرصاص، وبدأت أول ما بدأت فقلت: إننى لن أنقد هذا الكتاب من عندى وإنما سأنقد بعضه ببعض، وأخذت ملتزمًا بهذا الشرط أذكر العبارة

من الكتاب وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب ولاحظ الدكتور الدرديرى أننى فى كل مرة أقول: «يقول الدكتور طه حسين فى الكتاب فى صفحة كذا وأقول العبارة من خاطرى وظللت على هذه الوتيرة حتى انتهيت من الكتاب كله وأنهينا المحاضرة، فقام الجميع وفى مقدمتهم الدكتور الدرديرى بين معانق ومقبل ولما هممت بالانصراف رجانى الدكتور الدرديرى أن أنتظر برهة لأنه يريد أن يسر إلىّ حديثًا واقترب منى وأسر فى أذنى سرًا وتعجبت له قال: لما نشرنا عن موضوع محاضرتك وموعدها اتصل بى الدكتور طه حسين وطلب إلىّ أن أعد له مكانًا فى هذه الدار يستطيع فيه أن يسمع كل كلمة تقولها دون أن يراه أو يعلم بوجوده أحد فأعددنا له المكان وحضر المحاضرة من أولها إلى آخرها ثم خرج دون أن يراه أو يعلم به أحد. وفى اليوم التالى طلب الدكتور طه حسين بمكتبه بوزارة المعارف الأستاذ أحمد الشادى – سكرتير المكتب – وقال له: أحب أن ترتب لى اجتماعًا بالأستاذ حسن البنا فى أى مكان بحيث لا يكون معنا أحد وبحيث لا يعلم به أحد وليكن هذا المكان فى بيته أو بيتى أو فى مكتبى هنا. وأبلغنى الأستاذ أحمد السكرى بذلك فرأيت أن يكون الاجتماع بمكتبه بالوزارة وبدأ الدكتور طه حسين الاجتماع بقوله: لعلك يا أستاذ حسن لا تعلم بأننى حضرت محاضرتك وبأننى كنت حريصًا على حضورها وعلى الاستماع إلى كل كلمة تقولها، وأننى أعرف من هو حسن البنا وأقسم لك لو أن أعظم عظيم فى مصر كان مكانك ما أعرته اهتمامًا. فشكرته ثم سألته عن رأيه فى المواضع التى وجهت النقد إليها فى الكتاب وهل لديه من رد عليها؟ قال الدكتور طه: ليس لى رد على شئ منها وهذا نوع من النقد لا يستطيعه غيرك وهذا ما عنانى مشقة الاستماع إليك، ولقد كنت أستمع لنقدك لى وأطرب، وأقسم يا أستاذ حسن لو كان أعدائى شرفاء مثلك لطأطأت رأسى لهم، ليت أعدائى مثل حسن البنا إذن لمددت لهم يدى من أول يوم. ثم تناقشنا فى مواضيع مختلفة تدور حول طبيعة الفكرة الإسلامية ومدى إحاطتها بكل نواحى المجتمع فكان آخر حديث لى بعد أن تحدثنا أكثر من ساعتين أن قلت له: لو أن أصحاب الآراء حين يختلفون حول أمر من الأمور لم يعتقد كل منهم أن رأيه هو الصواب كله وأن آراء غيره هو الخطأ كله بل أضاف إلى اعتقاده فى صحة رأيه اعتقادًا بأنه قد يكون فى آراء الآخرين نوع من الصواب وإن لم يبن له لما اشتد الخلاف ووصل إلى خصومة تطمس فى ظلماتها معالم الحقيقة، وينقلب النقاش من كونه وسيلة للبحث عن الحقيقة إلى محاولة للانتصار للرأى والمجادلة بالباطل».

نعم يجب على كل مسلم حين يختلف فى الرأى مع أخيه أن يتذكر أن لقاءهما أصل لا يصح التخلى عنه وهو الحفاظ على سلامة الصدور والمودة بينهما واجتماع الكلمة، فإذا استقر هذا فى النفس ناقشنا بقدر وخالفنا بحساب، ووقفنا من دراسة الأمر عند القدر الذى يمسك مكانة أخيك فى قلبك ومكانتك فى قلبه، ومن الواجب أن تستحضر دائمًا قوله تعالى: **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾** [الأنفال: ٤٦] وقول رسولنا ﷺ: **«ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**.

هذا يجعلنا بحاجة دائمًا إلى أن ننظر للأمور من وجهة نظر الآخرين أيضًا، وليس من وجهة نظرنا نحن فقط، وتذكر دائمًا أنك قد تكون على غير الصواب حتى ولو قلت: لقد رأيت هذا الشئ بعينى.

وتذكر أيضًا أن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف عملاً بكتاب الله وسنة رسوله – كما بينا سالفًا – نسأل الله أن يجمع القلوب المتشتتة وتتلاشى سحب الأحقاد والضغائن وتتآلف الأنفس على طاعة الله واتباع رسوله ﷺ.

قال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا، فإنه لعله يعوضك من ثواب المحسنين. وقد قال تعالى: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** [البقرة: ٨٣] وقال سبحانه وتعالى أيضًا: **﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**. [الإسراء: ٥٣] وقال ﷺ: **«من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها»** رواه الترمذى. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»** رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش بينهم»** رواه الترمذى. وأخرج أبو داود. «بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر فآذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر. فقام الرسول ﷺ. فقال أبو بكر: أوجدت علىّ يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: **«نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان. فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان»**. [المستخلص فى تزكية الأنفس].

التقويم

١ – وضح أهمية العلاقة الطيبة مع الآخرين.

٢ – اذكر مواقف تدل على أن البعد عن الخلاف هو الأصل فى كل عصر من العصور (من السيرة – من حياة التابعين – من العصر الحديث).

● الهدف المرحلى الثالث : أن يوضح مفاسد الخلاف

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ– أن يوضح الدارس مفاسد الخلاف على مستوى الأفراد.

ب– أن يوضح الدارس مفاسد الخلاف على مستوى الجماعة والأمة والعمل الإسلامى.

إن أهم مفاسد الخلاف الرئيسية ذهاب نصر الله عن الفئة المؤمنة والفشل وضياع قوتهم وهيبتهم، كما يقرر الله تعالى فى كتابه الحكيم : **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال : ٤٦] ... والاختلاف يولد الخلاف بين القلوب لقول الرسول ﷺ : **«لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»** ويحذر الرسول ﷺ من مفاسد الاختلاف حتى فى الوقوف فى صف الصلاة : **«استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»** رواه مسلم. ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : «الخلاف شر» [العواصم من القواصم] وسنذكر بعضاً من مفاسد الخلاف الضارة وعواقبه المهلكة سواء على مستوى الأفراد أو العمل الإسلامى نفسه.

أ– على مستوى الأفراد :

١– **قسوة القلب** : ذلك أن المراء والجدال والاختلاف والخلاف مبنى أساسًا على الكلام الكثير الذى لا فائدة فيه، سوى إفحام الخصم والغلبة عليه. وكثرة الكلام بدون ذكر الله فيها قسوة القلب **«وإن أبعد الناس على الله القلب القاسى»**.

وقال مالك بن أنس إمام دار الهجرة : «المراء يقسى القلوب».

٢– **إغضاب الآخرين** : الأمر الذى يؤدى إلى البعد والقطيعة والتآمر. الخلاف دائمًا يبنى على قول لا بركة فيه ولا يصحبه عمل **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف : ٣] وقد وعى ذلك لقمان الحكيم فقال موصيًا ابنه : «يا بنى لا تجادل العلماء فيمقتوك».

٣- ضياع الهيبة وسقوط المروءة: وذلك أن المراء والجدال والخلاف تحمل صاحبها على كشف أوراقه، ويرمى خصمه بكل ما يستطيع وإذا فعل ذلك ضاعت هيبته وسقطت مروءته لا محالة إذ المرء مخبوء تحت لسانه.. وفى ذلك يقول عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -: «من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى لرأى اختلف مع الرجل سقطت مروءته» إحياء علوم الدين ٣/١٧٦.

٤- عدم أمن الفتنة فى الدين: ذلك أنه كثيراً ما تعترض الشبهات للمخالفين فى الرأى وقد لا يتمكن من الرد عليها، وحينئذ يتسرب الشك إلى نفسه وقد يقوى هذا الشك إلى حد الفتنة فى الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله. وماذا فى الحياة بعد الفتنة وضياع الدين.. قال أمير المومنين عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

ب- على مستوى الجماعة والأمة والعمل الإسلامى:

● **الفرقة والتمزق والضعف:** (إن الاختلاف المذموم يؤدى إلى تفرق الكلمة وتعادى الأمة، وتنازع الطوائف، ويلبسها شيعاً ويذيق بعضها بأس بعض. وهو ما حذر منه القرآن الكريم والسنة المطهرة أشد تحذير، يقول القرآن الكريم بعد الأمر بتقوى الله حق تقاته، والثبات على الإسلام إلى الممات: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾** [آل عمران: ١٠٣] وفى هذا السياق يقول سبحانه: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٠٥]. ويوجه الرسول والمؤمنين فى موضع آخر فيقول: **﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** [الروم: ٣١، ٣٢]. وحذّر القرآن من التفرق أيما تحذير، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** [الأنعام: ٦٥]. فجعل تفريق الأمة شيعاً، يذوق بعضها بأس بعض من أنواع العقوبات القدرية التى ينزلها الله بالناس إذا انحرفوا عن طريقه ولم يعتبروا بآياته، وقرنها القرآن بالرجم ينزل من فوقهم كالذى نزل بقوم لوط، وبالخسف يقع من تحت أرجلهم كالذى

وقع لقارون. وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٩]. جاء عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى اليهود والنصارى، الذين تفرقوا واختلفوا فى دينهم. وجاء عن غيره أنهم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة). [الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. يوسف القرضاوى].

كما تروى كتب السيرة خطورة هذا الخلاف على الصف والجماعة ما أخرجه ابن اسحاق وابن جرير عن زيد بن أسلم قال: [مرشاس بن قيس - وكان شيخاً قد عسا (كبر وأسن) فى الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً معه من يهود، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم. ثم ذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الركب، أوس بن قيظى أحد بنى حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أن بنى سلمة من الخزرج، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة!! (أى كما كانت وقت نشوبها)، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح!! موعدكم الظاهرة - والظاهرة الحرة - فخرجوا إليها، وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: **«يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! أبعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، فاستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنت عليه كفاراً؟!»** فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم لهم، فألقوا السلاح وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس، وأنزل الله فى شأن شاس بن قيس وما صنع: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا**

تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨] إلى قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩] وأنزل فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما، من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠] إلى قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(والآيات الكريمة دعوة قوية إلى توحيد الكلمة واجتماع الصف المسلم على الإسلام، وقد تضمنت:

١- التحذير من دسائس غير المسلمين، ومن طاعتهم فيما يوسوسون به، فليس وراءها إلا الارتداد على الأعقاب، والكفر بعد الإيمان.

٢- التعبير عن الاتحاد بالإيمان، وعن التفرق بالكفر، فإن معنى **«يردوكم بعد إيمانكم كافرين»** أى بعد وحدتكم وأخوتكم متفرقين متعادين كما تدل أسباب النزول.

٣- أن الاعتصام بحبل الله من الجميع هو أساس الوحدة والتجمع بين المسلمين وحبل الله هو الإسلام، والقرآن .

٤- التذكير بنعمة الأخوة الإيمانية بعد عداوات الجاهلية وإحنها وحروبها، وهى أعظم النعم بعد الإيمان: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

٥- لا يجمع الأمة أمر مثل أن يكون لها هدف كبير تعيش له، ورسالة عليا تعمل من أجلها، وليس هناك هدف أو رسالة للأمة الإسلامية أكبر ولا أرفع من الدعوة إلى الخير الذى جاء به الإسلام، وهذا سر قوله تعالى فى هذا السياق: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٦- التاريخ سجل العبر، والواعظ الصامت للبشر، وقد سجل التاريخ أن من قبلنا تفرقوا واختلفوا فى الدين فهلكوا، ولم يكن لهم عذر، لأنهم اختلفوا بعد ما جاءهم العلم، وجاءتهم البينات من ربهم، ومن هنا كان التحذير الإلهى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥])
[الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم – د. القرضاوى].

وما يحدث للمسلمين الآن وما يجرى فى العالم الإسلامى، وما أصاب المسلمين من هوان وذل وغثائية لأوضح دليل على ذلك.

التقويم

١ – وضح مفاسد الخلاف على مستوى الأفراد.

٢ – وضح مفاسد الخلاف على مستوى الجماعة والأمة والعمل الإسلامى.

● الهدف المرحلى الرابع : أن يدرب نفسه على آداب الخلاف

الأهداف الإجرائية السلوكية :

أ – أن يذكر الدارس النصائح القرآنية والنبوية التى تحث على ترك الخلاف .

ب – أن يوضح الدارس السلوكيات التى يجب أن يتبعها لتدريب نفسه على آداب الخلاف .

جـ – أن يقوِّم الدارس مدى التزامه بآداب الخلاف .

أ – نصائح قرآنية ونبوية :

لقد حرص الإسلام على صيانة أتباعه من هذه الآفة التى تمزق وتشتت شمل أفرادها وتطمس معالمها، وتردهم إلى ضلال بعد هدى كانوا عليه، فأنزل الله لهم آيات تتلى وتوجيهات خالدة لابد أن نعيها ونعمل بها حتى تحفظنا من آفة المراء والجدال وحتى لا نقع فى الخلاف المذموم :

قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] .

﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٢] .

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] .

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٤] .

﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات : ١١] .

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات : ٦] .

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء : ٣٦] .

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه : ٤٤] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء : ١٣٥] .

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا . .﴾ [غافر : ٣٥] .

* وقد عنى رسول الله ﷺ وحرص على إرشاد أمته لآفات وعلاج هذا الداء العضال فى كثير من الأحاديث منها :

قال رسول الله ﷺ : «**الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها**» رواه الترمذى وابن ماجه .

قال رسول الله ﷺ : «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» رواه أحمد .

قال رسول الله ﷺ حين سأله معاذ بن جبل عما إذا كنا مؤاخذين بما نقول فقال رسول الله ﷺ : «**ثكلتك أمك، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**» جزء من حديث رواه الترمذى .

قال رسول الله ﷺ : «**لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**» رواه أحمد .

قال رسول الله ﷺ : «**ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء**» رواه البخارى .

قال أعرابى لرسول الله ﷺ : أوصنى . فقال ﷺ : «**عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئًا**» رواه البخارى .

قال رسول الله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه الترمذى وأحمد .

قال رسول الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» رواه مسلم.

قال رسول الله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» رواه البخارى ومسلم.

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار» أخرجه البخارى.

قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة لغرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام» أخرجه الترمذى.

قال رسول الله ﷺ: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه» أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس.

*** نموذج ربانى:**

قال الشافعى رضى الله عنه: «ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ».

وقال الشافعى رضى الله عنه: «ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا لا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه».

وقال الشافعى رضى الله عنه: «ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته».

فهذه علامات ظهرت فى هذا العالم الربانى محمد بن إدريس الشافعى، وهى تدل على إرادة الله تعالى فى كل أحواله فعلا شأنه وانتفعت الإنسانية بعلمه.

ب - سلوكيات عملية لتدريب النفس على آداب الخلاف:

أولاً: مراقبة النفس:

انتبه إلى نفسك وأنت تحاور أو تناقش.

١ - هل أنت مستعلٍ بعلمك؟ وهل هذا الاستعلاء فى ملامح وجهك أو لهجة كلامك أو إشارة يدك؟ إن كان عدِّل طريقتك فوراً وإذا أسأت فاعتذر.

٢ - هل ترفع صوتك؟ إن الصوت رعونة وإيذاء فلا ترفعه أكثر مما يحتاج إليه السامع

وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

٣ - كن مبتسماً منبسط الوجه والأسارير، هادئ النفس أثناء الحديث، فإذا انفعلت فأمسك لأن الانفعال يخرجك عن حدود الأدب وفيه أذى لك ولفكرتك.

٤ - اجعل لنفسك محطات فى الحديث تراجع فيها نفسك وتسائلها: هل أخرجك النقاش عن جادة الالتزام، وهل الأفضل أن تستمر على هذا النسق أم الأفضل أن تعدل من انفعالاتك فى الحديث؟

إن مثل هذه المحطات والوقفات ذات فائدة كبيرة لأنها تجعل أمرك فى يديك وتظل مسيطراً على نفسك متحكماً فى لسانك وتعرف متى تتكلم ومتى تصمت.

ثانيًا: إياك وحب الذات:

(إحساس المرء بنفسه إذا زاد عن حده يحجبه عن الآخرين، ويحصره فى عالم خاص به، ولا يزال ماضيًا فى تكبير شأنه وتهوين غيره، ولا تزال نفسه تعجبه وتنسج حول فكره غلالة سميكة من الغرور والشراهة. ولا تزال «أنا» تنمو ويتضاعف ورمها وتضخمها حتى تودى به إلى الاختناق الأدبى. و«أنا» دائمًا شارة القصور الأدبى والتصرف البهيمى)(١) لأنها تؤدى إلى انتقاص الناس حقوقهم وقناعة صاحبها أنه على الصواب وغيره على الخطأ المحض، وتصور له أن علمه جديد على الناس، وتحبب له الشهرة وحب الثناء، هذا يؤدى بك إلى الغفلة عن تقدير الطرف الآخر فانتبه.

يقول ديل كارنيجى فى كتابه: (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس): «إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك فهاك الوصفة: لا تعطى أحداً فرصة التحدث، تكلم بغير انقطاع. وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه، فهو ليس كفئًا مثلك فلماذا تضيع وقتك فى الاستماع إلى حديثه السخيف، اعترض فى منتصف كلامه». وقال رسول الله ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

بطر الحق: دفعه ورده على قائله.

---

(١) جدد حياتك ص ١٠٥، الشيخ محمد الغزالى.

غمط الناس: احتقارهم.

هكذا سلوك من يحبون نفوسهم، هل تريد أن تكون مثلهم؟!

ثالثًا: اصنع من الليمونة الحامضة شرابًا حلوًا:

دائمًا الحوار يتخلله كثير من الحدة فى الحديث والشدة فى الانفعالات، ولكن إذا تذكرت:

١ - أن حديثك وقولك من العمل الذى ستحاسب عليه فإن من يرى كلامه من عمله يقل كلامه إلا فيما يعنيه قال تعالى: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** [الإسراء: ٣٦].

وبذلك تغلق بابًا واسعًا من أبواب المراء والجدل.

٢ - أن يكون حوارك مع الغير لله ولإظهار الحق، فاحرص على استحضار النية فإن مثل ذلك يحافظ على جو الحوار من الحدة والانفعالات.

٣ - إن الحوار عبادة من العبادات فتمسك بهدى النبى ﷺ فيه، قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا»** أخرجه أبو داود فى السنن.

٤ - علمك بأن رأيك صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرك خطأ يحتمل الصواب يسهل عليك حسن الاستماع إليه، ويعطى مساحة للاتفاق فى الحديث، ونظرة محايدة توصل إلى الغاية المنشودة من الحديث بدون حدة ولا انفعال.

٥ - اعلم أن الاجتماع على الصواب خير من الافتراق على الأصوب، وكسب القلوب مقدم على كسب المواقف.

كل ذلك عند استحضارك له أثناء الحوار يؤدى إلى امتصاص غضب وانفعال الغير، وتحوله إلى مشارك لك فى رأيك، كما تستطيع بقليل من السكر أن تحول عصير الليمون الحامض إلى شراب حلو تستسيغ شرابه.

رابعًا: عش مع الحوار فى حدود هذه النصائح:

- يقول ابن المقفع: «تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن

الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضى حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعى لما يقول».

- إذا كان فى كلام محدثك ما ينبغى أن يراجع فيه - تعليقًا أو تصحيحًا أو إيضاحًا واستفسارًا - فلا تقطع حديثه وأمسك بالقلم ودون وسجل عليها ما تود مراجعته فيه، هذا أفضل بكثير من أن تقطع حبل أفكار الآخرين فيضيقوا بك ذرعًا.

- احذر أن تختلف مع محدثك، فإن الخلاف لا يأتى بخير. يقول سفيان الثورى: «لو خالفت أخى فى رمانة فقال: حلوة وقلت: حامضة لسعى بى إلى السلطان». قال أيضًا: «صاف من شئت ثم أغضبه فليرمينك بداهية تمنعك العيش». قال ابن أبى ليلى: «لا أمارى صاحبى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه».

- احذر من أن تستدرج إلى ما يفقدك السيطرة على نفسك أو أمانتك العلمية، فهناك بعض الناس لا يبحثون عن الحقيقة وتدربوا على فن الجدل والمناظرة، ولا يتقون الله فيما يقولون، وقد يعمدون إلى الكذب بغية إحراج من يناظرون. قال تعالى: **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾**[الأنعام: ١٢١].

- فى بعض الأحيان لا يجدى المنطق والبرهان، إنما يجدى التودد والإحسان، فقد تبدأ المناقشة وروح العداوة تسيطر على الطرف الآخر، حين ذاك ألق عصا المنطق وارفع راية الحنان، فإذا دفعت بالحسن انقلبت العداوة إلى مودة والبغض إلى محبة، قال تعالى: **﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** [فصلت: ٣٤].

- تذكر أن دفع الإساءة بالإحسان ليس سهلاً يقدر عليه كل إنسان، بل يحتاج إلى تدريب شاق وصبر ومجاهدة، ولذلك قال سبحانه بعد الآيات السابقة فى سورة فصلت: **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** [فصلت: ٣٥].

- لا تغضب إذا لم يوافقك صاحبك على رأيك، ولا تحاول أن تحمل الناس على ماتراه حقًا وصوابًا من وجهة نظرك إذ: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** [البقرة: ٢٥٦] فمن باب أولى ألا يكون الإكراه فى وجهات النظر، فقد ذكر ابن القيم: «إن ابن مسعود خالف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى حوالى مائة مسألة» [رواه أحمد والترمذى والحاكم

– انظر كشف الخفاء للعجلونى] فهل غضب منه عمر لمخالفته إياه؟ وهل أمير المؤمنين حمل عامله بن مسعود على رأيه؟ بالطبع (لا) . فعلام الغضب إذًا؟ قال تعالى فى وصف عباده : ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٤ – ٥٦] .

– عدم التعصب للأشخاص ولا للهيئات، مع قبول النقد بسلامة قلب وانشراح صدر واستخدام أسلوب المحايد عند النقاش، مع اعتبار المخالف طرفًا فى حوار متكافىء لا يجوز رفض رأيه سلفًا أو التعصب ضده، بذلك تستطيع أن تسبر غوره دون أن تستفزه، كما قال تعالى مخاطبًا الكفار على لسان رسوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ : ٢٤ – ٢٦] .

– عندما لا تعلم أمراً سئلت عنه فلا تستحى أن تقول : لا أدرى فتتمادى فى الجواب فتظهر جهلك، واتخذ من العلماء فى ذلك قدوة، فالإمام مالك سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنين وثلاثين منها لا أدرى، وقد قيل : (إذا أخطأ العالم قول لا أدرى أصيب مقتله) .

جـ – أن يقوِّم الدارس مدى التزامه بآداب الخلاف :

***استبانة يقوِّم بها الدارس نفسه فى التزامه (بالسلوكيات العملية) بآداب الخلاف :**

سلوكيات عملية الدرجة العظمى ٣ × ٢١ = (٦٣)	دائمًا ٣	أحيانًا ٢	نادرًا ١
١ – لا أستعلى بعلمى على أحد .			
٢ – أعتذر إذا أسأت .			
٣ – لا أرفع صوتى أكثر مما يحتاج إليه السامع .			
٤ – أكون مبتسمًا منبسط الوجه والأسارير هادئ النفس أثناء الحديث .			
٥ – إذا انفعلت أثناء الحديث أمسك عنه .			

سلوكيات عملية الدرجة العظمى ٣ × ٢١ = (٦٣)	دائمًا ٣	أحيانًا ٢	نادرًا ١
٦ – أجعل لنفسى محطات فى الحديث أراجعها فيه .			
٧ – أسيطر على نفسى وأعرف متى أتكلم ومتى أصمت .			
٨ – لا أغفل عن تقدير الطرف الآخر أثناء الحديث .			
٩ – أرى كلامى من العمل الذى سأحاسب عليه فلا أتكلم فيما لا يعنينى .			
١٠– أحرص على أن يكون حوارى مع الغير لله ولإظهار الحق فأحرص على استحضار النية .			
١١– أعلم بأن رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .			
١٢– أحرص على كسب القلوب لا على كسب المواقف .			
١٣– أحرص على حسن الاستماع كما أحرص على حسن الكلام .			
١٤– إذا كان فى كلام محدثى ما ينبغى أن يراجع فيه – تعليقًا أو تصحيحًا أو إيضاحًا واستفسارًا – فأمسك بالقلم وأدون ما أود مراجعته فيه، ولا أقطع حبل أفكاره .			
١٥– أحذر من أن أستدرج إلى ما يفقدنى السيطرة على نفسى أو أمانتى العلمية .			
١٦– أحرص على دفع الإساءة بالإحسان .			
١٧– لا أغضب إذا لم يوافقنى صاحبى على رأيى أو ما أراه حقًا وصوابًا من وجهة نظرى .			
١٨– أحرص على عدم التعصب للأشخاص والهيئات .			
١٩– أقبل النقد بسلامة قلب وانشراح صدر .			
٢٠– أعتبر المخالف طرفًا فى حوار متكافئ لا يجوز رفض رأيه سلفًا أو التعصب ضده .			
٢١– عندما لا أعلم أمرًا سئلت عنه فلا أستحى أن أقول لا أدرى .			

يستطيع الدارس أن يحدد مدى التزامه بآداب الخلاف، كما يستطيع أن يحدد السلوكيات التى لم يلتزم بها أو التى بها ضعف، وأن يجتهد فى أن يلزم نفسه بها مستعيناً بالله على ذلك حتى يسلس له قيادة نفسه، ومستعيناً بإخوانه فيسألهم التوجيه والعون فى ذلك. وليثق فى قول الحق سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

التقويم

١ – اذكر النصائح القرآنية والنبوية التى تحث على ترك الخلاف.

٢ – اذكر نماذج من حياة الصالحين توضح حرصهم على ترك الخلاف.

٣ – اذكر نماذج عايشتها أو سمعت بها توضح التزام القائمين بها بآداب الخلاف.

٤ – وضح السلوكيات التى يجب أن تتبعها لتدريب نفسك على آداب الخلاف.

٥– قوِّم مدى التزامك بآداب الخلاف.. محدداً ما تقوم بتنفيذه بالفعل من هذه السلوكيات والأخرى التى مازلت لم تنفذها بعد.

٦– ضع خطة لتدريب نفسك على السلوكيات التى لم تلتزم بعد بها فى آداب الخلاف.

المصادر

١ – أدب الاختلاف – د. يوسف القرضاوى.

٢ – آفات على الطريق – الجزء الرابع – د. سيد نوح.
(الآفة الثانية والعشرون المراء والجدال).

٣ – أدب الاختلاف فى الإسلام – د. طه جابر فياض العلوانى.

٤ – الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم – د. يوسف القرضاوى.

٥ – رسالة إلى أى شيء ندعو الناس – أ. حسن البنا.

٦ – فهم الإسلام – أ. جمعة أمين.

٧ – جدد حياتك – للشيخ الغزالى.

٨ – أدب الحوار – أ. محمد عيسى.

٩ – إحياء علوم الدين – الإمام الغزالى.

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣